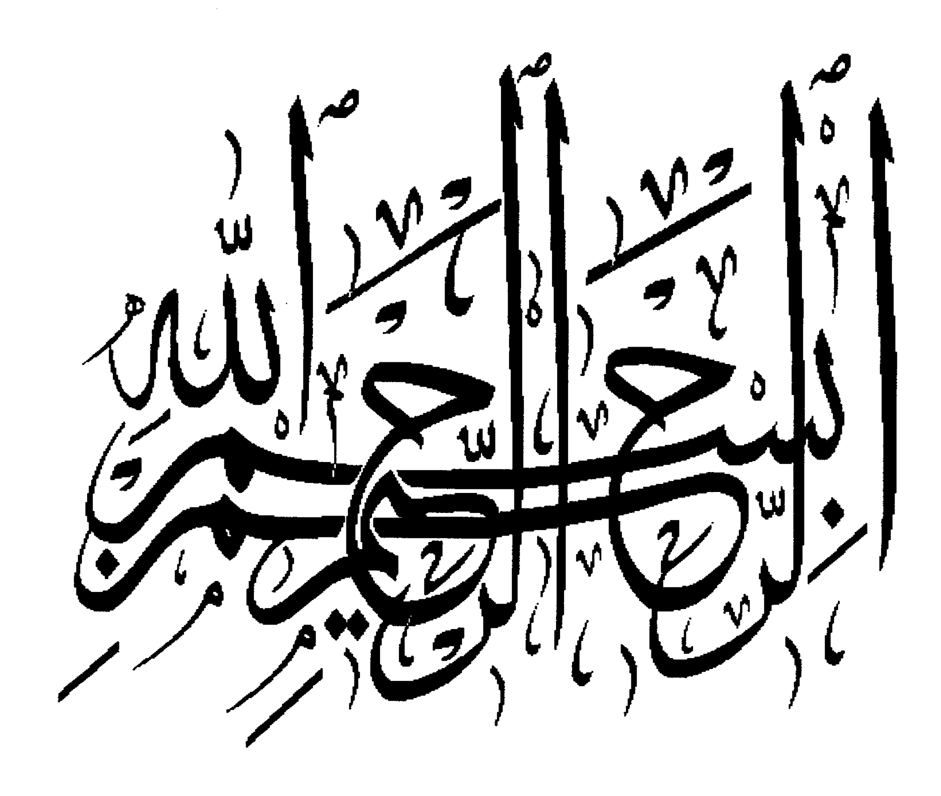


فوزي محمد أبو زيد

مدير عام بالتربية والتعليم بطنطا
ورئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله
بجمهورية مصر العربية

الجزء الثاني

دار الإيمان والحياة



الجزء الثاني [1] : الطبعة الأولى : ١٦ رجب ١٤٢٧ هـ ، ١٠ أغسطس ٢٠٠٦ م

رقم الإيداع المحلى : ١٦٢٩٨ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي I.S.B.N. : 8 - 977-17-3753

طبع في : دار نوبار للطباعة

([1])يمكن الحصول على الجزء الأول بالمكتبات الكبرى بالقاهرة و الأقاليم أو الناشر بالقاهرة تـ ٥٢٥٢١٤٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه ؛ سيدنا محمد ؛ إمام أهل الهدى وباب القرب لحضرة الله ، وآله وصحبه وكل من والاه .... وبعد ...

طلب مني بعض الإخوة الصادقين ؛ إعادة طباعة كتاب "اشراقات الإسراء:" ؛ نظراً لأنه دليل واف للسالك إلى الله ، وتوضيح كاف للواصل إلى مولاه ، وبيان شاف للمتمكن في طريق الله ، وقد أعاننا الله بتوفيقه وكرمه على ذلك وتمَّ طبعه في حلة جديدة مزيدة و منقحة ، وقد طرح بالفعل بالأسواق ، ثم رأينا أن نضيف إليه ما استجد – و هو هذا (الجزء الثانى) الذى بين يديك – في احتفالات الإسراء السنوية بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالجيزة ، حيث أننا اقتصرنا في جمع المادة العلمية لهذا الكتاب على السهرات المباركة التي تقام في هذا المسجد كل عام ، ولم نسجِّل فيه كل ما فُتح علينا به بشأن هذه الرحلة المباركة في كافة الإنحاء ؛ خوفاً من الإطالة والملل.

وقد قام الإخوة الصادقون الحاج مصطفى عبدالموجود والحاج محسن عبدالحي بتفريغ هذه الدروس من شرائط التسجيل وكتابتها ، وقام الإستاذ أحمد سعيد الغنام بكتابتها على الكمبيوتر وتخريج الآيات والأحاديث ، ثم قام أهل الإختصاص بمراجعتها لغوياً وإملائيا وإخراجها فنيا والإشراف على الطباعة ، فجزاهم الله جميعاً عنا خير الجزاء ، ، والله أسأل أن ينفع به من قرأه ، ويجعله نوراً وفتحاً لمن عمل بما فيه .

وصلى الله على معلّم الناس الخير ، وعلى آله وصحبه وسلم.



✉ : الجميزة ـــ محافظة الغربيـــة . ☎ : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
🖷 : ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
: الموقع على شبكة الإنترنـــت : WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكتروني E-mail : fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com , fawzyabuzeid@yahoo.com

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

آية ١ سُورَة الإسْرَاء

البَابُ الأوّل

النَّظْرَةُ وَالتَّرْبِيَّةُ الرُّوحَانِيَّة

- نَظَرَاتُ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى
- أَسْرَارُ النَظْرَة
- إشَارَاتُ السَّالكِينَ
في معْرَاجِ النَّبيِّ الأَمِين
- حَقيقَةُ الدُّنْيَا
- نَقَاءُ الْقُلُوب
- حَقِيقَةُ صَلاةِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُولُوا۟ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا۟ ﴾

آية ١٠٤ سورة البقرة

الباب الأول
النَّظْرَةُ وَالتَّرْبِيَّةُ الرُّوحَانِيَّة [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح أبواب قلوبنا لرحيق حبيبه ومصطفاه ، وجعله منا سهل المنال ، قريب الأخذ والتناول .

والشكر لله على خزن العطاء التى فتحها لنا الله ، والتي لم يتمتع بعشر معشارنا ، وعشر معشارها أحدٌ من السابقين ، وخصنا بها ربنا فضلاً منه ونعمة.عز وجل .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله ، روح أرواحنا ، وبهجة قلوبنا ، وسرِّ أسرارنا ، والباب الأعظم الذي يفد منه لنا كل هبات الله وعطاء الله ، حتى نكون بفضله ..... من رجال الله الدالين على الله بالله ، صلِّ الله وسلم على صاحب المدد ، وسر الإعطاء والإمداد ، واليد العظمى الإلهية التي تفضلت علينا بالعطاء والنوال ، واجعلنا يا ربَّنا من زمرة هؤلاء الرجال ، ومن أهل هذا الحال ...آمين آمين يا رب العالمين

أما بعد ......فيا إخواني ويا أحبابي بارك الله.عز وجل فيكم أجمعين ، أود في البداية أن أنبه إلى أمرين : .. الأمر الأول :

أن اجتماعنا في هذه الليلة في هذه الأيام من كل عام ؛ ليس القصد منه سماع العلم ، فأنتم والحمد لله كلكم علماء بالله ، وما أفرغ على صدوركم من العلم الوهبي يملأ جبالاً ؛ وإن كنتم أدباً زائداً منكم تستحيون أن تخرجوه وتبرزوه لعباد الله.....

---

[١] كانت هذه المحاضرة عقب صلاة العشاء بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – محافظة الجيزة بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج مساء الخميس ٣٠ رجب، ١٤١٩ هـ الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٩٨م.

نَظَرَاتُ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى

لكن الغرض الأول من هذه اللقاءات..:

أن نتلاقى ؛ وأن نحظى بنظرة من حبيب الله ومصطفاه ﷺ ، خاصة أن هذه الليلة ليلة النظرة فقد وقف على طريقه كما تروى الروايات الصحيحة [٢]:

امرأة عجوز شوهاء – أى حسناء – وقالت : يا محمد انظرني ! .؟ ، فقال جبريل عليه السلام : يا محمد لا تلتفت إليها! ، ووقف رجل وقال: يا محمد انظرني ! ، فقال جبريل عليه السلام : يا رسول الله لو نظرت إليه لغوت أمتك .

ووقف شيخ كبير وقال : يا محمد انظرني ! ، ووقف رجل آخر .....

ثم قال جبريل : يا رسول الله أما المرأة العجوز الشوهاء فهي الدنيا ، ولم يبقى من عمر الدنيا إلا ما بقى من عمر هذه العجوز ؛ ولو نظرت إليها لفتنت بها أمتك ، وأما الشيخ فهو إبليس ؛ ولو نظرت إليه لغوت أمتك ، وأما الرجل الأول هو داعي اليهود ولو نظرت إليه لتهودت أمتك ، وهنا وقفة :

فكثير منا لا يفقه معنى " تهودت أمتك " ، أو الرجل الأخير داعي النصارى

(٢)رواه البيهقى فى دلائل النبوة عن أبى سعيد الخدرى ﷺ ، وفيه : " فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَيْهِ(أى علي البراق) إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَمِينِي : يَا مُحَمَّدُ أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ ، فَلَمْ أُجِبْهُ ، وَلَمْ أَقِمْ عَلَيْهِ ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَيْهِ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَسَارِي : يَا مُحَمَّدُ أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ فَلَمْ أُجِبْهُ ، وَلَمْ أَقِمْ عَلَيْهِ وَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ عَلَيْهِ إِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ حَاسِرَةٍ عَنْ ذِرَاعَيْهَا وَعَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ ، فَقَالَتْ : يَا مُحَمَّدُ أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ ، فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَلَمْ أَقِمْ عَلَيْهَا حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَأَوْثَقْتُ دَابَّتِي بِالْحَلْقَةِ الَّتِي كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ تُوثِقُهَا بِهِ ، فَأَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءَيْنِ : أَحَدُهُمَا خَمْرٌ ، وَالْآخَرُ لَبَنٌ ، فَشَرِبْتُ اللَّبَنَ وَتَرَكْتُ الْخَمْرَ فَقَالَ جِبْرِيلُ : أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ ، فَقُلْتُ : " اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ " ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : مَا رَأَيْتَ فِي وَجْهِكَ هَذَا ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَمِينِي يَا مُحَمَّدُ أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ ، فَلَمْ أُجِبْهُ ، وَلَمْ أَقِمْ عَلَيْهِ قَالَ : ذَاكَ دَاعِي الْيَهُودِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهُ أَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ قَالَ : وَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ إِذْ دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَسَارِي ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ ، فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَلَمْ أَقِمْ عَلَيْهِ قَالَ : ذَاكَ دَاعِي النَّصَارَى ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهُ لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ إِذَا أَنَا بِامْرَأَةٍ حَاسِرَةٍ عَنْ ذِرَاعَيْهَا عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ ، تَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْظِرْنِي أَسْأَلْكَ ، فَلَمْ أُجِبْهَا ، وَلَمْ أَقِمْ عَلَيْهَا قَالَ : تِلْكَ الدُّنْيَا أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَجَبْتَهَا لَاخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ "" ، و الحديث طويل و له روايات أخرى عديدة فيها ماذكر أعلاه عن الشيخ العجوز و غيرها ، نكتفى بهذه السطور من هذه الرواية و لراغب المزيد مراجعة كتب السنة والحديث .

ولو نظرت إليه لتنصرت أمتك ، وتهودت يعني : أخذت طباع اليهود – وقد كان يغلب عليهم حب الدنيا ، ويتمسكون بظواهر التشريع – وتنصرت يعني أخذت حالة النصارى من التروحن والإقبال على الأعمال الصالحات والدار الآخرة وترك الدنيا.

وقد جمع الله عز وجل لنا هذين الأمرين ؛ نعمل للدنيا ، ونعمل للآخرة ، وزاد لنا خاصة ... ونعمل لوجه الله :

خصوصية لهذه الأمة المحمدية ، فجمع الله لنا خير ما عند اليهود ، وخير ما عند النصارى ، وزاد لنا فضلاً منه وكرماً أننا نعمل ابتغاء وجهه :

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ الآية ٩ سورة الإنسان

وتلك زيادة لهذه الأمة ، وكل هؤلاء أمر الله عز وجل جبريل أن يجعل الحبيب ﷺ لا ينظر إليهم ؛ إلى من ينظر إذن ؟ ..!!.. قال لنا ، وخاطبنا خطاباً تخفق له الأرواح ، وتطير من أجله الأشباح ، وقال عز وجل : ......

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ﴾ الآية ١٠٤ سورة البقرة

قولوا : انظرنا ! ، نظرة يا رسول الله !، فنحن أهل النظرة ، خصنا الله عز وجل بنظرة حبيب الله ومصطفاه ، هذه النظرة التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

لو نظرة منه لإبليس محت عنه الشقاوة بالعطا المدرار

ماذا كان حال سيدنا عمر ؟

تقلد السيف ، وذهب ليقتل رسول الله ، وهدد !! ، وتوعد !! ، وقال : أقتل محمداً ليرتاح الناس أجمعون منه !! ، ... ثم نظر إليه ﷺ نظرة ! ، وهزّه هزة ! ، ثم تغير من هذه النظرة ..!!.. من الكفر إلى شديد الإيمان .!!..

إنها نظرة نظرها إليه رسول الله ﷺ واجتماعنا هذا من أجل هذه النظرة وقد قال لنا فيها إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه:

إذا نظرت عيني وجوه أحبتي فتلك صلاتي في ليالي الرغائب

۞ أَسْـــــــرَارُ الْنَظْرَةِ

فالفتح ، والمنح ، والعطاء ، والوهب ... كل ذلك يأتي من نظرة واحدة ، نظرة من قلب تقيٍّ نقيٍّ ، ينظر بنور الله ، أو ينظر بعين الله ، تبدّلُ حال المرء إلى حيـــث لا يدري مقامه أحد إلا مولاه عز وجل ، وشيخنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال عن طريقتنا الشاذلية :

{{ نحن نربِّي مريدنا بالنظرة، قالوا وكيف ذلك ؟ ، قال : إن النعامة وكذا السلحفاة لا يرقدان على بيضهما ، وإنما ترقد أنثاهما في مكان قريب من البيض ، ثم تنظر إليه بعيونها فيخرج منه سيالٌ حراري .}}

وذلك لأن البيض لكي يفقس يحتاج إلى حرارة وكم من الطيور ترقـــد علـــى البيض نفسه لتمده بالحرارة اللازمة لكي يفقس ، وبيض النعامة والـــسلحفاة تـــصل إليهما الحرارة من النظرات ، فيفقس البيض ويخرج ، بسبب نظرات الأم من كليهما ، وهذا أيضاً يا إخواني طريق الصالحين ...

نظرة برضا ، وعطف ، ووداد ؛ ترفع المرء وتجعله يبلـــغ المـــراد ، وإن كـــان مقصراً في العمل وتحصيل الزاد .

ولكن تلزم النظرة برضا ، فالأب أو الأم ... لمن ينظران برضا ؟ ، لمن يطيعهما ، ويبرُّهما ، ويسير على خطاهما ، فيجعله ذلك صحيح الجسم .

وسيدنا رسول الله ﷺ ينظر إلى أحبابه ، ويصحّح أحوالهم ، ويرقّي مقامهم ، ويجعل حالتهم الروحانية في البهاء والضياء والنور والكمال ، مع الأولياء والأصفياء رضي الله عنهم وأرضاهم ، وإذا غضب على ابن روحيٍّ من أبنائه ؟؟ ، تحوَّل إلى الدنيا ... يكدّ فيها ويسعى جاهداً لتحصيلها .... ويقاتل من يناوئه ويمنعه من الحصول عليها !! ولن ينال منها في الختام إلا ما قدَّره وكتبه الله عزَّ وجلَّ ..!!..

ولذلك يا إخواني فإننا جميعاً نحتاج إلى هذه النظرة ، وقد حبانا الله عزَّ وجلَّ جميعاً أحوال سيدنا ومولانا رسول الله .... فمنَّا من أعطاه الله الحنان ، ومنَّا من أعطاه الله الشفقة ، ومنَّا من أعطاه الله الولاية الكبرى ، ومنَّا من أعطاه الرعاية ، ومنَّا من أعطاه الله الزهد ، كل هذه النظرات تغذّيك وأنت في هذا المقام .

كلما لحظتك عينٌ من عيون إخوانك المقربين :

رفعتك روحانياً ، ورقَّتكَ قلبياً ، والحمد لله .... لا نقول : وأنت لا تشعر ! ، وإنما نشعر جميعاً بذلك الأمر ! ، وهذا هو سبب حرصنا على هذه اللقاءات ، ليس من أجل العلم ؟ ، لأنكم جميعاً وبحمد الله علماء ! ، وقد لا أغالي ! ، ولا أبالغ إذا قلت : ... معظمكم والحمد لله ينطبق عليه قول الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه في سيدنا عبدالله بن مسعود عندما كانوا يسألونه في توصيف أصحابه قالوا : فما بال ابن أم عبد ؟ – يعنون بذلك عبدالله بن مسعود – فقال رضي الله عنه:

{{ ذاك رجل مُلأ من رأسه إلى مشاشة قدمه علماً }}

وأنتم والحمد لله كلكم على هذا الحال ، وليت كل واحد منكم يتكرع بعض ما حصله من العلم ! ، وهي علوم لا حصر لها ! ، ولا نهاية لها ! ، سمعها من إخوانه في الوقت الذي سعدوا فيه بصحبتهم ....

لكنا نريد العمل ..!!.. لبلوغ الأمل ..!!.. ، وهذا يستوجب النظرة :

من نظرة يرتقي المطلوب مرتفعاً قدس الجلالة في حال المناجاة

من نظرة واحدة ..!!.. ، وهذا هو الأمر الذي أريد أن يثبته إخواني جميعاً في صدورهم ، وإياكم أن يظن البعض منكم ! ؟ ، فأنا أكثركم وأشدُّكم لها حاجة ... وكلنا ذاك الرجل الذي يقول لمولاه :

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) ﴾ سورة القصص

كلنا محتاجون ...

فمن فينا الذي بلغ الكمال ! ، حتى من بلغوا الكمال ! ، كمال ! ، وبعد الكمال مزيد !! ،ومن بلغ أعلى درجات الكمال !! ماذا قال له حضرة الله ؟

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤) ﴾ سورة طه

طلب منه الله ﷻ ؛ أن يطلب الزيادة ! ، لأن العلم ليس له حدٌّ ! ، ولا عدٌّ ! ، والله ﷻ فضله لا يحدُّ وطلب النظرة .. يكون ممن ؟ ..هل من الإخوان ؟

وهل الإخوان لهم نظرة ؟ ، وما قيمتها ؟

قَالَ النَّبيُّ ﷺ :

﴿ نَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى أَخِيهِ عَلَى شَوْقٍ ؛ خَيْرٌ مِنَ اعْتِكَافِ سَنَةٍ فِي مَسْجِدِي هذَا ﴾ (٣)

وهذا للنظرة الواحدة ... وقال ﷺ :

﴿ الْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ لانْتِظَارِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ عِبَادَةٌ ، وَالنَّظَرُ فِي وَجْهِ الْعَالِمِ عِبَادَةٌ ، وَنَفَسُهُ تَسْبِيحٌ ﴾ (٤)

---

(٣) الحكيم عن ابن عمرو رضي الله عنه .
(٤) جامع الأحاديث والمراسيل، الفتح الكبير، عن أُسامة بن زيد رضي الله عنه

وإذا كانت النظرة إلى الكعبة عبادة .... يستحق بها الإنسان الحصول على عشرين رحمة من الرحمات التي تتنزل على البيت [٥] ، فما بالكم بالنظرة في وجوه الصالحين ..!!.. ، وماذا تساوي ؟ ، وقد قال ﷺ :

﴿ أحِبُّوا الْفُقَرَاءَ وَجَالِسُوهُم ﴾ [٦]

وفى رواية ﴿ جَالِسُوا الْفُقَرَاءَ فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ لا تَبْعُدُ عَنْهُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ ﴾

و العارف الفرد محبوبٌ لخالقه فات المقامات تحقيقاً و تيقيناً
في كل نفسٍ له نورٌ يواجهه من حضرة الحق ترويحاً وتيقيناً

أمطار التفضلات ، وكنوز العطاء والهبات ؛ مفتوحة للصالحين في كل الأنفاس والأوقات ..!!.. ، وقد قال الله عز وجل لهم :

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) ﴾ سورة ص

فجميعنا يحتاج إلى هذه النظرة ، وجئنا هنا من أجل هذه النظرة !!!

ويكفي أن تعلموا أن سيدنا موسى عليه السلام لما طلب من الله النظرة : ....

﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ سورة ١٤٣ سورة الأعراف

والمقام عال ! ، والربُّ .. أي مقام التربية : ....

﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ ، أي لم يحن الوقت بعد ... وأجلسه على طريق الحبيب ليتمتَّع بنظر الحبيب في هذه الرحلة الميمونة المباركة وقال له :

---

(٥) إشارة الى الحديث الشريف ((إنَّ للَّهَ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَة عشْرينَ وَمائَةَ رَحْمَة ، تَنْزلُ عَلَى هَذَا الْبَيْت ، ستُّونَ للطَّائفينَ ، وَأَرْبَعُونَ للْمُصَلِّينَ ، وَعشْرُونَ للنَّاظِرِينَ))، عن عبدالله بن عباس:رواه ابن حجر العسقلاني فى لسان الميزان ، والسخاوي فى الأجوبة المرضية .

(٦) جامع الأحاديث والمراسيل، الفتح الكبير ، وفى الترغيب و الترهيب عن أنسٍ ﷺ .

إذا سمعت مؤذن ......

﴿ سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ ﴾ الآية ١ سورة الإسراء

فقف للحبيب ﷺ على طريق المسرى ......

فهناك تنال مناك ! ، وتحظى برؤياك ! ، وتفوز بلقياك ! ، فأخـــذ يـــردِّده [٧] وذلك لكي يحظى بكثير من النظرات :

و إنما السرُّ في موسى يردّده   ليحظى بحسن مولاه حين يشهده

لكي يرى حسن الله في حقيقة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

فالحمد لله من يريد الجنَّة ؛ يحتاج إلى فضل الله .

أما من يريد الله !!! ...

فإنه يحتاج إلى نظرات من سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ، فإذا كانت النظرة حتى من الحاسد تؤثر ! ... لأن قلبه مملوء بالضغينة والحقد ... ، فما بالك بالنظرة من قلب مملوء بالنور ، والرحمة ، والشفقة ، والهداية ....

وسيدنا أبو بكر ، لما مرض سيدنا رسول الله ذهب إليه لزيارته ؛ ولشدة تعانق روحه بروحه ﷺ ، مرض لمرضه ...!!.. وقال رضي الله عنه :

([٧])إشارة إلى الواقعة التى تخص عدد الصلوات المفروضات فى اليوم والليلة ، وترداد النبى ﷺ بين موســـى عليـــه السلام و الله عزَّ وجلَّ و المذكورة في الحديث الذى أوره ابن كثير فى تفسيره و غيره عن أبي العالية الريحانى وفيـــه (قال : وفرض عليه خمسين صلاة . فلما رجع إلى موسى قال : بم أمرت يا محمد ؟ قال : بخمسين صلاة . قـــال : ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم فقـــد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : فرجع الـــنبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه عزَّ وجلَّ فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا . ثم رجع إلى موسى فقال : بكم أمرت ؟ قال : بأربعين . قال ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة قال : فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربِّه فسأله التخفيف ، فوضع عنه عشرا — ... حتى قال الراوي ... — فرجع على حياء إلى ربِّه ، فسأله التخفيف فوضع عنه خمسا . فرجع إلى موسى فقال : بكم أمرت ؟ قال : بخمس . فقال : ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيف ، فإن أمتك أضعف الأمم ، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال : قـــد رجعت إلى ربِّي حتى استحييت ، فما أنا راجعُ إليه) و الحديث طويل .

مرض الحبيب فعدته فمرضت من نظري إليه

وذلك لأنه يريد أن يفديه بنفسه ، ويقول : فداك نفسي وأبي وأمي يا رسول الله ! ، ... فلمَّا مرض لأنه تمنى أن يكون المرض به ويفدي رسول الله من هذا الداء ؛ ذهب إليه ﷺ عائداً ... فقال :

مرض الحبيب فعدته فمرضت من نظري إليه
شفي الحبيب فعادني فشفيت من نظري إليه

عندما عاده رسول الله شفي في الحال !..

وقد كان كلٌّ أملهم في نظرة برضا وشفقة وحنان من سيدنا رسول الله ﷺ .

والأمر يا إخواني كما هو ظاهر الشريعة هل يدخل أحد الجنَّة إلا برضا (حبيبه)؟ كذلك لا ينال أحدٌ منَّةً إلا برضا مُربِّيه ، فكما لا ينال أحدٌ الجنَّة إلا برضا أبيه! ، فلن ينال عبدٌ صادقٌ منَّةً ! ؛ إلا برضا مُربِّيه .

والنظرة هي قصدنا ومرادنا من هذه اللقاءات.

✺ إِشَـارَاتُ الْسَّـالِكِينَ فِي مِعْـرَاجِ الْنَّبِـيِّ الأَمِـينِ

والأمر الثاني حتى لا أطيل عليكم :

أننا إذا تحدثنا معاً عن قبس من الإسراء أو المعراج ؛ فهو باب واسع ..... فيه أدب لأهل الأدب ، وفيه معاني لأهل المعاني ، وفيه تأويلات لأهل التفسير والتأويل .

لكنَّا دائماً معكم نختصر الوقت ، ونتحدث عما لنا في هذه الرحلة ، وهو السير والسلوك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ؛ لأنها رحلة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ .

وقد فصَّلها لنا رسول الله ﷺ ؛ ليوضح لنا فيها كيفية السير والسلوك إلى رضوان الله .. ، أو إلى كرم الله .. ، أو إلى نيل عطاء الله .. ، أو إلى لطف الله .. ، أو إلى أي مقام يطلبه سالك من مولاه.عز وجل ...!!..، ولذلك فإن فيها كل أصناف السير والسلوك الموصلة إلى ملك الملوك.عز وجل .

وأي سير إلى الله بدايته مقام التوبة إلى الله.عز وجل ، وشرط التوبة التي بها الأوبة وبها تُفتَّح الأبواب ، ويحبُّك الكريم الوهاب :

أن تخلع ما فات .... ، وأن تملأ قلبك بما يحبُّه مولاك .... ،
وتشغل وقتك كله في العمل بما يحبُّه ويرضاه .

فالسير والسلوك وإن كان في الدنيا ؛ إلا أنه في عالم الآخرة :

فأي طاعة يعملها المرء ! ؛ فأثناء عمل هذه الطاعة يكون في الدنيا بجسمه ... لكنه في الآخرة بقلبه ، وعقله ، ولبِّه ، وجميع أحاسيسه ومشاعره ، إن كانت هذه الطاعة مجلس علم ، أو حلقة ذكر ، أو مجلس تلاوة قرآن ، أو صلاة بين يدي الرحمن ، أو أي عمل صالح ، وقد قال فيها حضرة الله.عز وجل :

﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ ﴾ آية ١٥٣ سورة آل عمران

حال الدعوة عندما كان يذكُرُهم .. أين يكونون في هذا الوقت ؟ ، أفي الدنيا ؟ أم في الآخرة ؟

حسم الله هذه القضية .! ؛ وقال :

﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ ﴾

مع أنهم في الدنيا ! ، لكن الدنيا عند الله غير ما في أفكارنا وعقولنا ؟؟؟....

۞ حقيقـــة الدُّنْيَـــا

فالدنيا عند الله عز وجل ..... هي العمل الذي يكون فيه المرء في واحدة من هذه الخصال :

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ الآية ٢٠ سورة الحديد

عندما يكون المرء في عمل من هذه الأعمال يكون في الدنيا :

فإذا كان في لهو يشاهد التلفاز ، أو يجلس يأتنس مع قوم في غير علم نافع ، أو عمل رافع ... فهو في لهو !! ، حتى ولو كان يذكر الله !! ، لأن ذكر الله هنـــا معـــه مشاغل تمنع من القبول ، فقد قال ﷺ :

{ ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ ، فَإِنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ } [٨]

وكذلك اللعب إن كان نرداً (طاولة)، أو ورقاً (كوتشينة) أو دومينـــو ، أو ما شابه ذلك فهو لهو ولعب وقال ﷺ :

{ مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ شير فَكَأَنَّما غَمَسَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِير وَدَمِهِ } [٩]

والدنيا إن كان مشغولاً ، بها شغوفاً بأهلها ، وكل وقته تطلعات في الفترينات، وينظر في الموديلات ، وكل نظره يركّز على ما يلبسه من حوله ! ، ويسألهم في ذلـــك وعن ذلك ؟ ، أو كان همه الفخر في نيل المناصب ! ، أو في العلو ، أو في الجـــاه ، أو

---

(٨) – أخرجه الترمذي ، والحاكم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٩) في مسند الإمام أحمد ، عن سليمان بن بريدة عن أبيه .

مشغولاً بولاه فوق المسئولية التي كلَّفه نحوه بها الله عز وجل وهذا أمر يطول شــرحه ، وهذه هي الدنيا .... ، وما سوى ذلك فأنت فيه في الآخرة .

هل الصلاة ضمن هؤلاء الخمس ؟

لا، إذن أنت فيها في الآخرة ... وكذا تلاوة القرآن وكذا مجلس العلم وكــذا عيادة المريض وكذا تشييع الجنازة وكذا أي عمل خير أو صالح تقصد بـــه وجـــه الله فأنت بعمله في الآخرة ولست في الدنيا كما أنبأ الله عز وجل .

فرحلة الإسراء والمعراج رحلة في الآخرة إذن كي يبدأ الإنسان رحلـــة الـــسير والسلوك إلى الله عليه أن يتوب توبة نصوحا شرطها الأول أن ينقي قلبه من مـــشاغل الدنيا وهمومها وحظوظها وأهوائها ويجعل شغله بالله والدار الآخرة وما أعده الله عز وجل فيها لعباده الصالحين.

وليس معنى ذلك أن يترك الدنيا ويترك السعي ولكني أقول ينقي قلبه فيـــسعى بجسمه وقلبه مشغول بربه عز وجل كما قال إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه فيكم وفي الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم الله هدىً :

نهار الفتى المحبوب في السعى و البر
و ليل الفتى المحبوب في الذكر و الفكر
نهارهمو يسعون يرضون ربهم
كما أمر الرحمن في محكم الذكر

يطلبوها كما أمر الرحمن : ......

﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ ﴾ آية ١٥ سورة الملك

و في الليل رهبان بذكر إلههم
سكارى حيارى في شهود و في ذكر

۞ نقـــــاء القُـــلوب

فالجسم للمطالب والتكليفات الدنيوية ، والقلب للذكر والإستعداد للأنوار والتشريفات الإلهية .

وإذا لم ينقِّ الإنسان قلبه ! ؛ فلا ينتظم ! ، وإن طال بـه الأمـد وصـولاً إلى ربه.عز وجل ، لكن لا بد من نقاء القلب ، والنقاء يحتاج إلى جلاء ! ، والجلاء وصـفه سيد الأنبياء فقال صلى الله عليه وسلم :

﴿ إنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ ، : فَمَا جِلاَؤُهَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ كَثْرَةُ ذِكْرِ اللهِ ﴾ [10] ، وفى رواية : **﴿ ذِكْرُ اللهِ ﴾**

هل ذكر الله ... هو حلقات الذكر؟ ...، لا.!!..؟ ، ولكن ما قال فيه الله :

﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الآية٩ سورة الجمعة

وذكرُ الله هنا ... هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛لأنه هو المذكّر بالله ، والمـذكّر بكمالات الله ، وبجمالات الله ، ورضوان الله.عز وجل .

والسعي للمذكر هو المنوط به جلاء القلوب ، لأن القلوب لا تنجلي بحركات المسبحة ..!!.. ، وربما يمسك شخص بالمسبحة ، ويقطع بها ذكراً لفظاً مـن ألفـاظ الجلالة مائة ألف أو يزيد ..!!.. ، ... قال في هذا سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه :

{{ ذكر اللسان شقشقة }}

وقال في ذلك الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

---

(١٠) أخرجه البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية عن نافع عن أبي عمر

{{ ذكر اللسان حسنات ، وأنا أريد القرب ! ، إذن عليَّ أن أوقظ النائم الذي بداخلي ! وهو وسيلة القرب ، وأقول له في بوادي الغنائم : قم يا نـــــــائم !!!..... }}

أوقظ القلب من نومة الغفلة بمجالسة الصالحين .

وماذا يفعل الصالحون ؟...أعطاهم الله ﷻ النظرات الرحمانيَّة التي بها تنقشع الظلمات عن أفيائنا القلبيَّة.

☼ حَقِيقَةُ صَلاةِ اللهِ عَلَى عِبَادِه

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ الآية ٤٣ سورة الأحزاب

ليست العبادات ! ، ولا النوافل والقربات ! ، ولكنَّه :......

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ ﴾

من هو ؟ الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وإن كان في الحقيقة ... ليس له أول ! ، ولا آخر ! ، وظهوره عين بطونه ! ، وبطونـــه عـــين ظهـــوره ! ، وهـــو الرحمن ﷻ : ......

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ.. ﴾

من أجــــــــل :

قبلة العارفين حال الصلاة	**وجه مولى منزهٍ عن جهات**
فهمو قبلة له إذ يصلي	**بحنان عليهمو للنجاة**

كيف يصلّي علينا ؟

يصلّي علينا .... أي يصلنا بما به وصلنا .

فمن الذي سيلهمك معاني التوبة ؟ ، ومن الذي سيملأ تجاويف قلبك بعيون المحبة التي تنفجر فيه ؟ ، وتظل ترويه ؟ ، حتى ينكشف عنه الحجاب ! ، فيتمتع بكمالات خالقه وباريه ؟ ...؟؟؟ ...!!!

هو الله !

فأين العمل الذي تملكه ؟ ، ليبلّغك هذا المراد ؟ ...

ومن الذي سيلهمك بالطريق النافع الميسر لك ؛ حتى لا تضل بك السبل ؟

لو لم يلهمك الله ؟ ، ستمشي في هذا الطريق ! ، ثم ترجع ! ، وتمشي في طريق آخر ! ، ثم ترجع ! ، وتظل هكذا إلى أن تفارق الحياة ! ، ولن تصل إلى بغيتك ! ، وهو التمتع بوجه الله ﷻ .

لكن الإلهام من الله ... وهذا هو الوصل :يصلي عليكم ليخرجكم من الظلمات ، والظلمات كثيرة :

ظلمات الشك والشرك لأهل البدايات ..!!..، وظلمات الكبر والحقد والحسد لأهل النهايات ..!!.. ، وظلمات حب الظهور ، أو التعالي والمشيخة ، لمن هم بين البدايات والنهايات ..!!..، ... ظلمات كثيرة لا يعلم حقيقتها إلا الله ، وإن كان يكشفها للصالحين من عباد الله ﷻ ، إذن لا بد أولاً من جلاء القلب ! ، ولا يتم ذلك إلا بمجالسة الصالحين .

ولذلك قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه ، مخاطباً البحر ... بحر الروم .....

قليلك قد يطهّر كلّ جسمي ... يطهّر بحر روم كلّ رسمي

و قلبي لا تطهّره بحار ... يطهّره العلي بنيل علم

أي علم يا أبا العزائم ؟ ، قال رضي الله عنه : ....

{{ كما أن كلَّ ماء لم ينزل من السماء لا ينفع ، كذلك كلُّ علم لم ينزل من سماء رسول الله ؟ ، لا يرفع ! ....}}

فالعلم النافع :

هو النازل من سماء فضل رسول الله على قلوب الصادقين من عباد الله ، فيرون به قلوب الأطهار الطالبين رضاء الله ، فتهتز الحقائق النورانية الموجـودة في قلـوبهم ، وتنبت في هذه القلوب بذرة المحبة ، التي وضعها الأحبة ، حتى لا تجعل لهذا القلـب في غير حبِّ الله.عز وجل نصيب أو حبَّة .

وتنبت فيه بذرة اليقين :

حتى تمتلئ تجاويفه بالاعتماد الكامل على ربِّ العالمين ، بذرة الورع ! ، بـذرة التسليم ! ، بذرة التفويض ! ، ... البذور التي وضعها الله في قلبك ؟ ، لا ينبتـها إلا ماء الحياة النازل من سماء رسول الله .

من عين من عيون الله ؛ وهي عباد الله المقربين :

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ الإنسان

فمن أي طريق تسلك ؟ ، ولم تطهِّر قلبك لله.عز وجل من المنازعة !!!

أصحاب التسليم .. هم الذين سلَّموا كل قلوبهم إلى الملك العليم.عز وجل ....

فإذا صفا القلب من وهم و شبهات
يشاهد الغيب مسرورا بآيات

والقلب هو براق الأحبة ، يرى بنور القلب الذي صفا وصوفي ، ما حوله مـن الآيات ، وما فيه من الآيات البيِّنات .

ثم يكرمه الكريم.عز وجل ، فيأخذه من البيت الحرام : ..إلا وهو القلب الذي حَرُم على حقيقته غير الله.عز وجل .. ألا وإن لكل ملك حمى ، وحمى الله محارمه[١١] ، صاحب القلب الذي حرَّم على غير الله دخوله ، وغلَّق أبواباً عليه ليمنع غيره من الدخول ؛ يكرمه الكريم.عز وجل ، فيجمعه على المسجد الأقصى ، ويأخذه بعد رؤية الحقائق الدنيوية إلى سيدنا رسول الله ﷺ .... وهو أقصى المقامات لجميع السابقين واللاحقين ﷺ ، وصاحب هذا القلب ؛ يرى بنور الله ، قال رسولُ الله ﷺ :

﴿ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ ﴾[١٢]

فيرى بنور الله كل أمر يواجهه في هذه الحياة ، يرى باطن الحقائق ! ، بينما ينظر الناس إلى ظاهرها :....

و إن نظرت عيني إلى أي كائن
تغيب المباني و المعاني سواطع

فنى من شاهد المجلى و نال السر و ارتاح
و غنى بالحقائق من رأى الأشباح أرواحا

فيرى ما في الدنيا على حقيقتها ، ولا يكرم المرء بالسير إلى الله ... إلا إذا رأى حقائق الأشياء ! .، فمن ينظر إلى الشهوات ؛ تميل إليها نفسه لأنها تعجب عينه .

لكن من يرى حقيقتها بعين قلبه ؛ هو الذي يزهد فيها ! ، ويتركها لأهلها ! ، ويواصل سيره إلى الله.عز وجل ...... وهذه هي بداية أهل العناية .

---

(١١) إشارة إلى الحديث الشريف الذى رواه الشيخان عن النعمان بن بشير ﷺ ونصه (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنَّ الْحَلالَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ ، وَعِرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ .)

(١٢) رواه الترمذى فى سننه عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وباقى الحديث (ثُمَّ قَرَأَ: { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ }).

نسأل الله عز وجل :

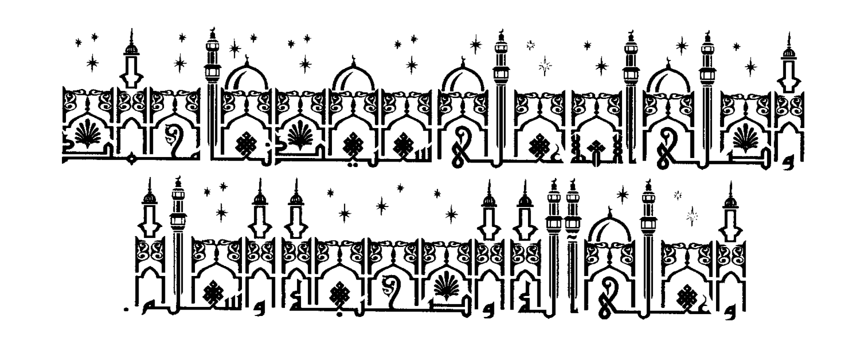
أن يكرمنا بنظرات الوداد من سيدنا ومولانا رسول الله .

وأن يرفع عنا كل عناء وبلاء .

وأن يوقظ قلوبنا من نومة الغفلة .

وأن يزكّي نفوسنا ، وأن ويملأ بخالص حبه قلوبنا .

ويهيِّم بحضرته أرواحنا ، ويكشف السجف لأسرارنا عن أسـراره الذاتيـه ، وعلومه الوهبية ، وكمالاته العلية.



الباب الثاني

منح العارفين

- حكمة الإسراء للأنبياء
- أسرار العروج للعالم الأعلى
- الآيات الكبرى
- المكاشفة بالغيوب
- حقيقة الزهد
- نور القيام
- طهرة القلب
- أسرار أهل العرفان

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ۝١ ﴾ سُورَةُ الإسراء



منظر للمسجد الحرام بالأقمار الصناعية من ارتفاع حوالي ٢٠٠ متر ،
وقد أظهرت صور الأقمار الصناعية المجسمة أن بقعتين فقط على
سطح الأرض تظهران مضيئتين بوضوح من الفضاء وهما المسجد
الحرام (كما تراه أعلاه) ، والمسجد النبوي، وقد أسلم بعض غير
المسلمين عندما درسوا الإسلام بعد أن دفعهم لذلك رؤية هذه الصور.
(يمكنك الاطلاع على الصور من موقع www.GoogleEarth.com)

الباب الثاني

منـــــح العـــــارفين (١)

الحمد لله ...

الذي من توكَّل عليه كفاه ، ومن دعاه لبَّاه ، والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه ، سيدنا محمد وآله ومن والاه .... وبعد ....

۞ حكمَـــةُ الإسْــرَاء للأنْبيَاء

الإسراء والمعراج للأنبياء والمرسلين !.... أنهم جميعاً ! ، أخذ الله عليهم العهـــد قبل إيجاد الحياة الكونيَّة ، وهم في العوالم الروحانيَّة أنه ﷺ رسولهم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الآية ٨١ سورة *آل عمران*

و هم نبيون ..

﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾

والرسالة لا تكون إلا بعد تكليفه من الحق ، ولا تكون إلا في عالم الخلـــق ... ، لكن قبل الخلق .... كانت النبوة ، فهو كما قال ﷺ :

إنِّي عِنْدَ اللَّهِ فِي أمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، وَإنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ ، دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةِ عِيسَى

(١) كانت هذه المحاضرة عقب صلاة العشاء بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – محافظة الجيزة بمناسبة ذكـــرى الإسراء والمعراج يوم الخميس، ٢٨ رجب، ١٤٢١ هـــ الموافق ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٠م.

قَوْمَهُ ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّام ، وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ﷺ [٢] ..

أي أن آدم لم يكن قد بدأ الحياة الآدمية بعد ، كـــان ﷺ عنـــد الله خـــاتم الأنبياء ، وليس المرسلين ! ، فالرسالة بعد أن يختاره الله ، ويكلّفه بتبليغ شرعه ودينـــه إلى خلق الله :

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ ﴾ ٣٩ الأحزاب

أين يبلغوها ؟ ...في عالم الدنيا .

لمن يبلغوها ؟ ...للخلق ، الذين وُجدوا ونشأوا بينهم ووسطهم .

لكن الله لم يكلّف نبياً برسالة قبل وجوده في الحياة الدنيا ، كانوا قبل القبل بين يدي الله يناجون الله ، ويشاهدون من معاني عظمة الله ، وجمال الله ، وكمال الله ، مـــا به تسعد أرواحهم وحقائقهم النورانية ، ولم يكن عليهم تكليف في ذلك الحين من ربِّ العالمين عَزَّ وَجَلَّ ؛ فقال لهم الله : ......

﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ ، فما المطلوب منهم ؟

﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾

هو الذي يصدّق على الذي ما جاءوا به من عند الله :

﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ الآية ٨١ سورة آل عمران

إذن لا بد لجميع الأنبياء ، أن يؤمنوا بختام الأنبياء ﷺ ، وكذلك يؤمنوا به

---

(٢) عن العرباض بن سارية السلمي فى مسند الإمام أحمد والمستدرك للحاكم وصحيح ابن حبان .

بعد بعثته ، وبعد اصطفاء الله له بتبليغ رسالته ، ونزول الوحي عليه بتمام شـــريعته ، فكان أن دعاهم الله جميعاً ليحقق لهم هذا الميثاق ! .....

كم كان عددهم ؟

سأل عن ذلك سيدنا أبو ذر رضي الله عنه سيدنا رسول الله ﷺ ، وقال :

﴿ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ كَـم النَّبيُّـونَ ؟ ، قَـالَ : " مِائَـةُ أَلْـفِ نَبـيٍّ وَأَرْبَعَـةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبيٍّ " . قُلْتُ : كَم الْمُرْسَلُونَ مِـنْهُمْ ؟ قَـالَ : " ثَلاثُمِائَـةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ ﴾ [٣]

بعدد أهل بدر مائة أربعة وعشرين ألف نبي ، لكن كما نعلم ... فالمذكور منهم في القرآن خمسة وعشرون ، ولكن الله قال :

﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ أي في القرآن ..

﴿ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ الآية ٧٨ سورة غافر

إلا في عالم المعاني والقرب والتداني ، فوقفوا جميعاً في سبعة صفوف ، وصلى بهم إماماً ليحظوا بإمامته ، ولينالوا شرف الإيمان به واتباع شريعته ، وليكونوا جميعاً مـــن أمته صلوات الله وسلامه عليه :

صُفّوا وراءك إذ أنت الإمام لهم　　قد بايعوك على صدق المتابعة
أبوهموا أنت يا سر الوجود و لا　　فخر و سرهمو قبل المعاهدة

---

(٣) عن أبي ذر الغفارى رضي الله عنه ، رواه البيهقى فى سننه الكبرى وفى المستدرك على الصحيحين للحاكم وشعب الإيمان ، وأول الحديث قَالَ أبوذر: دَخَلْتُ عَلَي رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ في الْمَسْجد فَاغْتَنَمْتُ خَلْوَتَهُ فَقَالَ لي : " يَا أَبَا ذَرٍّ ، إنَّ للْمَسْجد تَحيَّةً " قُلْتُ : وَمَا تَحيَّتُهُ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : " رَكْعَتَان " فَرَكَعْتُهُمَا ثُمَّ الْتَفَتَ إلَيَّ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه ، إنَّكَ أَمَرْتَني بالصَّلاة فَمَا الصَّلاةُ ؟ قَالَ : " خَيْرٌ مَوْضُوعٌ فَمَنْ شَاءَ أَقَلَّ وَمَنْ شَاءَ أَكْثَرَ " قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إلَى اللَّه ؟ قَالَ : " الإيمَانُ باللَّه " ثُمَّ ذَكَرَ الْحَديثَ.

صليت متوجهاً لله معتصماً بالله حتى بدا نور المفاضلة

فنالوا بركة إتباعه ، وأصبحوا من أهل شريعته .

والشريعة التي أنزلها الله لجميع رسل الله هي الإسلام : ....

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ الآية ١٩ سورة آل عمران

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ البقرة

إذن فإن الدين عند الله كله هو الإسلام .

واليهودية والنصرانية أقوال بشرية :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ ﴾ آية ١٤ سورة المائدة

لم يقل الله ذلك ! ، ولكنهم هم الذين قالوا على أنفسهم ....: " إنـــا هـــدنا " يعـــني رجعنا ..:

.﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ آية ١٥٦ سورة الأعراف

سمُّوا أنفسهم اليهود ، وسمَّى الآخرون أنفسهم النصارى .

لكن الدين عند الله ، من بدء البدء ، إلى نهاية النهايات ، هو الإسلام ، ولا دين سواه ، قال تعالى في محكم التنزيل (الآية ٧٨ من سورة الحج) :

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾

دين واحد هو الإسلام ، فأخذوا عليه العهد ، وجددوا هذا العهد ، وصلى بهم ركعتين ، ليكون إماماً لهم في الدنيا ، ويوم لقاء الله عَزَّ وَجَلَّ .

وهناك حكَمٌ كثيرة يضيق الوقت عن ذكرها ، من جملتها وليس من تفصيلها :

أن الله ﷻ أجاب للأنبياء ما أخَّره لهم في تحقيق الرجاء بعد لقائهم بسيد الأنبياء ﷺ ، فكلٌ من كان له مطلب أخَّره الله أعطاه الله له في هذه الليلة المباركة ، وعلى سبيل المثال ... فقدطلب موسى من الله أن يراه ! ، وقال كما أنبأنا الله :

﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ الآية ١٤٣ سورة الأعراف

فأمهله الله إلى هذه الليلة ، وقال في حقه :

﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ ﴾ الآية ٢٣ سورة السجدة

وتمتَّع في هذه الليلة بجمال الله مرات ، ظاهراً ناصعاً ساطعاً في حبيب الله ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه : ...

و إنما السرُّ في موسى يردّده   ليجتلي حسن مولاه حين يشهده

ليتمتع بجمال الله ..!!.. ، وكمال الله ..!!.. ، الذي ظهر على حبيب الله ومصطفاه ... بعد قاب قوسين أو أدنى .

☼ أَسْرَارُ العُرُوجِ لِلْعَالَمِ الأَعْلَى

أمَّا بالنسبة لملائكة الله ، والعوالم العلوية ، فلهم نصيب في رسالته ؛ فإن الله لم يجعله رسولاً للبشر ! ، وإنما رسولاً للكل ، قال تعالى (آية ٢٨ سورة سبأ) :...

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾

فهو رسول المرسلين ، والنبيين ، ورسول الملائكة والمقربين ، ورسول الملأ الأعلى ، وما بعد الأعلى ... كما هو رسول أهل الأرض ، ورسول الجنِّ ، ورسول

كل عوالم الله ﷻ .

فكما صرف إليه نفراً من الجن ، وأيضاً في تلك الليلة عندما لم يؤمن به أهل الطائف ؛ أرسل الله إليه نفراً من الجن وهو راجع إلى مكة ، فآمنوا به ، وصدقوا به ، وكانوا نفراً من أهل نصيبين – وهي بلدة من بلاد الشام وهي الآن في تركيا – فآمنوا به ، وكانت من الآيات في تلك الليلة .

ثم أخذه الله ليعْلِمَهُ أنه إن كان قد كذبته هذه الشرذمة من البشر ؟

فإنه قد آمن به الجنُّ ، وآمن به النبيون ، والمرسلون ، وصدَّق به كل أهل علّيّين وعالين من الملائكة المقرَّبين ؛ فلماذا يأسى على هؤلاء ؟ ، ولماذا يحزن على الأشقياء من هؤلاء ؟ ، فأمره الله ألا تذهب نفسه حسرات عليهم ! ، لأنه رسول للكلّ صلوات الله وسلامه عليه .

فذهب إلى أهل كل سماء ليعلّمهم الوحي الخاص بهم من الله ، والمقدار اللازم لهم في شرع الله ، فهل تكليف الملائكة ... كتكليفنا ؟ ...

أبداً ! ، فالملائكة في عبادة ثابتة منذ خلقهم الله إلى يوم الدين ، ولا يرتقون ، ولذلك فقد قال الله على لسان كبيرهم : ...

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ آية ١٦٤ سورة الصافات

أي ثابت ، أما المؤمنون فهم درجات عند الله ، قال تعالى (آية ١١ المجادلة):

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾

فأعطاهم رسول الله ﷺ نصيبهم من الرحمة التي خصَّه الله بها ، وقال لنا مبرزاً علو قدرها وشأنها :...

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء

وكل ما سوى الله ، فهو من العالمين .

فلم يقل الله من " العالَمَيْن "كما يفسرها بعض المفسرين بأنهم الجنُّ والإنس ، ولكن الله قال " العالمين " ..جمع عَالَمْ ، فكل ما سوى الله ؛ له نصيبٌ في رحمة رسول الله التي غمره بها ، وفتحها له مولاه.عَزَّ وَجَلَّ .

فكان يوزع الرحمة على الأنبياء ، والمرسلين ، ثم على الملائكة المقربين ، ولذلك قد عبَّر الله.عَزَّ وَجَلَّ عن الرحمة التي حفَّت بيت المقدس بعد تشريفه بسيد الأولين والآخرين ، فقال عز شأنه : ...

﴿ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ آية ١ سورة الإسراء

وذلك عندما ذهب رسول الله ومن معه من الأنبياء والمرسلين .

وهناك فرقٍ عظيم بين ﴿ بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ وبين ، ﴿ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ آية ٩٧ سورة آل عمران.

فأخذ الأنبياء ، والمرسلون ، والملائكة ، والمقربون ؛ نصيبهم من صاحب الرسالة الأقدس صلوات الله وسلامه عليه .

وتعجبون إذا علمتم شيئاً من علوم أهل الخاصة ؛ فقد كان سيدي عبدالعزيز الدباغ رضي الله عنه رجلاً أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان في بلاد المغرب ، ولكنه بلغ في الصفاء والنقاء والطهر والبهاء لدرجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يغيب عنه أبداً ؛ يقظة ، ومناماً ، حلاً وترحالاً ، وكان إذا سأله سائل يقول :

{{ انتظر حتى أسأل رسول الله ؟ }}

ومن جملة هذه التفصيلات العجيبة .... أنهم سألوه : كيف تتسع الجنَّة ؟ ! ، وبم تنضج ثمار الجنَّة ؟ ..!!..وذلك أنَّ الجنة ليس فيها شمس ولا قمر .

والذي ينضج الثمار في عالم الأرض الشمس والقمر ، فبعض المزروعات تنضجها الشمس ، والخضروات والفواكه جُلُّها ينضجها القمر ، ولذلك فإنها تكبر في الليالي القمرية ، والجنَّة :

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الإنسان

فكيف تنضج؟ ، وكيف تمتد ؟ ، فقال رضي الله عنه مُلْمحاً برذاذ من علوم المكاشفة ؛ وهي العلوم التي يتفضَّل بها الله على أحباب الله ، كشفاً ، وعياناً ، وشهوداً ، وليس اطلاعاً ، ولا قراءة ، ولا بياناً ..... من :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة الأنعام

فقال رضي الله عنه :

{{ إن الملائكة الحافين بالجنَّة ، إذا أراد الله عز وجل اتساعها ! ، أمرهم أن يتحركوا ويصلُّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فتحنُّ الجنَّة إلى أصلها ؛ فتسعى إليهم ؛ فتمتد بأمر الله عز وجل ، وإذا أراد ثباتها ! ، ألهمهم التسبيح والتقديس ؛ فتخشى جلال الله فتنكمش ، وعندما يريد الله إنضاج خيرها ، وتكميل ثمارها ، وتجميل حورها ، وإتمام قصورها وبهائها وبنيانها ! ، هلَّ عليها بالحبيب الأعظم !!! ؛ فيتمُّ كل شيء فيها بطلعته صلوات الله وسلامه عليه ، فدخل الجنَّة ليتم لنا الأمر }}.

وهذه الأسرار التي يحكيها الصالحون والأبرار ، هي التي عليها المدار في كلامنا الليلة عن حكمة الإسراء ، وهي أسرار للأخيار ، والمصطفين ، والأبرار ، والأطهار الذين هم أنتم إن شاء الله عز وجل .

الآيـــــــات الكُبْرَى

هذه الرحلة فيها حكمة لنا أجمعين :

فإن الله فيها يعلي هممنا ، ويفتح المجال لسمو أرواحنا ، حتى نخرق أسوار عـــالم الأكوان ، ونسوح بأرواحنا ، وأنوار قلوبنا في الملأ الأعلـــى ، إلى حيـــث قـــدَّر لنـــا الرحمن عز وجل ، فجعل الله عز وجل حكمة الإسراء لحبيبه ظاهرة في قوله عزَّ شأنه :

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا (١)﴾

لماذا؟

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ الآية ١ سورة الإسراء

الحكمة العليا لكي يرى من آيات الله :

آيات مُلْكيَّة في عالم الأرض ، وآيات روحانيَّة في بيـــت المقـــدس ، فقـــد رأى أرواح النبيين والمرسلين .

وآيات علويَّة وسماويَّة في السموات العلى ، وآيات جنانيَّة في الجنات .

وآيات نورانيَّة في عوالم الأنوار !! ، وآيات لوحيَّة !! ، وآيـــات قلميَّـــة !! ، وآيات عرشيَّة !! ، وآيات إلهيَّة !! ، وآيات قدسيَّة !!.... آيات لا عدَّ لها ولا حدَّ :

و ماذا بياني و العقول عميَّة و لا كم بل و لا كيف في الأكوان

والأسرار ليس فيها كمٌّ !!!!! ، ولا مقدار !!!!.... فكانت الحكمـــة بالنـــسبة للحبيب الأعظم أن يريه الله هذه الآيات .

وفتح الله عز وجل الباب للمصطفين من أمته ، والأخيار من أتباع شريعته الذين

لبسوا ثياب العبودية لله ، وصاروا عبيداً لحضرته .

ولذلك لم يقل الله : "سبحان الذي أسرى بنبيه " ، أو " سبحان الذي أسرى برسوله " ، حتى لا يغلق الباب ! ، بل إنه فتح الباب للأحباب ؛ فقال : " بعبده " .

فكلٌ من تمكَّن من الوقوف بنفسه ، وقلبه ، وروحه ، على أعتاب العبوديَّة ، وتجمل بأوصاف العبيد ! ؛ فله قسط ونصيب من المكاشفات على قدره ، وعلى قدر صفاءه ونقاءه ، حتى يكون من الذين قال الله فيهم

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾

الآية ٣٢ سورة فاطر

أي لهم نصيب في وراثة الكتاب ، وهو ﷺ لبُّ الكتاب ، ونور الكتاب ، وحقيقة الكتاب صلوات الله وسلامه عليه ، فكأن الله يقول لنا في ليلة إسراء ومعراج حبيبنا:

من يريد قسطاً من الأنوار؟ ، ومن يطلب سياحة في عالم الملكوت مع الأبرار؟ ، ومن يريد أن يطَّلع على الكتاب الذي يقول فيه العزيز الغفار (فى سورة المطففين) :

﴿ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢١ ﴾

ولم يقل : "يقرأه " ، ولكن " يشهده " ... بعين اليقين ..." المقرَّبون " ... فيطَّلعون على ما فيه .

كان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه – وهو منهم – إذا جاءه سائل يسأله عن آية في كتاب الله ؟ ، يقول :

{{ انتظر ! ، ثم يغضي رأسه لحظة ! ، ثم يرفعها ويقول : اطَّلعت على اللوح المحفوظ ؛ فوجدت فيه معنى هذه الآية وهو كذا.. وكذا. }}

أين يقرأ التفسير ؟ .. في ألواح العلي القدير.عزَّ وجلَّ !! ، وهل هناك تفسير في ألواح الله ؟ ...إلى ذلك الإشارة في قول الله :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة القيامة

أي هناك بيان عندنا خاص لكتاب الله.عزَّ وجلَّ ، فهؤلاء القوم نما شوقهم ، وعلا سعير الغرام لحضرة الحق في قلوبهم ، وانفتقت المحبَّة في كل أرجاء أفئدتهم لحبيبهم صلوات الله وسلامه عليه ، وأخذوا الطريق القويم ، والمنهج المستقيم ، من الإسراء والمعراج للرؤوف الرحيم صلوات الله وسلامه عليه .

❂ الْمُكَاشَفَةُ بِالْغُيُوبِ

كيف يرى الإنسان الغيوب ؟؟؟

غيوب القلوب ! ، وفي القلوب غيوب ، وأسرار النفوس ؟ ، وكوامن الخواطر ؟ ، وما كتبه الله بقلم القدرة على عوالم الأشياء ؟ ، ليفصح عن أسرارها للعارفين ... والحكماء ... والألبَّاء ؟

فإن لله رجالٌ ؛ تناديهم الحقائق ، وتفصح لهم عما ادَّخره الله.عزَّ وجلَّ فيها من خير للخلائق ، فقد تناديه ورقة في شجرة ! ، وتقول : جعل الله فيَّ كذا وكذا وكذا ، فيأخذ الأسرار منها :

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ الآية ٤٤ سورة الإسراء

كل هذه الأشياء تحتاج إلى أمر واحد بيَّنه لنا الله مع حبيبه ومصطفاه :

فقد كان ﷺ نائماً عند الكعبة ، ثُّم جاءته الملائكة الكرام ؛ فأيقظوه ، وأخذوه ، وشقوا صدره ! ، وأخرجوا قلبه ! ، ووضعوه في طست من ذهب ! ، وغسلوه بماء زمزم [٤] .

وقد جعل الله ذلك ليلاً لتعلم علم اليقين :

أن هذه الأسرار لا تظهر وأنت مشغول بشيء عليه ضوء النهار ، وإنما إذا أردت أن يكاشفك الله بالأسرار ؟ ، فغض عينك عن زينة الدنيا ، وزخرفها ، وبهرجها، واسمع إلى الله وهو يقول لحبيبه ومصطفاه ، أو يقول لنا في شخصه صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾

لماذا يا رب؟ ...﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ سورة طه

أي رزق ربك من العلم الإلهامي ، ومن الفتح الشهودي ، والكشف الرباني ، والنور القدسي ، وخزائن الفضل الإصطفائي ! ، هي خير وأبقى مما تراه وتشهده في عالم الناس ..!!.. ، وليس هناك مجال لقياس .

---

(٤) عن أنس بن مالك فى حديث طويل رواه البخارى فى صحيحه وابن منده فى كتاب الإيمان ، الأسماء و الصفات للبيهقي وغيرها ، ونصه (سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالك ، يُحَدِّثُ عَنْ لَيْلَة أُسْرِيَ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ منْ مَسْجد الْكَعْبَة أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْه وَهُوَ نَائمٌ في الْمَسْجد الْحَرَام فَقَالَ أَوَّلُهُمْ : أَيُّهُمْ هُوَ ؟ ، قَالَ أَوْسَطُهُمْ هُوَ خَيْرُهُمْ ، فَقَالَ : خُذُوا خَيْرَهُمْ ، فَكَانَ تلْكَ اللَّيْلَةَ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جَاءُوا لَيْلَةً أُخْرَى ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ نَائمَةٌ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ ، وَكَذَلكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى احْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عنْدَ زَمْزَمَ ، فَتَوَلَّى جبْرِيلُ عَلَيْه السَّلامُ فَشَقَّ جبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِه إلَى لَبَّته ، ثُمَّ فَرَّجَ صَدْرَهُ وَجَوْفَهُ فغَسَلَهُ بمَاء زَمْزَمَ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ ، ثُمَّ أَتَى بطَسْت منْ ذَهَب فيه نُورٌ منْ ذَهَب ، مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحكْمَةً فَحُشيَ به صَدْرَهُ وَجَوْفَهُ وَأَصْلَ أُذنه ثُمَّ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ ..) وللحديث بقية طويلة .

إذن من أراد الورود ، فعليه أن يغضَّ عين قلبه ، وليس عين رأسه عـن زينـة الدنيا ، فإن الذي غضَّ عين قلبه تنظر عين رأسه ولا يتحرك قلبه لأنه مشغول البـال بالواحد الكبير المتعال.ﷻ :

غض عين الحسِّ و اشهد بالضمير تشهدن يا صبَّ أنوار القدير

هل يستطيع الإنسان أن يرى بالعينين ! ، في وقت واحد ؟

لا يكون ذلك إلا لمن ملك حال نفسه ، وفارق كونه ، ولبسه !.

ولكن في البداية : .... فإن على أهل العناية أن يغضوا عين الحـسِّ ليـصحو ضمير القلب ، ونور الربِّ ! ، فيكشف الله لهم الحجاب .... فيرون بنـور حـضرة الكبير الوهاب.ﷻ .

حُقَيقَـةُ الزُّهْـدِ

فإذا زهد في دنياه ؛ وهذا هو أول بدء لمريد الوصل لله ....

وليس الزهد يعني الترك :

لكن الزهد أن تخلع هذه الأشياء من القلب ، فقد تكون في يـدك ؟ ، لكـن نفسك ليس مشغولة بها ! ، وقد لا تكون في يدك ؟ ، وقلبك يتطلَّع إليها ...!!!؟؟؟؟؟ ، وهذه هي الطامة الكبرى ! ، والمصيبة العظمى ! ..

فإن رجال الله لا يتحركون ، ولا يشتاقون ، ولا يميلون ، إلا إلى ما رغَّبهم إليه الله في كتابه جلَّ في علاه ، وعلموا أن الله قد حقَّر الدنيا ! ، ومن حقارتها عنده أنـه منذ خلقها لم ينظر إليها[٥] ! ، ومن شدة حقارتها عنده أنه لم يعطها لأحبابه ! ، ودفعها

---

(٥) إشارة إلى أحاديث عدة منها ما ورد فى شعب الإيمان للبيهقى عَنْ مُوسَى بْنِ يَسَارٍ ، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ مُنْذُ خَلَقَهَا لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا) .

عنهم ! ، وسخَّرها لهم ، وأمرهم أن يتركوها ، ولا يركنوا إليها طرفة عين ولا أقــل ؛ لأنها إذا حلت ... أوحلت ! ، وإذا أقبلت ... أدبرت !.. .

فالزهد الحقيقي :

أن يزهد الإنسان فيما معه ، وفيما يملكه ، لكن ليس بزاهد من يدَّعي الزهد في شيء لا يملكه ، فإذا ملكه ربما يتغيَّر شأنه ! ، وربما يتبَّدل حاله ! ، لكن الزاهد هــو الذي يزهد فيما هو في يده ، وفيما هو عنده ، كزهد حبيب الله ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه :

وراودته الجبال الشمُّ من ذهب　　　عن نفسه فأراها أيما شمم

ولو تصفحنا في سير الصالحين والعارفين :

لوجدنا قصصاً لا تعد ولا تحصى لكيفية عرض الدنيا عليهم ، وزهدهم فيهــا ، ويضيق المجال عن حصر هذه النماذج والأمثلة ، لأنهم يريدون أن يكونوا علــى قــدم حبيبهم ، لا يلتفتون عن الله طرفة عين ولا أقل .

وقد ذهب رجل منهم إلى سيدي سهل التسترى رضي الله عنه :

{{ وقال له : خذ هذا الشيء لتستعين به على عبادة ربك !! ، قال : أنا ! ، قال : نعم ، قال : انظر !!، فنظر الرجل ! ؛ فوجد رمال الصحراء كلها لؤلؤا ! ، وجواهرا ! ، وقال له : يا هذا ، من يملك مثل هذا ! ؟ ، كيف يحتاج إلى ما معك !!!.}}

وآلاف القصص على هذه الوتيرة ، وعلى هذه الشاكلة .

وقد ذهب للإمام أبي العزائم رضي الله عنه وأرضاه كبير أغنياء الصعيد – وهو محمد محمود سليمان باشا في ذلك الوقت ، وكان قد سجَّل حجَّة بمائة فدان :

{{ وقال له : ياسيدى ، هذه لتستعين بها على الأحباب والمريدين ، فقال : انظر ! ، فوجد خلفه خزانة تفوق خزانة أعظم دولة !! ، مملوءة بالأموال ! ، والمجوهرات ! ، والذهب ! ، وقال : من يملك ذلك !! ؟ ، كيف يحتاج إلى هذا ؟ }}

شيم العارفين ، وطريق الصالحين ، هو طريق سيد الأولين والآخرين ، عندما ذهبوا إليه ، وعرضوا عليه ، وقالوا : إن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا ! ، حتى تكون أغنانا ! ، وإن كنت تريد جاهاً ملَّكناك علينا (٦)، وعرض عليه ربُّه أن تصير الجبال ذهباً له (٧) ! ، ولا ينقص ذلك من مكانته شيئاً !!...

ولكنه قال : لا! ، لأنه قدوة وأسوة حسنة صلوات الله وسلامه عليه .

۞ نُـــــورُ الْقِيَـــــامِ

إذن الليل ... ليعلم الإنسان أن من أراد أن يكون له جاه عند الله ! ، لا بد أن يكون من أهل الليل ! ، وعمَّار الليل ! ، وقوَّام الليل ! ، والجدين بين يدي الله بالليل:

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ ..لماذا ؟

---

(٦) إشارة إلى الحديث المشهور عن ابن عباس والذى روته كتب عدة أَنَّ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ ، وَأَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْب – وذكر الرواى عددا من سادة قريش – اجْتَمَعُوا ، أَوْ مَن اجْتَمَعَ مِنْهُمْ ، بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّد فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذَرُوا فيه ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ : – .....حتى قالوا له – ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ مَالا ، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالا ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ الشَّرَفَ فِينَا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ بِمَا يَأْتِيكَ .،..) وللحديث بقية معروفة .

(٧) إشارة إلى الحديث المذكور فى حلية الأولياء و كتب أخرى بروايات عدة عن ابْنَ عُمَرَ ﷺعن النَّبِيِّ ﷺ قال ((لَقَدْ هَبَطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ مَا هَبَطَ عَلَى نَبِيٍّ قَبْلِي وَلا يَهْبِطُ عَلَى أَحَد بَعْدِي وَهُوَ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ ، أَمَرَنِي أَنْ أُخْبِرَكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا ، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلَكًا ، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعْ ،" فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ : " نَبِيًّا عَبْدًا " فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَوْ أَنِّي قُلْتُ نَبِيًّا مَلِكًا ثُمَّ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِيَ الْجِبَالُ ذَهَبًا))

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء

من يريد المقام المحمود :

فعليه أن يتهجَّد في الليل ، وتكون له نافلة ، وكان أصحاب رسول الله معه في هذا الطابور الليلي : ......

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ الآية ٢٠ سورة المزمل

" تقوم " هنا ... إلى يوم الدين ! ، فهو ما زال قائماً ، وكذلك فإن هذه الطائفة مُقامة إلى أبد الآبدين ، ولذلك فإن أحد الصالحين كان يقول عن الله ﷻ على لسان الحضرة :

الليل لي و لأحبابي أنادمهم
هم أهل ودّي و نور الفجر مطلبهم

{{ ومن لم يكن له في بدايته قومة لم يكن له في نهايته جلسة }}

وهل سمعتم عن أحد من الصالحين ليس له حظ في قيام الليل ؟ ، أين هو دلوني عليه ؟ ، إنهم قوَّام الليل ! ، وإياك أن تظنَّ كما يظنُّ بعض الغافلين ؛ أن قوَّام الليل هم الفارغون من العمل ! ، كأن يقول أحدهم : كيف أقوم الليل ؟ ، وإن كنت سأقوم الليل ؟ ، فكيف أذهب إلى العمل في الصباح ؟

أبو حنيفة رضي الله عنه :

كان يصلي الفجر بوضوء العشاء أربعين عاماً ! ، وذلك لأنه سمع قوماً يقولون : هذا أبو حنيفة الذي يصلي الفجر بوضوء العشاء ، فحافظ على هذه السنة أربعين عاماً ، وإذا أصبح الصباح يذهب إلى السوق ، ويفتح حانوته ، وبعد العصر يذاكر مع

طلابه دروسه إلى منتصف الليل ، ولا ينام إلا هجعة قليلة ما بين الظهـــر والعـــصر ، يبارك الله فيها ؛ فيقوم من النوم وكأنه نام دهراً طويلاً .

إذن لا بد من قيام الليل لمن أراد أن يكون من أهل هذا المقام .

۞ طُهْـــــــرَةُ الْقَلْبِ

فإذا زهد في الدنيا ، وقام بين يدي الله ....

فعليه أن يقبل على قلبه ، ويفتحه بكتاب ربِّه ، ويطهِّــره بـــالعلوم الوهبيَّـــة والأسرار القرآنيَّة ، من البشر الذين هم في صورة الملائكة العلويَّة .

فهم بشرٌ ؛ لكن الله اصطفاهم وجعلهم دعاة للخير على قدم ســـيد البـــشر ، فمعهم العلوم الإلهامية التي تغسل النفوس ، وتطهر القلوب .... من الحقد ، والحسد ، والبغض ، والكره ، والشحِّ ، والبخل ، والأثرة ، والأنانية ، وكل الصفات الإبليسية والحيوانية المردية ، والتي هي حجب تمنع القلوب عن رؤيـــة المكاشـــفات والأســـرار الربانية :

و اغسل فؤاداً بماء جمع   صفا فهذا إليَّ يدني

كيف نغسل هذا الفؤاد ؟

بماء الغيب ! ، وهو العلم الوهبي النازل في الحال من سماء فضل الله عز وجل .

وكان شيخ العلماء وسلطان العلماء العز بن عبد السلام ، عنـــدما يتحـــدث سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يخرج ويدعو الناس ويقول :

{{ هلموا لتستمعوا إلى هذا العلم الحديث عهد بالله عز وجل .}}

وكانت سنته رضي الله عنه لأحبابه :

{{ أن يقول لهم : .... لا تحدِّثونا عن الآخرين ! ، ولكن حـــدَّثونا بما فتح الله.عَزَّ وَجَلَّ بــــه عليكم }}.

يعني لا تأذن لنفسك في التحديث !! : حتى يفتح الله عليك ويرزقـــك العلـــم الخاص بك ! ، فتتحدث عن الله ؟ ، بما ألهمك الله.عَزَّ وَجَلَّ .

هذه العلوم هي التي تنظِّف القلوب ، وتطهِّر النفوس .

وفيها يقول إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه عندما وقف أمام البحر الأبيض المتوسط ، وكان يعرف ببحر الروم : ...

قليلك قد يطهر كلّ جسمي	**يطهر بحر روم كلّ رسمي**
و قلبي لا تطهّره بحار	**يطهّره العلي بنيل علم**

وهو العلم المكنون الذي يطهِّر [٨] ، لكن متى يطهِّر العلم المكنون ؟

بعد التسليم !

لأنهم لم يشقُّوا قلب النبي حتى أرقـــدوه ، ولم ينـــازعهم ، ولم يعارضــــهم ، ولم يمنعهــــم ، فلم يقل لهم مثلاً : ستقتلونني ! ، ولكنه سلَّم [٩] ، إذن لا بد من التسليم :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة النساء

لا بد من التسليم الكامل !

---

(٨) راجع كيف يفتح الله بفتوح العلم الإلهامي على قلوب العارفين بمعان لا تنته ، واقرأ كيف تناول أستاذنا نفس الموضوع بفتح آخر ، راجع الباب الأول صفحة ٢٢ " حقيقة صلاة الله على عباده ".(الناشر) .

(٩) انظر صفحة ٣٨ بنفس هذا الفصل ، حاشية سفلية رقم (٤) .

وبعد التسليم ؛ ينفع التعليم ! ، وقبل التسليم فإن التعليم ... نفعه عـــديم ! ، حتى ولو مكث مع العارف عشرات السنين ! ، فلا ينتفع به... لأن أول الانتفاع أن :

﴿ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

فلو أن هناك شكٌّ في نفسه ، أو حرج في ضميره أو قلبــه ؛ توقَّــف ! ، لأن أساس الانتفاع هو العقيدة ، قال سيدي عبدالوهاب الشعراني ﷺ وأرضاه في مننه الكبرى :

{{ إن إمداد المريد من شيخه ؛ عن رسـول الله ﷺ ، يأتيه مدد رسول الله عن طريق شيخه ببركة الإعتقاد فيه ، فإذا حرم الإعتقاد ؛ حرم النفع ببركة شيخه }}

لا بد من التسليم التام ! ،وانظر إلى تسليم سيد الأنام في يد الملائكة الكرام :

أخذوه ، وأرقدوه ، وشقُّوا صدره ، وأخرجوا قلبه ، فلم يشْكُ ! ، ولم يتأوه ! ، ولم يتوجع ! ، ولم يتبرم ! ، لأنه يعلم أنهم كما قال الله في شأنهم ..... وهذا أيـــضاً حال العارفين بربهم :

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾

وإياك أن تظن أنه نسي ...

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة مريم

أو تقول أذكّر الشيخ !! ، ظناً منك أنه نسي هذا الأدب ؟ ، أو نـــسي هـــذا الموضوع ؟ ، فاعلم أنه لا ينسى ..... لأنه يمشي بأمر الله ﷻ .

فعليك إذن أن تسلّم كالحبيب الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ... حيث شقُّوا صدره ، وأخذوا حظَّ الشيطان وألقوه .

❂ أَسْـرَارُ أَهْـلِ الْعِرْفَـانِ

وكذلك العارفون والحكماء الربانيُّون ...

إذا سلَّم لهم المريد قلباً وقالباً ، على أن يكون التسليم بشرع الله ، وعلى منهج كتاب الله – حتى نُخْرِج من يسلِّمون أنفسهم للجهلاء بالله ! ، أو لمن يدَّعون حالاً مع الله – وهذا التسليم .... يجعل الرجل الصالح يلقي عصا روحه ؛ فإذا هي تلقف مـا تصطنعه النفوس ! ويباعدك عن حضرة القدوس.ﷻ : ....

﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة الشعراء

من الخواطر النفسيَّة ، والخواطر الدنيويَّة ، والخواطر الشيطانيَّة ، وخواطر المعصية ، فيأخذ الشيخ بحاله هذه الخواطر !! ، ولا يأذن في ساحة قلبك إلا بخاطر ملكيّ ، أو خاطر رحمانيّ ؛ فتمشي بأمر الله لما يرضي الله ، وتصبح ممن قال فيهم الله :

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ آية ٦٥ سورة الإسراء

ويمدُّه بالخاطر الملكي ، والخاطر النوراني الرباني ، والخاطر الروحاني ، ويمشي بأمر الله لما يحبُّه الله ويرضاه ؛ فتنكشف الحجب .... حجاباً وراء حجاب .

فإذا كُشف حجاب النفس ..... أقبل هذا العبد بالكليَّة على طاعة الله ؛ فتجده في كل أحواله وأوقاته مع الله ..... إما في ذكر ، أو في علم ، أو في عبادة ، أو في طاعة ، أو في خدمة لله.ﷻ .

فإذا استدام هذا المدام – وهذه الطاعة لها لذة أعلى وأغلى من لذة أي مـــدام يشربه أي إنسان في الوجود !! .... يشعر بها أهلها ويستطعمها القائمون بها – فـــإذا واظب على ذلك ؟ ، كشف حجاب الجسم عند النوم !

فإذا نام ؛ صعدت روحه إلى عالم الطهر والصفاء ؛ فيرى في نومـــه مـــا يـــراه الأتقياء ، والأنقياء ، والصالحون ، والأولياء .... رؤيا صادقة ، ولكنه يحتاج عندها إلى الرجوع إلى العارف ؛ ليثبِّت قدمه ؛ حتى لا يضلَّ في هذا المنزلق الخطير !!! لأنـــه إذا تزايدت عليه الرؤيات ؛ ربما يغترُّ ... فينضرُّ .

إذ لا بد له من بيان وتأويل من رجل من الصالحين ؛ حتى يثبِّته علـــى النـــهج الصحيح للنبي العدنان صلوات الله وسلامه عليه ، فإذا استدام هذا الحال ، وراقبتـــه عين العناية من الرجل الذي أقامه الولي الوال ؛ فتح الله له عين سريرته ، ويشعر أن في عينك كذا ! ؛ فيخبرك عنه ! ؛ فتتعجب ! ؛ كيف رأى ذلك ؟

وقد يحكي لك وقائعاً حدثت معك في النوم ! ؟ ، أو في اليقظة ! ؟ ... فتقول : كيف عرف ؟ ......

وهو بلسان الحال يقول : ....

﴿ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ سورة التحريم

وهذا هو الإلهام ! .

فيتفضل الله عليه بهذا الإلهام ؛ ثم يمنُّ الله عليه .... برفع غطـــاء وراء غطـــاء ، حتى يكون من أصحاب الكشف التام ! ، فيبصر في النور ، كما يبصر في الظـــلام! ، ويرى ما في القلوب كما يرى على صفحات الأجسام ! ، ولا يشغله ذلك كله نفـــساً ولا أقل !!! ، عن إقباله على الملك العلام سبحانه وتعالى .

حكم كثيرة ! ، وأحوال عظيمة ! ....

وأرجوا من إخواني جميعاً ؛ أن ينتبهوا لما فيها ، وأن يُعْلوا هممهم ، وأن يجعلوا الحق مقصدهم ، والحبيب إمامهم ، ويتوجهون إليه في كل وقت وحين بقلوبهم متعرضين ، وبأفئدهم سائلين ، ولسان حالهم يقول : أنظرنا

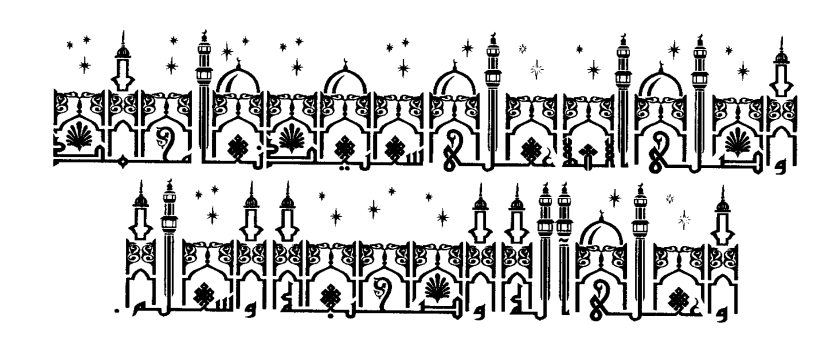
أنظرنا ..... (واسمعوا) .

اللهم اجعلنا من أهل نظره ورضاه .

واجعله ينظر إلينا في كل وقت وحين نظر شفقة وحنان ورضا وامتنان !!! ، نظراً يرفع حالنا ، ويصحِّح قصودنا ، ويضمن لنا السعادة في عاقبتنا.

اللهم اجعلنا من أهل قربك ووِدادك ، وأنزلنا دائماً وأبداً مع أهل إرشادك .

ووفقنا لما تحبُّه وترضاه ، واكشف عنا كل حجاب ! ، حتى نكون من الناظرين إلى عليِّ الجناب ، ومن الممتعين بالأحباب الذين يرفع عنهم النقاب ، ويكونون مع الذين أنعم الله عليهم في الدنيا ويوم الإياب.



الْبَابُ الثَّالِث

عَطَـــاءُ الصَّـــادقِينَ
مِنْ إِسْـــرَاءِ النَّبِيِّ الأَمِينِ

- أُصُـــولُ الْوصُـــولِ
- رَمْـــزُ أَسْـــرَى
- عَطَـــاءُ الصَّادقِينَ
- جِهَـــادُ الْمُتَمَكِّنِينَ
- أَدَبُ أَهْـــلِ الْعِنَايَـــةِ
- حَقِيقَـــةُ الْمَعْرِفَـــةِ

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ①﴾ سورة الإسراء



منظر للمسجد الأقصى بالأقمار الصناعية من ارتفاع حوالى ٧٥٠ متر.
(يمكنك الإطلاع على الصور من موقع www.GoogleEarth.com)

الباب الثالث

عَطَاءُ الْصَّادقينَ منْ إسْرَاءِ الْنَّبيِّ الأَمينِ [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ....

الذي أنعم علينا بحبيبه ومصطفاه ، ورفع شأننا بإتباعه ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس في هذه الحياة .

اللهم صلّ وسلم وبارك على مصدر الرحمات ، ومهبط البركات ، وشاشة التجليَّات ، وكنز العطايا والهبات ؛ سيدنا محمد وآله وأصحابه ورَّاث هذه الحضرات ، ونوابه في توزيع هذه النفحات ، وعلينا معهم أجمعين ، بمنِّك وفضلك وجودك يا أرحم الراحمين ...... أما بعد ....

فيا إخواني ويا أحبابي بارك الله عز وجل فيكم أجمعين :

كم كنت مسروراً عند استماعي إلى إخواني الذين سبقوني بالحديث ، وذلك لأني أريد أن أستمع إلى إخواني ، فإن الله عز وجل قد خصَّ كل إنسان بمزايا لم يعطها لغيره من بني الإنسان ، وأهل الأمة المحمدية هم الأشجار الجنانيَّة .... فكل شجرة لها ثمارها ، وكل ثمرة لها طعمها ، ومشامها ، ولها لونها ، ولها خصوصيتها من واهب الفضل العظيم عز وجل .

وكنت أود أن أستمع من إخواني للمزيد ؛ لأن مزيد فضل الله عز وجل لا يعدُّ ولا يحدُّ ، ولكنكم أكرمكم الله عز وجل ؛ آثرتموني على أنفسكم ؛ فأكرمكم الله بوصف

---

[1] كانت هذه المحاضرة في الإحتفال بليلة الإسراء والمعراج بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – محافظة الجيزة يوم الخميس ٢٤ من رجب ١٤٢٢هـ الموافق ١١من أكتوبر ٢٠٠١ بعد صلاة العشاء.

الإيثار ، والإيثار خير خلق مدح الله عَزَّ وَجَلَّ به الأنصار .

والحديث الذي طلبته قلوبكم ، وتودُّ أن تستمع إليه أفئدتكم عن الإسراء والمعراج ، ليس ما رواه الرواة ، وما تحقق من صدقه علماء الحديث ، لأنكم – والحمد لله – ربما تحفظونها أكثر مني .

لكننا جميعا نريد أن نأخذ منها قطوفاً يانعة ... ، وثماراً دانية .... ، تنعش القلوب ... ، وتطهِّر النفوس ... ، وتهيِّم الأرواح ... ، وتجعلنا جميعاً نستبق إلى متابعة حبيب المنعم الفتاح ﷺ .....

فحديثنا الليلة عن الإسراء والمعراج من الناحية السلوكية :

وهي نصيب السالكين الصادقين من إسراء النبي الأمين ، والنفحات والعطايا التي جعلها الله عَزَّ وَجَلَّ للعارفين ، والواصلين ، ببركة إتباعهم لسيد الأولين والآخرين صلوات ربي وسلاماته و بركاته عليه ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الطيبين .

☼ أُصُولُ الْوصُولِ

والحقيقة يا إخواني .....

أن هذه الحادثة ، لم تترك صغيرة ولا كبيرة يحتاج إليها السالك ، أو الواصل ، أو المتمكن ، إلا وضَّحتها ، وبيَّنتها بأجلى بيان ، ولكنها تحتاج إلى استجماع للحقائق الباطنة ، وتوجه بالكليِّة للحضرة المحمديَّة ؛ لنستمد منها عطاءات الله لها الربانيَّة ، وخفايا هذه الرحلة التي جعلها الله فيها لأهل الخصوصيَّة.

فما الجهاد .... الذي يوصِّل السالكين إلى مقامات الواصلين والعارفين ؟

بينته هذه الرحلة المباركة ! ....

وما نصيب السالكين من فتح الله ؟ .....

وما نصيب العـــــارفين من عطاء الله ؟ ......

كـــــــــــل ذلك كان في قول الله عز وجل : ......

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ سورة الأحزاب

إذن ! ... فإن مهمات السالك ، ومعدات الواصل في هذه الآية :

أن يكون أمام عين بصيرته ... ، ودائماً مكشوفاً لأنوار سريرته .... ســـجايا الحبيب ، وخلق السيد السند العظيم ، ولا يتحول عنه طرفة عين ولا أقل !! ليكون له أسوة حسنة في كل أمر .

وأن تكون نيته في هذا الاستحضار ، أو الحضور ، إما لله ، وإما طلباً للمنـــازل العالية في الدار الآخرة عند الله عز وجل .... ، وقوته ، وطعامه ، وغذاءه ، وشرابه : ..

﴿ لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٢)

هذا هو الأساس !!!!

ومن ترك هذا الأساس لحظة ! ؛ دخل في قول الإمام الجنيد رضي الله عنه:

{{ لو حصَّل السالك ألف مقام في ألف عام ، ثـم التفـت عـن الله عز وجل نفساً ؛ لكان ما فاته في هذا النفس ؛ أكثر مما حصَّله في الألف عام }}

إذن ! ... على السالك أن يعدَّ نفسه :

---

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده ، و البيهقى فى سننه الكبرى ، وفى مصنف ابن أبي شيبه ، عن عن عبد الله بن بسر أن أعرابيًا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ فأنبئني منها بأمر أتشبث به ، قال ﷺ: (الحديث) .

بأن يجعل أسوته ، وقدوته في يقظته ، ومنامه ، وحلّه ،، وترحاله ، وأكله ، وشرابه ، وعمله ، وكل شيء له ...... !!!!! على منوال رسول الله ، وعلى سنة حبيب الله ومصطفاه .

وأن يحرص دائماً أن تكون نيَّته عند كل عمل ... ، وأن يكون قصده في كل أمل ... ، وأن يكون رجاءه في كل سعي ... ، وأن تكون غايته في كل همة ...:

هي وجه الله ! ، والدار الآخرة .

ولا نعلم في السابقين ، أو اللاحقين ، سالكاً فتر لحظة عن ذكر ربِّ العالمين.وَجَلَّ ؛ لأن المطلوب عظيم ، والعمر قصير ، ومن يطلب الله.عَزَّ وَجَلَّ لا بد وأن يجدَّ ، ويكدَّ ، ولا ينتهي الجدُّ ، والكدُّ ، إلا إذا تمَّنَّى ... فنال ما تمَّنَّى .... ومن خطب الحسناء لم يغله المهر.....

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ الأحزاب

وهذه آيتنا أهل العناية ، وآيتنا أهل البداية ، وكذلك آيتنا أهل النهاية :

لأن بها كمال الولاية ! ، وفيها وبها تُفْتح خزن العناية لمن أكرمه الله بالولاية ، ورفع له عند الحبيب ﷺ راية ! ، فمن ظن أنه انتهى من طور الجهاد !! ، فقد ساق نفسه إلى حضرة البعاد ...... وقد قال سيدي وإمامي الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

{{ لا ينتهي جهاد النفس حتى مع كمَّل العارفين ، إلا مع خروج النفس الأخير }}

وطالما أن الإنسان فيه نفس يتردَّد ! ، لا بد وأن يكون في جهاد دائم ! ، ولا يقرُّ له قرار ، ولا يهنأ له بال ، حتى تقع عين قلبه على عين الواحد المتعال.عَزَّ وَجَلَّ .

ورحلة الإسراء والمعراج ، لمن أراد أن يكون من أهل الخصوصيَّة ، وأن يسجل إسمه في ديوان المعيَّة المحمديَّة ...

ومن أراد أن يجاهد ، بعد أن حصَّل ما ذكرناه من أدوات الجهاد ، واستدام عليها ؛ طمعاً في عطاء المنعم الجواد ، لا رغبة في شهرة ، ولا حرصاً على مريدين ، ولا أملاً في أن يكون له جاه بين الخلق أجمعين ، لأنه لا يقصد في أمره كله إلا رضاء رب العالمين.عز وجل :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ٥سورة البينة

هذه هي رغبته ، فعليه أيضاً أن يقلّم تطلعات النفس –كما نقلّم أظافر اليد–:

لأن النفس دائماً ما ينبت لها تطلعات ، وتأتي لها أهواء ظاهرات ، أو خفيَّات ، لا يكشفها الله.عز وجل للمرء إلا بصدقه في التوجه لحضرة الله ، ودوام المتابعة لحبيب الله ومصطفاه .

فلو تابع هواه ، أو نفسه ، طرفة عين :

حدث له البعد ، ونزلت ستارة الأين والغين ؛ فحجبته عن رؤية العين ، ويظن أنه في مقام عظيم !! ، مع أنه عند هوى نفسه ... مريمٌ ومقيم ، والجاهل من الأكوان مناه ، وهو يظن أنه يعبد الله !! .

فمن يريد أن يكون من أهل المعيَّة المحمديَّة ، ويتفضل الله عليه بعطاء أهل السابقيَّة ، ومنح أهل الخصوصيَّة – وهذا مقام – وحديثنا لأهل هذا المقام .

أما من يريد دار الرضوان ، أو درجة في الجنان ، أو الأمان من النيران :

فهذا مقام سهل ! ، قد يسَّره الله علينا بني الإسلام ؛ ما دمنا نحافظ على تعاليم المصطفى الظاهرة ..... عليه أفضل الصلاة وأتمُّ السلام .

۞ رَمْــزُ أَسْــــــرَى

فكنز الولاية لأهل العناية ؛ تفك رموزه في هذه الرحلة !!!!!...

وقد جعل الله عز وجل أسرار الإسراء في كلمة أسرى : ....

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾ الآية ١ سورة الإسراء

ففي ألف البداية ؛ كاشفه الله عز وجل بياء النهاية ، وبينهما سرُّ أهل العناية :

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة النجم

فجهاد السالكين في بداية سيد الأولين والآخرين ؛ بأن يُقبل على قلبه ، ويركّز البصر على ما في فؤاده ، ويطهِّره مما سوى مولاه ، ولا يجعل فيه شـيئاً لغـير وجـه الله عز وجل ...... كما حدث مع رسول الله ﷺ .

ومن يجاهد في العبادات – كأن يقيم الليل ، ويصوم النهار ، ويجتهد في تـلاوة القرآن ، وما ورد من الأذكار والأعمال – مثل هذا نسمِّيه من الأبرار ... ، ويأخـذ على عمله أجراً عظيماً .... ومنزلة كريمة في دار القرار : ....

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ .... ماذا لهؤلاء ؟

﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ آية ١٠٧ سورة الكهف

أي أنه سيأخذ أجره هناك !! ، لكن من يريد المقام الأعظم .....

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ .... وهذا مقام آخر .....

﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـٰلِحًا ﴾ لكن هذا العمل معه نيَّـة مهمَّة .. ...

﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ سورة الكهف

فمن أراد بلوغ مقام الواصلين ؛ فإن جهاده في طهارة القلب :

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة الشعراء

وقال في ذلك سيدي وإمامي الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

عندما كان في طَوْرٍ أُخذ فيه بالكليِّة عن الحضرة الجسمانيَّة ، و وُجه بالحضرة العليَّة ! ، فغاب عن نفسه ! ، وكان كما قال الله عز وجل : (..... كنت لسانه الذي ينطق به .....) ، وقد قال في هذا المقام : .....

فرِّغ القلب من سوانا ترانا يا مريداً جمالنا وبهانا

هذا هو جهادك ......

أن تفرِّغ القلب مما سوى الله ، وأن تجعله خالصاً لله عز وجل ، فعليك أن تخرج منه الهوى .... وهو أول داء يمنع السالكين من مدد سيد الأولين والآخرين : ...

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ٢٦ سورة ص

فلا يوجد سالكٌ له هوى !! ، لأن هواه كما قال صلى الله عليه وسلم :

﴿ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ [٣] ﴾

لأن هواه مع الله ، وما يحبُّه سيِّدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا تحقق بهذا الجهاد .... وصفى القلب ... فوراً ....

إذا صفا القلب من وهم و شبهات
يشاهد الغيب مسروراً بآيات

وإذا لم يشاهد ..؟؟؟ ...

([٣]) مرويّ في فتح الباري ومشكاة المصابيح ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

فإنه يحتاج لمزيد من الجهاد ، وهذا الجهاد لا يصح ! ، ولا يتمُّ ! ... إلا مــع طبيب رباني ، وخبير قرآني ، أمره بذلك العلي ﷻ .

لأن الله ﷻ .... وهو الذي يعلم أنه ما هناك قلبٌ أتقى ، ولا أنقى ، ولا أرقى ، من حبيب الله ومصطفاه ! ...ومع ذلك أرسل نفراً مــن الملائكــة الكــرام ؛ ليشقوا بطنه ! ، ويغسلوا قلبه بماء زمزم .... ليعلّمنا :

أن الإنسان مهما بلغ !! ... :

لا يستطيع أن يتمَّ هذا الأمر لنفسه بنفسه، وإنما يحتاج لمن يقوم له بــه بــأمر ربِّه ﷻ ؛ فيحتاج إلى طبيب أمره ربُّ العزة بهذه الأعــمال ، وصرح لــه بــذلك حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

وإذا ذهب إلى الطبيب : ..... وكاشفه بما هو معيب ، وتحمَّــل هــذا المقــام المهيـــب – لأن الإنسان لا يحبُّ أن يكاشفه أحدٌ بما هو فيه .. وإذا كوشف بعيب فيه ؛ ربما يشــرد ! ، وربما يثور ويغضب ! ، وكلُّ ذلك هو علامة منازعــة الــنفس الإبليسية ، ودليل على أن جمرة الغضب لم تنته في نفسه بعد ، متى تنتهي جمرة النفس ؟ ، ... إذا كان القدح أحبُّ إليه من المدح ! ، وإذا شجَّع من حوله وقــال : "**رحم الله إمرئً أهدى إليَّ عيوب نفسي**"[٤]– فـــإذا وصل لهذا المقــام علــى التحقيق :

يعلم أنه قد وضع قدمه على قدم الصدِّيق ، وأن هذه بداية سلوكه للطريق .

أما إن كان يحزن من هذا إذا نصحه ، ويغضب من هذا إذا كاشفه بعيب لــه ، أو فيه ، بل ربما يتخذ موقفاً ! ، أو ربما يتحوَّل ويُحوِّل الأمر إلى عداوة !!! : ...

فإن ذلك دليل على أن النفس ما زالت كامنة !!!! ، وإن كانت في الظاهر

---

(٤) إشارة إلى القول المأثور عن عمر بن الخطاب ﷺ (رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي) .، ورد ف سُنَنُ الدَّارِمِيِّ ، في رِسَالَةُ عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ الْخَوَّاصِ الشَّامِيِّ .

ساكنة ! ، إلا أنها لم تنتهِ كما يحبُّ ربُّ العباد من العباد .

❁ عَطَـــــاءُ الْصَّادقِينَ

وإذا ماتت النفس .... فإن علامة الموت :

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ .. ﴾

ما عطاؤه ؟ ......

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ آية ١٢٢ سورة الأنعام

يرى كما يرى سيِّد الورى : ..... يرى الآيات الْمَلَكيَّة ؛ فـــيرى خـــواطر النفوس ، وتجول روحه وقلبه في غياهب القلوب ، ويكاشفه الله بالمحجوب ، .... لكنه قد رزقه الأدب .... الذي به لا يفصح عن العيوب ؛ حرصاً وخوفــاً علـــى أســـرار حضرة علام الغيوب .

وهذا هو مقام السالكين ؛ يرون حقائق الأشياء ، وفيهم يقول إمامنا رضي الله عنه :

فتى من شاهد المجلى و نال السرَّ و ارتاح
وغنَّى بالحقائق من رأى الأشباح أرواح

فنحن نرى ظاهر الإنسان ، وهو بعين قلبه ... يريه الله غيوب باطن الإنسان ؛ ولذلك يفيض الله على صاحب هذا المقام – وهو من أهل البدايات ، لكن له عند الله عنايات – يفيض الله عليه من مقام :

﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ الآية ٢٧٣ سورة البقرة

فينظر إلى شاشة المرء – وهي السيميا – فيعلم ما يدور في خلجات قلبه !!! ،

ويرث مقام : ....

﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ الآية ٣٠ سورة محمد

فيعرف من فلقات اللسان ؛ خبايا ما في جنان الإنسان .

وهي رؤية الإسراء التي رآها سيد الأنبياء ، وبيَّن الله لنا أنه مع أن الله علَّمه ما لم يكن يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيماً ؛ إلا أنه احتاج أن يرجع في كل مشهد إلى صاحب الروح .... لأن معه فتوح أعظم ؛ ليكشف له اللبس ، ويبين له حقيقة المشهد ، حتى لا ينفرد السالك .... إذا رأى مثل ذلك ، ويظن أنه واصل ، فيكون بذلك هالك ..!!!

لأن بعض السالكين ، بمجرد أن يرى رؤية منامية ! ...:

يظنُّ أنه وصل إلى مقامات الولاية ! ، وينقطع عن صحبة العارفين !! ، فإذا كاشفه الله ببعض المشاهد الكونيَّة ، يظن أنه قطب الوقت ! ، ويطلب مدح المريدين! ، وثناء العلماء والواصلين ! ، ويستغني عن العارفين !!! ...

في حين أنه يحتاج إلى من يفك له رموز هذه المشاهد ؟؟؟؟ ، كما حدث مع النبي الشاهد ﷺ .

۞ جِهَادُ الْمُتَمَكِّنِينَ

فإذا انفرد السالك في هذا المقام ....

بالرغبة الخالصة الأكيدة في وجه الله ، ولم يشغله مشهد ، ولا خواطر ، ولا غيوب .... عن حضرة علام الغيوب ﷻ ؛ يكرمه الله ... فيجمع له همم السابقين ، وأنوار الأنبياء والمرسلين ، وعلوم الأولين والآخرين ، ليتأهل للمقام الأعلى للعروج

إلى ملكوت رب العالمين.عز وجل .

فيجمع الله.عز وجل له حقائقه الباطنة :

وفيها ... وبها .... يجمعه الله.عز وجل على عوالم التعيين ؛ فتلقح روحه من أرواح الأنبياء والمرسلين ؛ بما به يتأهل لأنوار ملكوت ربِّ العالمين.عز وجل .

فإذا أراد الله.عز وجل له التمكن في الوصول ؛ فله مجاهدات أعظم ، ومشاهدات أكرم .... : يجاهد أولاً في التخلُّق بأخلاق الله ؛ ليكون خليفة عند مولاه ، فيكرم بأن يرفعه الله إلى السماء الأولى ، وفيها خليفة الله آدم عليه السلام : ...

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ الآية ٣٠ سورة البقرة

لماذا كان آدم خليفة ؟ .....

لأنه تخلَّق بأخلاق الله ، وأسماء الله .

وصفات الله للتخلُّق ، واسم ذات الله (الله) للتعلُّق .

والأسماء والصفات ، ليست للذكر باللسان ، وإنما هـي للتخلـق بـالجوارح والقلب والجنان ، كما أمر الرحمن ، وقال على لسان النبي العدنان ﷺ :

﴿ إنَّ للّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً ، مِائَةً إلاَّ وَاحِداً ، مَنْ أَحْصَاهَا ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ [٥] ﴾

ولم يقل : " من ذكرها " ، أو " من جمعها " ولكنه قال : " من أحصاها " :

أي تخلَّق بها في نفسه ، وصار ظاهراً بها بين الخلق ، متشبِّهاً على قدره بصفات ربِّه ، فيفتح الله.عز وجل له أبواب الجنان ، وكان كما يقول الرحمن :

---

(٥) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة الأنعام

فمن تخلَّق بأخلاق الله :

فتح الله عين قلبه ؛ فرأت ملكوت الله في السماء الأولى حيث آدم وذريته عليه السلام ، ويرى أهل السعادة ويعرفهم ، ويرى أهل الشقاوة ويعلمهم ؛ كما كان ينظر آدم لمن على يمينه ويتبسم ، وينظر لمن على شماله ويبكي ، فقيل :

ما هذا يا جبريل ؟ ... قال : هذا آدم ! ، وهذه نسم – يعني أرواح بنيه – فمن كان على يمينه فهم أهل الجنَّة – أو أهل اليمين– ومن كان على يساره فهم أهل النَّار –أو أهل الشمال – على حسب اختلاف الروايات [٦] .

منهم من يراها في ملكوت السموات ، ومنهم من يرى في يمينه أهل اليمين ! ، وفي يساره أهل الشمال ! ، ومنهم من يرى في الخلق : .....

﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ الآية ٢٧٣ سورة البقرة

ومنهم من يكاشفه الله ﷻ بحقائق الأشياء في لوحه المحفوظ ؛ فيرى الرموز ، بعد أن يفكَّها الله له من طلاسم الكنوز .

فإذا أكرمه الكريم ﷻ ، وأراد أن يسوقه لمقام أعلى من هذا .... نفخ فيه مولاه بروح من عنده ، قال تعالى فى (آية ١٥ سورة غافر) :

---

(٦) عن أبي ذر رواه البخارى فى صحيحه ، وفيه : (فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جبْرِيلُ لخَازِن السَّمَاءِ الدُّنْيَا : افْتَحْ . قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا جبْرِيلُ قَالَ : هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَعِي مُحَمَّدٌ قَالَ : أَأُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَلَمَّا فُتحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمينه أَسْودَةٌ وَعَنْ يَسَاره أَسْوِدَةٌ ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمينه ضَحكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شمَاله بَكَى ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بالنَّبيِّ الصَّالحِ ، وَالابْنِ الصَّالحِ قَالَ : قُلْتُ : يَا جبْرِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا آدَمُ عَلَيْه السَّلَامُ وَهَذه الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمينه وَعَنْ شمَاله نَسَمُ بَنيه ، فَأَهْلُ الْيَمينِ أَهْلُ الْجَنَّة ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتي عَنْ شمَاله أَهْلُ النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمينِه ضَحكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شمَاله بَكَى) وللحدبث بقية طويلة وروايات عديدة

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾

فإذا نفخت فيه الروح الإلهية الذاتيَّة ! ، وليست الروح التي تحرِّك الأجساد الناسوتيَّة ...... قوى عزمه .... واشتدَّ أمره .... فأخذ الأحكام والافعال بقوة :

﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ الآية ١٢ سورة مريم

في هذه الحالة ...:

ربما لا يأكل إلا كلَّ أيام طعاماً ! ، وربما يسهر الليالي ! ، ولا ينام ! ، وربما يمكث السنين لا يغفل طرفة عين عن ذكر الملك العلام !!! ، لأن الله قوَّى عزمه ، فيكون في مقام الروح عيسى ، وفي مقام قوة يحي .

فيكرمه الله بالسماء الثانية [٧] ، وهي الدرجة الثانية من درجات أهل الفتوة .

ويكشف له عن عطاء هؤلاء من أهلّ النبوَّة ؛ فيكرمه الله ﷻ ويعطيه المقام العيسوي ، ولكنه في عالم الشرع المحمدي ، يكون عطاءاً معنوياً ، فينبئ الصالحين بما ادَّخره لهم في لوحه المحفوظ من كنوزه ربَّ العالمين ، وما يجول في خواطرهم ، وفي

---

(٧) ترتيب الأنبياء فى السموات إشارة إلى الأحاديث العديدة التى وردت فى ذلك منها ماأورده البيهقى فى دلائل النبوة عن أبي سعيد الخدرى ﷺ ، وهو حديث طويل نورد منه الجزء المحتوى على الترتيب (. ثُمَّ صَعِدْنَا إِلَى السَّمَاء الثَّانِيَة فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ قَدْ فُضِّلَ عَنِ النَّاسِ بِالْحُسْنِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِب . قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا أَخُوكَ يُوسُفُ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِه فَسَلَّمْتُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاء الثَّالِثَة ، فَإِذَا أَنَا بِيَحْيَى وَعِيسَى وَمَعَهُمَا نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِمَا ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَا عَلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاء الرَّابِعَة فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيس قَدْ رَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَي السَّمَاءَ الْخَامِسَة فَإِذَا أَنَا بِهَارُون وَنِصْفُ لِحْيَته بَيْضَاءُ وَنِصْفُهَا سَوْدَاءُ ، تَكَادُ لِحْيَتُهُ تُصِيبُ سُرَّتَهُ مِنْ طُولِهَا ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيل مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا الْمُحَبَّبُ فِي قَوْمِه ، هَذَا هَارُونُ بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِه ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَيَّ . ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَى السَّمَاء السَّادِسَة فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى بْن عِمْرَان – رَجُلٌ آدَمُ كَثِيرُ الشَّعْرِ ، لَوْ كَانَ عَلَيْه قَمِيصَان لَنَفذَ شَعْرُهُ دُونَ الْقَمِيصِ – وَإِذَا هُوَ يَقُولُ : يَزْعُمُ النَّاسُ إِنِّي أَكْرَمُ عَلَى اللَّه مِنْ هَذَا ، بَلْ هَذَا أَكْرَمُ عَلَى اللَّه مِنِّي قَالَ : قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا أَخُوكَ مُوسَى بْنُ عِمْرَان قَالَ : وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِه فَسَلَّمْتُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاء السَّابِعَة فَإِذَا أَنَا بِأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيل الرَّحْمَن ، سَانِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْت الْمَعْمُور كَأَحْسَنِ الرِّجَال ؛ قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَن، هُوَ وَنَفَرٌ مِنْ قَوْمِه ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ،) حتى قال (ثُمَّ رُفِعتُ إِلَى السِّدْرَة الْمُنْتَهَى) .

إراداهم ؛ ينبئهم بما في نفوسهم ، وبما في بيــوتهم ، ويحي قساوة قلــوبهم ، وغلظــة نفوسهم ؛ حتى تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله.ﷻ .

فإذا قوي عزمه ، واشتدَّ حزمه ، وانتشت روحه بــالله ؛ جمَّلــه الله بالجمـــال الروحاني ، وكمَّله بالكمال اليوسفي ؛ فصار جميلاً في عين الملأ الأعلى !! :

فتتنزَّل الملائكة عليه من الله ، يخاطبونه ، ويجالسونه ، ويشافهونه ، ويتمتعــون بنور الله.ﷻ الذي ظهر في آفاق روحه ، ويصبح من أهل هذا المقام :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ ﴾ سورة فصلت

والجنَّة هنا ليست الجنَّة العامة التي يريدها الخلق ، ولكنــها جنَّــة الــشهود ، وجنَّــة الورود ، وجنَّــة الكشف ، وجنَّــة الإطلاع على حقائق البــديع.ﷻ في الكون .... عالية ! ، ودانية ! ....

فإذا أكرمه الله بهذا الجمال ، ولم يلتفت عن كمال ذي الجلال والإكــرام ، ولم ينسى مأربه ، وأصرَّ على مطلبه ، رفعه الله مقاماً ومكاناً عليــاً ، ليــدرس الأحــوال الربانيَّة التي بها يتأهل لسدرة أهل الخصوصية ، ويدرس علــوم النبــيين والمرســلين ، وعلوم السابقين من الأولياء والمقربين ، ليتأهل لهذه المقامات ..! .

وهذه الدراسة لا تكون بسمع الأذان ولا بقراءة العين وإنما من باب :

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾٦٥ الكهف

علم من الله.ﷻ ، فإذا علَّمه الله علوم أهل الخصوصيَّة ، رزقه الله الحكمــة الهارونية ؛ حتى لا يظهر ما لا يطاق ! ، فيوقع غيره في النفاق .

ولا يظهر مقاماً ؛ إلا لمن رأى فيه التسليم لأهل هذا المقام :

فلا يظهر للعوام خواص سيد الأنام ، ولا يظهر لأهل الجحود من كنوز غيب حضرة المعبود ، ولا يظهر فضل الله إلا لمن استأهل ذلك ، بإشارات نورانيَّة ، وعلامات روحانيَّة ، يضعها له الله ، فيضع الكلام في موضع التمام ؛ فيكون كما قال ﷺ رواية عن سيدنا عيسى عليه السلام : :

﴿لا تَضَعُوا الحِكْمَةَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا ؛ فَتَظْلِمُوهَا ، وَلا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا ؛ فَتَظْلِمُوهُمْ ، كُونُوا كَالطَّبِيبِ الرَّفِيق ، الَّذِي يَضَعُ الدَّوَاءَ فِي مَوْضِعِ الدَّاء [٨] ﴾

وهنا ربما يكون لديه علومٌ لو ظهر بعضها لما أطاقه ولا احتمله الأولون والآخرون !!! ، ويقول في ذلك الإمام علي رضي الله عنه :

يا رُبّ جوهر علم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسناً

والمثال على ذلك عندما قال :

{{ لو فسَّرت فاتحة الكتاب بما أعلم ؛ لوقرتم سبعين بعيراً }}

من تفسير الفاتحة فقط ! ، وقال في ذلك أيضاً الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

لو ذاق أهل البعد بعض مدامتي
تركوا الجدال وأحرقوا علم الرسوم

﴿ يَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى ﴾ الآية ١٣ سورة الشعراء

---

(٨)كتاب قوت القلوب:أبوطالب المكي ، حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام .

فيخرج فصوص الحكمة ، يدريها أهلها ، ويفكّها الله عز وجل لمن أراده بها ، ويغيب عن الجاهلين شأنها ، لأنها حكمة النبوّة ، وطريقة أهل الرسالة :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ الآية ١٠٨ سورة يوسف

فإذا لم تشغله العلوم ، ولم يعرها إلتفاته ، ولم ينشغل بها عن الله طرفة عين .... وذلك لأن :

العلم حدّ وفوق العلم أنوار   والنور غيب وفوق النور أسرار

☼ أَدَبُ أَهْلِ الْعِنَايَةِ

وأكبر فتنة تحجب المريد عن فضل الله ...؛ هي العلم !!! ... لأن العلم يجمع الخلق عليه ، فإذا اجتمعوا عليه : .. ربما اغترَّ بهم ؛ فترك الجهاد ؛ فهوى في وادي الإبعاد ، أو ربما ظنَّ أنه على شيء – وهو ما زال في البدايات – والنهايات تحتاج إلى أهل النظر الدائم لسيد السادات ﷺ

فإنه رأى ما رأى !! ، ومع ذلك قال فيه حضرة الله مثنيا على أدبه الذي يحبُّه ممن سار على نهجه وهداه : .....

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ الآية ١٧ سورة النجم

وذلك على الرغم من أنه ..:

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة النجم

ومع ذلك لم يلتفت طرفة عين ! ، مع أن ما رآه .... لا يتحمَّله أحد من خلق

الله ! ، حتى أنبياء الله ! ، ورسل الله صلوات ربي وتسليماته عليهم .

فإذا حافظ على صدقه ، ولم يلتفت إلى الخلق ، أكرمه ربُّه فرقَّاه ، وأدناه ، وكلمه كفاحا ، حتى يؤهله بالكلام لشهود ذات تعالت عن النعم ، والأنوار ، والإنعام ، .... فيكون كليماً في مقام الكليم ، يسمع كلام الله ...!! ؛ ليس بالآذان ! ، وإنما بكل أعضاءه الظاهرة والباطنة ! ، وقد قيل لموسى عليه السلام ، كما ورد فى الأثر :

﴿ كَيْفَ سَمِعَت كَلامَ اللهِ ؟ ، قالَ : كُنْتُ كُلِّي مَسَامِعَ ، وكُنْتُ أسْمَعُ كَلامَ اللهِ ... وكَأنِّي أسْمَعُ سَبْعِينَ ألْفَ لِسَانٍ ، وكُلُّ لِسَانٍ يَتَحَدَّثُ بِعَشْرَةِ آلافِ لُغَةٍ ! ، فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ ! ، وَفِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ! ﴾

﴿ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤) ﴾ سورة الأعراف

وقد قال بعض العلماء عن :

﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤) ﴾

أي يكفي عليك ذلك ، ولكن لا " لأن الشكر يستوجب المزيد" [٩] :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ الآية ٧ سورة إبراهيم

والشكر في هذا المقام ؛ ألا يشتغل بالإنعام عن المنعم عَزَّ وَجَلَّ طرفة عين ولا أقل.

فإذا ظلَّ على هذا الحال ، واشتغل ظاهراً وباطناً بالمنعم المتعال ! ، وتخللت محبَّة

---

(٩) يعنى ليس من باب " أن الشكر يستوجب المزيد " ، ولكن من باب " يكفيك هذا فاشكره .. الرضا " .

الله جميع حقائقه ، وصارت كل جارحة تقول : " الله " ، وكل شعرة تقول : " الله " ، وكل طرفة فيه تقول : " الله " ، وصار كله ظاهراً ! ، وباطناً ! ، على قدم خليل الله ؛ أكرمه الله تعالى ورقَّاه وجعله خليلا فى مقام الخليل .

فإذا شاءت عناية الله و سابقة حسناه أن يتفضَّل على عبده بالمزيد من الرقيِّ و الإنعام ، رقّاه إلى المقام المحمدى ....

﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ سورة الأنعام

فيكرمه الله عزّ وجلّ ، ويرفعه إلى مقام اليقين الأعظم ، ويصل إلى سدرة المنتهى .

وإذا وصل سدرة المنتهى فبروحه ، وليس بجسده ، لأن هذه خصوصية للحضرة المحمديَّة ، أما صاحب مقام اليقين الأعظم ، فقد خصَّه الله بهذا المقام مناماً ، أو عياناً بروحه ، من باب وراثة قول الله :

﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ الآية ١ سورة الإسراء

فلم يقل بنبيه ، ولا برسوله ، و وُجه بالسدرة ! ، فأدبته السدرة بآداب العبودية الكاملة ! ، فيصير عبداً صرفاً لله .

ولا يكون المرء عبداً لله ، إلا إذا كان حراً مما سواه ، فيكمل بكمال العبودية ، من سدرة علوم الخلائق ، ومنتهى الرقائق ، سدرة الأوصاف ، وسدرة الكمالات ، وسدرة التجليات ، وحقيقتها ... ومعناها ... سيدنا محمد ﷺ .

والتجليات الإلهية على هذه الحضرة ؛ في كل نفس لا تنتهي !!! ، من الجمال ، والكمال ، ونعوت العظمة والوصال :

جمال لا يشابهه جمال وحسن ليس يحصيه جناني
و قد كُلفتُ كتم السرِّ حتى شهدت فباح عن سرِّي لساني

فإذا تجمَّل بجمال العبودية ، وصار عبداً تاماً على قدم حبيب الله ومصطفاه ، كشف عن قلبه الحجاب ، وسمع لذيذ الخطاب ، وشاهد على قدره بالله ، وجه الله وكمال الله ، ونال رضاء الله ! ، فزُجَّ به في الأنوار ، فطاف بكل عوالم الواحد القهَّار ! ، ولا يستقر له قرار ! ، حتى يوقفه الله مع كمال التتريه بين يديه ، ويخاطبه ﷻ بأعزِّ ما لديه ، ويفوز بقدر من قوله عزَّ شأنه (*سورة الأحزاب*):

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾

فيرى من جمال الله ، ومن بهاء الله ، ومن كمال الله ، ما قال فيه الرجل الصالح عندما سألوه عن رؤية هذا الجمال ! ، وعن أسرار هذا الكمال ! ، وكيف رآه ؟ ، وكيف تملَّى بجمال الله :

{{ وكيف ترى عين تموت ! ، الحي الذي لا يموت...}}

إذا تجلَّى حبيبي بأي عين أراه
بعينه لا بعيني فما يراه سواه

فإذا تجمَّل بجمال العبودية ، كساه الله بحلل الربوبية :

﴿ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ﴾ وفي رواية أخرى زيادة : ﴿ وَلِسانُهُ الَّذِى يَنْطِقُ بِهِ ﴾ (١٠)

(١٠) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرةَ ﷺ وفيه (وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِه ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِه ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ،) من رواية جامع الأحاديث و المراسيل .

فيرى بنور الله ... حضرة الله ، ويسمع بسمع الله .... كلام مولاه ، ويتمتع بما فيه من الله .... بعوالم حضرة الله الذاتية في غيبة هذه العوالم الطينية ! ...

فيرجع إلى الأكوان ، متأدباً بآداب سيد ولد عدنان ، يخبر بما رأى على قدر ما يرى من تحمل القلوب ! .... :

فقد اخبر أهل مكة أولاً بالإسراء ! ، ولم يخبرهم بالمعراج ، وأخبرهم مع أنه يعلم أنهم سيكذبوه ، لأنه لا بد وأن ينفذ أمر الله ، ولا يرجع عن أمر الله طرفة عين .

ولأنه ينفذ أمر الله ، فإن الله أيده ، وكذلك أولياء الله ، وأحباب الله .

فعندما سألوه عن نعت البيت (المسجد الأقصى) [١١] ، حمل الله له على يد جبريل البيت ، وأخذ يديره له ، وهو يصفه ، وينعته .

لأن الذي يبلغ رسالات الله ، ويخشاه ، ولا يخشى أحداً إلا الله ، لا ينقطع عنه مدد مولاه وتأييده طرفة عين ولا أقل ! ، على أنه لا يحدِّث إلا عن أمر ! ، فلا يحدِّث للمباهاة ! ، ولا يحدِّث ليقال عالم جاء بما لم نسمعه من الآخرين ! ، وإنما حدث عن أمر صريح من ربِّ العالمين ﷻ .

فمن أراد هذه المشاهد ، فإن عليه أن يجاهد ، في مقام السلوك ..... يجاهد في

---

[١١] مسند أحمد بن حنبل عن ابن عباس ﷺ ، كما روته العديدة من كتب السيرة و الحديث بروايات متعددة وفيه (قَالَ ﷺ : " لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي ، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي ، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ " فَقَعَدَ مُعْتَزِلاً حَزِينًا ، قَالَ : فَمَرَّ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ : هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ ﷺ: " نَعَمْ " قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : " إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ " قَالَ : إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : " إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؟ " قَالَ : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟ قَالَ : " نَعَمْ " قَالَ : فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ ، مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِنْ دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي ؟ فَقَالَ ﷺ : " نَعَمْ " . فَقَالَ : هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ حَتَّى قَالَ : فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا ، قَالَ : حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي . فَقَالَ ﷺ: " إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ ، قَالُوا : إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالُوا : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ؟ " قَالَ : " نَعَمْ " قَالَ : فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ قَالُوا : وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ ﷺ: " فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ " ، قَالَ : " فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ فَنَعَتُّهُ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ " ، قَالَ : " وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ " قَالَ : " فَقَالَ الْقَوْمُ : أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ "

طهارة القلب بالكليّة ، وربما يحرم المرء من الخصوصيّة لخلة واحدة باقيــة !! ، قــال الحبيب ﷺ مشيراً إلى ذلك :

﴿ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ﴾ [١٢]

وقال في ذلك إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه :

ألا من يكن في قلبه بعض ذرة ... من الكبر والأحقاد ما هو ذائق

فمن عنده بقية من كبر ؛ لن يذوق ، ولن يشهد .

وهذا الكبر يظهر في كل مخبر ، وفي كل مظهر ، ولا يموت عند الإنسان مرض الكبر ...... إلا إذا تحقّق بوصف مولاه : .....

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ الآية ٥٤ سورة المائدة

ومن يأبى تقبيل يد الصالحين !! ..ماذا ينتظر إذن من فضل ربِّ العالمين ؟ ......

مع قول الرجل الصالح :

ريحانة الرحمن عبَّاده ... وشمها تقبيل أيديهمُ

فإن كانت هذه الخصلة فيه .... فليعلم أنه مريض بـــالكبر ، ولا يـــستأهل أن يفتحوا له الباب ، لأنه يجب أن يقتلع مرض الكبر .

وإذا كان عنده ذرة من الحقد .... حتى ولو في التنافس في الخير ، لأن من عادة المريدين أن يتنافسون مع بعضهم ، فإذا كان بينه وبين أخيه تنافس ، ويبغي في نفـــسه ألا يُوفَّق أخوه في هذا البرِّ ؛ ليسبقه .... ، فإن ذلك مرض !!! وغرض ! .

في هذه الحالة لا يؤذن له في سلوك طريق الله ... إلا إذا عولج من هذا المرض .

---

[١٢] رواه مسلم فى صحيحه عن عبدالله رضي الله عنه .

۞ حَقِيقَـــــةُ الْمَعْرِفَـــةِ

متى يقف المريد في أرض السلوك ؟ ، ويطلبه ملك الملوك ؟ .. ، إذا كـــان....
كما قال تعالى (الآية ٩ سورة الحشر) :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

إذا آثر أخاه على نفسه ، ولو بالخير ، والبِّر ، والمعروف .

فإذا كان عنده مرض منها ؟ ، فعليه أن يعالج هذه الأمراض ....

كـــــــــيف ؟ .....

لا بد وأن يتردد على الحكماء الربانيين – لكن بصدق ويقين – فالمريد الـــذي يذهب للطبيب ، ويبلغه الطبيب أنه مريض ، فيقول المريد : " أنا صحيح معـــافى " ، متى يبرأ مثل هذا من مرضه ؟

والحبيب ﷺ علَّم أصحابه – حتى الذين طابوا وغابوا ، وكان اللوح المحفوظ يتزل منه القرآن بما يقولون وبما ينطقون ، فقد كان القرآن يتزل بما يقول عمر وقـــد قال فيه ﷺ :

﴿ إن الله تَعَالى جَعَل الحقَّ على لِسانِ عُمر وقلْبه [١٣] ﴾

ومع ذلك كان يقول كما روت كتب السير و المناقب :

﴿ أجمعوا إلـيَّ أصحاب رسـول الله ﷺ ، ونـادوا الـصلاة جامعة ! ، فينـادون ، ويعتلي عمر المنبر ، ويقـول : الحمـد لله ، أنـي كنـت أرعـى

([١٣]) مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي.، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه .

غنماً لأهلي على قراريط قليلة – وقراريط يعني ملاليم – **وكنت أدعى عميراً ! ، وأصبحت اليوم أدعى عمر أمير المؤمنين ، ثم نزل ، فقالوا : لم جمعتنا يا أمير المؤمنين ؟ ، قال : إن نفسي حدثتني أني أصبحت شيئاً !! ، فأردت أن أضعها ، وأعرِّفها حقيقتها** ﷺ

هؤلاء هم الرجال أهل الكمال ، الذي علَّمهم سيِّد أهل الكمال والوصال ﷺ ، فعندما شعر أنه لا أحد فوقه غير الله ، أحبَّ أن يُعلِم نفسه أين كانت ؟ ، وكيف أصبحت ؟

وعلى ذلك كان ولا يزال الصالحون .....

فالإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه ، علَّمنا هذا المشهد ...

فبعد إسراءه ، ومعراجه ، وقربه من حبيب الله ومصطفاه ، وبعد أن وصف كل المشاهد العليَّة ..... عاد ليقول :

علمت نفسي أني كنت لا شيء
صرت لا شيء في نفسي و في كلّي
به تنزّه صرت الآن موجودا
به وجودي و إمدادي به حولي
و من أنا ؟ عدمٌ ! الله جمَّلني
فصرت صورته العليا بلا نيل

ولذلك فإن من هم في البداية ..

ومعهم بعض الرؤى والمنامات ، أو بعض المكاشفات ، أو يملكون بعض التطلُّعات ، أو بعض الإلهامات ، قد يلتفُّ حولهم الجموع الغفيرة .... !!!! ...

وذلك لأنهم يرون أنفسهم ....!!!!!!....

أما من وصل لمقام العبودية ، وأصبح وارثاً لخير البرية : ......

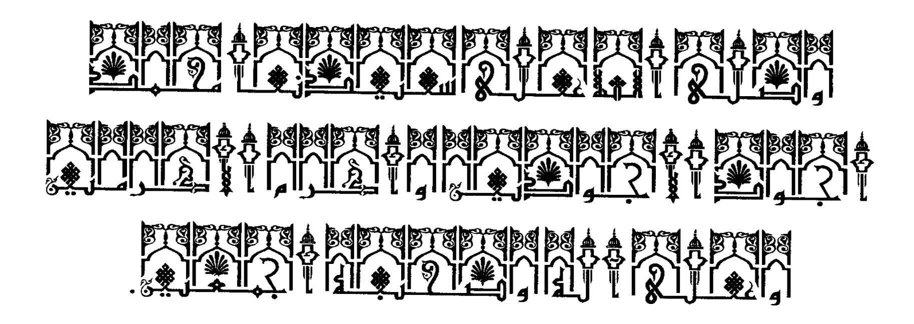
فإن الناس أحياناً قد تستهزأ به ! ، وتسخر منه ! ، ومع ذلك لا تتحرك منه شعرة ! ، ولا يعرفه إلا من عرَّفه الله به ....وهذا ما يغـرُّ ..!!.. ، ويـضرُّ ..!!.. ، يغـرُّ المريدين ..!!. ؛ فربما يتركون الأدب معه : ....

فيغضب من أجله ربُّ العالمين.عز وجل ، ولذلك فإنهم قالوا :

{{ حافظ على الأدب ، ولو رقيت لأعلى الرتب.}} .

نسأل الله.عز وجل ....

أن يرزقنا حقيقة الإسراء وأنوار المعراج ، وأن يتفضل علينا بالأخلاق الربانية ، وصدق العزائم القلبية ، وصفاء النوايا بالكلية للحضرة الإلهية ، ويجعل أنفاسنا كلـها في رضاه ، ولا يشغلنا عن حضرته طرفة عين بخلق أو كون ، حتى نكون لحضرته دائماً مشاهدين وبنوره أبداً متصلين ، ولا ننقطع عن مدد جوده وفضله طرفة عين ولا أقل .

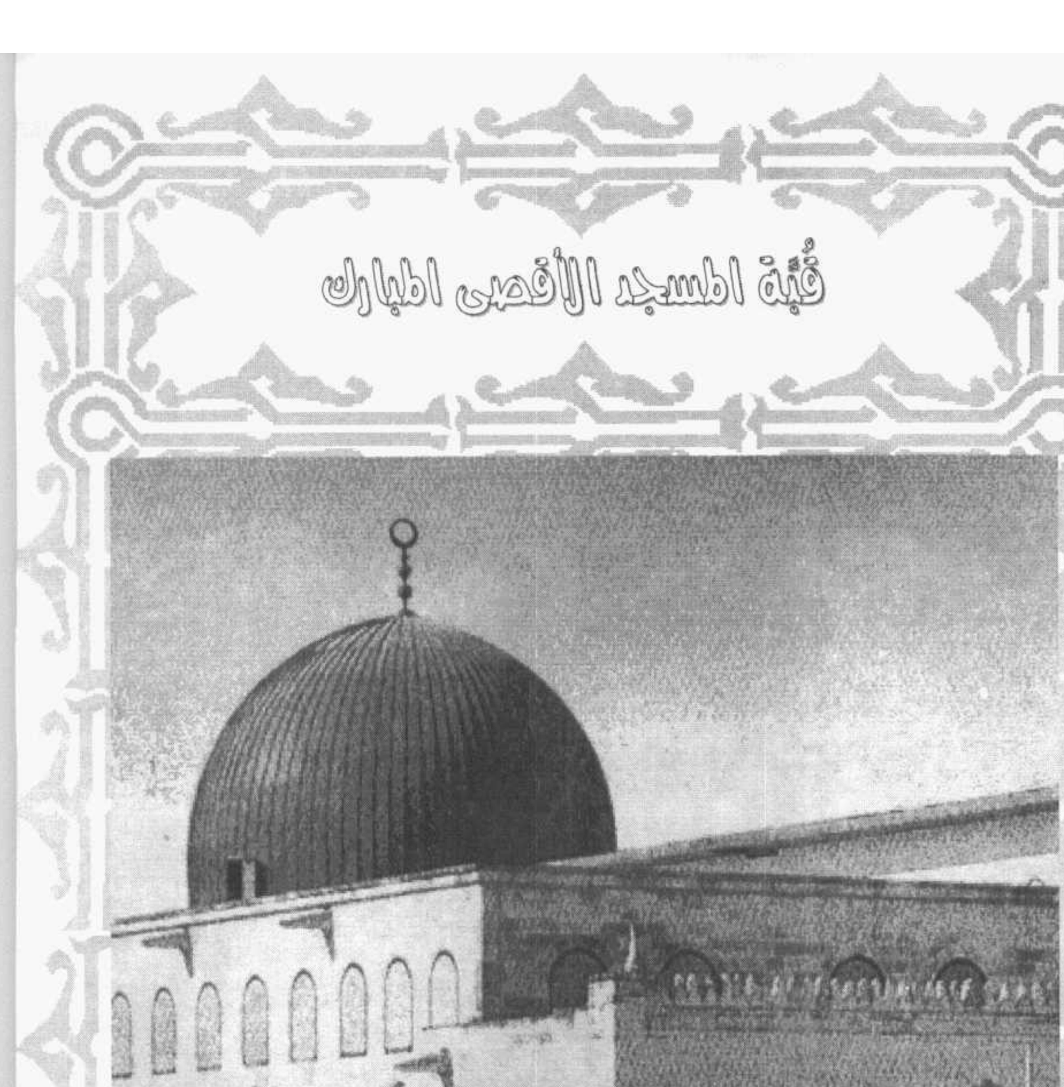


الباب الرابع

مِنْ أَسْـــرَارَ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

- ســــــرُّ الإِشْتِهَارِ
- أَسْرَارُ إِكْرَامِ الْحَبِيبِ
- وِلايَــــــــــةُ اللهِ
- الْمَقَامَـــاتُ الْعُـــلا

قُبّة المسجد الأقصى المبارك



الباب الرابع

مِنْ أَسْــرَارَ الإسْرَاء وَالْمِعْرَاجِ [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ...

الذي أكرمنا بنعمة حبيبه ومصطفاه ، وجعله رسولاً لنا في الدنيا ، ونسأله عــزَّ شأنه أن يرزقنا شفاعته أجمعين يوم نلقاه .

والصلاة والسلام على معراج الأرواح إلى حضرة الكريم الفتــاح ، وإســراء القلوب إلى عالم اللطف والنور والغيوب ، سيدنا محمد النبي الذي تولاه مولاه ، مــن بدئه إلى منتهاه ، وآله الحاملين رايته في الدعوة إلى الله ، وأصحابه المعينين له في تبليــغ دعوة شريعة الله ، والقائمين على هذا النهج ، وأصحاب هذا الفتح إلى يوم الــدين ، وعلينا معهم أجمعين .... آمين آمين يا رب العالمين .

إخواني وأحبابي ....

من يُمن الطالع لنا أجمعين ، أن هذه الليلة هي ليلة السابع والعشرين من شــهر رجب المبارك ، وهي توافق أصح الأقوال المروية عن ليلة القرب والإسراء والمعــراج لسيدنا رسول الله ﷺ ، فأصح الروايات أنها كانت في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، ومن فضل الله ﷻ علينا هذا العام ..... أنها توافق ليلة الجمعة .

فهي ليلة خير خاص وعام ، للمسلمين وجميع الأنام ، بفضل الملك العلام.عظيم الإكرام وبديع الإنعام فله الحمد و الشكر على الدوام ..

---

(١)كانت هذه المحاضرة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين– محافظة الجيزة بمناسبة الإسراء والمعراج يوم الخميــس ٢٦ من رجب ١٤٢٣هـــ الموافق ٣ من أكتوبر ٢٠٠٢ م بعد صلاة المغرب.

☼ سِـــرُّ الإشْتِهَارِ

ولعل البعض يتساءل :

لماذا اشتهرت قصيدة البردة [٢] للإمام البوصيري رضي الله عنه ؟ .. ، ولمــاذا يــردِّد الحضور الصيغة المشهورة :....

مولاي صلِّ وسلم دائماً أبداً   على حبيبك خير الخلق كلهم

لقد اشتهرت البردة لصدق صاحبها .

فإن الله عز وجل اقتضت حكمته ، وشاءت إرادته ، أن يشهر ويظهر الــصادقين من بريته ، وخصَّ المحبين الصادقين بصدق في الــيقين ، ونــوراً في الأرواح ، جعــل لكلامهم قبول عند من يستمعون إليه ، وفي ذلك يقول الإمام أحمــد بــن عطــاء الله السكندري رضي الله عنه ..... :

{{ كلُّ كلام يخرج وعليه نورٌ من كِسْوَةِ القلب الذي خرج منه }}

وليست العبرة بفصاحة الكلام ، ولا بطلاقة العبارات ، ولا بانتقاء الألفــاظ ، وإنما يكسو الله كلام المحبِّ ، وإن كان عامياً ... حلاوة وطلاوة في أذن الــسامعين ، وذلك كله من ربِّ العالمين عز وجل .

ولذلك قد نجد في كلام العاشقين والواجدين من الصالحين ، قصائد لا منتــهى لكمال ألفاظها ، وسمو عباراتها ، وبلاغة صورها ، ولكنها لم تحظَ بما حظيت به مثــلاً

---

(٢) قصيدة البردة المباركة ، عرفت و اشتهرت بالبردة وأسمها فى الأصل : " الكواكب الدريَّة فى مدح خير البريَّــة ﷺ " ، وصاحبها الإمام محمد بن سعيد بن حمد البوصيرى المصرى الأصل ، ولد ببهشيــم سنة ٦٠٩هــ ، وتوفى بالأسكندرية سنة ٦٩٦هــ ، روى أنه أنشأ هذه القصيدة حين أصابه فالج (شلل) فاستشفع بها إلى الله تعالى فرأى النبى ﷺ فى منامه وقد مسح بيده الشريفة على بدنه فعوفى ، وخرج من بيته أول النهار فلقيه بعض أصحابه فقال : ياسيدى أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله ﷺ، فقال : أية قصيدة ؟ (له قصائد أخرى فى المــدح مثل " المضريَّــة " و " المحمَّديَّــة ") ، فقال : التى أولها أمن تذكر جيران .. ، فأعطاها له ... وجرى ذكرها بين الناس واشتهرت ، ويبلغ عدد أبياتها ١٦٠ أو ١٦٨ بيتا .

قصيدة كالبردة !! ، ... لماذا ؟

لأن كل كلام يبرز وعليه كسوة من نور القلب الذي برز منه .

وكذلك في عالم الصلاة على الحبيب ﷺ ، فقد اشتهر في عالم الناس كتاب "دلائل الخيرات" ، مع أن الصيغ التي فيه صيغ عادية ، وهناك من أئمة القوم من لهم صلوات على الحبيب ، فيها معاني رقيقة ، وعبارات بليغة ودقيقة ، وألفاظ فيها وحي الإلهام والسليقة ، ولكنها لم تنل من القبول في دنيا الناس ، ما نالته صلوات وعبارات "دلائل الخيرات" ...

وذلك لصدق قائلها ، وصفاء إرادة منشئها ، الشيخ الجازولي رضي الله عنه وأرضاه .

وهكذا في كل أمر ....

فقد ظهر في الأمة المحمدية ما يزيد على الثلاثين مذهباً فقهياً ، ولكن لم يكتب القبول في الأمة إلا لأربعة مذاهب ، مذهب الشافعي ،ومذهب الإمام أبي حنيفة ، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ومذهب الإمام مالك ، ... لماذا ؟

لصدق هؤلاء ، ولأنهم قبل أن يكونوا فقهاء ، كانوا أولياء لله.عز وجل ، ثم دخلوا في دراسة الفقه ، بعد تمكنهم في مقام الولاية لله.عز وجل ، فكان عملهم ابتغاء وجه الله ، وعليه سيميا الصدق ؛ فنالوا وجاهة وقبولاً عند عباد الله.عز وجل .

وهذا سرُّ أن البردة لها رنين في قلوب المحبين ، ودوي في قلوب العاشقين ، وبهجة تحدث عند سماعها لكل المشتاقين ..... لسيد الأولين والآخرين ﷺ .

وسؤالنا الثاني ...... لماذا يردِّد الحضور :

مولاي صلِّ وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

لأن الإمام البوصيري رضي الله عنه عندما كان ينشد هذه القصيدة ، وقد كان ينشدها مناماً في مواجهة رسول الله ﷺ ، وكان يستمع إليه بسمته الشريف ،

وسُمِّيت " البردة " ، لأنه عندما انتهى ﷺ من سماعها ، خلع بردته الشريفة وأعطاها له ، وكساه بها ، فسميت البردة المباركة – وقد كان ذلك كله في المنام كما قلنا – وأثناء إلقاءه لهذه القصيدة على مسامع الحبيب حضوراً ، قال في أحد أبياتها :

فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ .... ، ثم تلعثم .!.. وتوقَّف ... فأخذ يردِّد.. **فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ** ....ولما رأى الحبيب ﷺ تلعثمه .. ؛ قال له : قل ... **و أنه خير خلق الله كلهم** ....

فكانت هذه الشطرة إملاءاً من رسول الله ﷺ ، فأخذ الصالحون يردِّدونها عقب إنشادهم لكل بيت أو لكل جملة من الأبيات في البردة المباركة ، ويبدأون بالصلاة عليه فكانوا يقولون : .....

مولاي صلِّ وسلم دائماً أبداً ....ثم نص كلام سيدنا رسول الله ﷺ : ... **على حبيبك خير الخلق كلهم**

وهذا هو السر في ترداد هذا البيت ، وهو كلام رسول الله الذي أملاه على الإمام البوصيري رضي الله عنه وأرضاه في المنام.

هذه المقدمة ؛ حتى نزيل ما علق بأذهان البعض ... نحو ما رأيناه من ترداد الصلاة والتسليم على الحبيب الكريم ﷺ ، عند استماعنا لبردته .

والبردة كان لها شأن عظيم ، وشأنها شأن مواجيد الصالحين ، وقصائد العاشقين ، في تأجيج القلوب ... وإثارتها نحو الحبيب المحبوب ﷺ .

ولكل رجل من الصالحين ، كثير من المواجيد يلهمه بها الله عز وجل ، عند رؤياه أو استحضاره لحبيب الله ومصطفاه ﷺ .

منهم من يقول هذه القصائد في حالة الحضور ، وكلام مثل هذا يكون لسامعيه هيام ، وعشق ، ونور .

ومنهم من ينشدها في حالة استحضار لأنوار حضرة النبي المختار ، ويكون أيضاً لسامعيه على قدر عشقه ووجده استكناه لذات النبي المختار ، واستحضار لــشمائله ﷺ في الظاهر وفي الأسرار .

والكل يحاول أن يحضر القلوب .... لتحضر بين يدي المصطفى ﷺ ، فتنال منه طهور المشروب ﷺ .

۞ أَسْرَارُ إِكْرَامِ الْحَبِيبِ

ونريد أن نأخذ في هذه الليلة سراً ....

ربما ترتاح له قلوب الظامئين إلى نيل مقام الرضا عند ربِّ العالمين.عز وجل .

قد سمعنا أن رسول الله ﷺ أسرى به الله.عز وجل به في هذه الليلة المباركــة ، روحاً وجسماً ، وسمعنا في سرِّ ذلك وأسباب ذلك كلاماً كثيراً .

لكنه قد خطر بذهني في هذه الأيام المباركة ، أمرٌ بيَّنه لنا حبيب الله ومصطفاه ، يظهر سرَّ إكرام الله.عز وجل له ، وأخذه في هذه الليلة المباركة ، ليحظى بـــه أنبيـــاء الله ورسل الله ، ويستبشر به في الملكوت الأعلى عمَّار سماوات الله جلَّ في علاه ، ويحظـــى ﷺ بعد ذلك بما اختصه به مولاه ، في حضرات الدنوِّ والقـــرب ، مـــن التجلّـــي والتملّي ، والأسرار ، والعلوم ، والأمور التي جلاها له الله ، وقال فيها عزَّ شأنه :

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة النجم

ونحن نعلم جميعاً أن رسول الله ﷺ ، كابد مشاق الدعوة إلى الله في مكـــة ، وتحمل ما تنوء به الجبال : .....

من إيذاء أهلها تارة ، ومن حصارهم له ولصحبه في شعب أبي طالب ثـــلاث

سنين كاملة ، ثم تحمل بعد ذلك إيذاء العرب عندما كان يتعرَّض لهـم في أسـواقهم بالقرب من مكة ، ثم بعد ذلك لم يكلّ ولم يملّ ، وواصل دعوته إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ، متحملاً في سبيل ذلك ما لا يتحمله جنٌّ ، ولا ملك ، ولا بشر سواه ، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ أعـدَّه ، وجهزه ، وأهَّله ، وقواه لتبليغ دعوة الله عَزَّ وَجَلَّ ، فذهب إلى الطائف ، وبلَّغ الـدعوة لأهلها ، ولكنهم أعرضوا ، ثم رجع مرة أخرى ، وهنا بيَّن لنا الله السرَّ الذي من أجله اصطفاه ﷺ ، وأهَّله لمقام قاب قوسين أو أدنى :

﴿ نزل له الأمين جبريل عليه السلام ، ومعه ملك الجبال ، وقال لـه : يا محمد ، هذا ملك الجبال ، وهو طوع أمرك! ، فمره بما شئت ، فقال ملك الجبال : يا محمد .. إن شئت ؛ أطبقت عليهم الأخشبين ﴾

وهما الجبلان المحيطان بمكة-. فماذا كان ردُّه ؟ وماذا كانت إجابته ؟

وهذا سرُّ اصطفاءه من مولاه ، وهو السبب الذي من أجلـه حبـاه وقربـه وأدناه- ماذا قال ﷺ بعد أن ألاح الله له الفرصة لينتقم له ممن عاداه ... وآذاه ؟ ، وأصبح الأمر مهيَّأ أن يشفي صدره ... إذا كان به غيظ من أعدائه قال ﷺ :

﴿ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابـهم .... من يعبـد الله وحـده ، لا يشرك به شيئا. ﴾ [٣]

([٣]) عن عائشة رضى الله عنها فيما رواه البخارى – وقد آثرنا أن نترك القصة أعلاه كما جاءت بالدرس لتناسق الحديث ، ونورد الرواية هنا كما رواها البخارى : (أن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي : ﷺ هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا).

فعرَّف الله عَزَّ وَجَلَّ الملائكة الكرام .

ثم أخذه إلى النبيين عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

ثم أخذه ليعرضه على الملأ الأعلى ، ويعلمهم أنه اصطفى هذا الحبيب إلى مقام لم يصل إليه في الدنوِّ من حضرة الله قريب ، وجعله قاب قوسين أو أدنى .

لأنه بلغ في مقام الأخلاق الإلهية والكمالات الربانية مقام لم يصل إليه سواه ، في العفو عمن آذاه وفي الصبر على تبليغ دعوة الله ، وفي التسامح مع هؤلاء البدو الجفاة ، الذين أذاقوه مرارة شديدة لا يتحملها بشر في دعوة الله سبحانه وتعالى.

فأخذه الله وحباه ، وكأنما كان ذلك هو الوسام الذي قال فيه الله : ...

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ سورة القلم

وما دام قد بلغ هذا المقام العظيم في الخلق ، فقد تفضَّل عليه الله بنوال هذا المقام الكريم في القرب من الله عَزَّ وَجَلَّ .

أي أن سرَّ الاصطفاء للمقامات الإلهية ، لمن يريد أن يكون قريباً من ربِّ البريَّة ، والسرُّ لمن يريد أن يلبس تاج الولاية ، أو يخلع الله عَزَّ وَجَلَّ عليه خلع العناية ، أو يطرِّزه بطرز المقربين ، أو يجمِّله بجمال المحبوبين :

أن يكون ظاهراً وباطناً على خلق سيد الأولين والآخرين ﷺ .

فإذا استطاع العبد أن يجاهد نفسه في هذا المقام ، نال هذا المرام ، وكان من المجتبين المصطفين على قدم الوراثة لسيد الأنام ﷺ .

فإن باب الجهاد في العبادات ؛ هو لنيل الدرجات العالية في الجنَّات ، وللحظوة بالحسنات والدرجات يوم الميقات .

لكن الوصول لمناصب الولاية ، ومنازل العناية ؛ لا يكون إلا بالأخلاق الكريمة

التي كان عليها الحبيب الأعظم ﷺ ،... وهذا ســـرُّ الدنوِّ ، ... وهذا سرُّ القرب .

فإذا جمَّل العبد بهذه الأخلاق الكريمة ..... وأبهاها ، وأعلاها ، وأرقاها : .... أن يكون صدره وقلبه يخلوان من الغلّ ، والغشِّ ، والحقد ، والغيظ على خلق الله .

ولذلك ؛ فإن أول درجات الأولياء يقول فيها ربُّ العزة في قرآنه : ...

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ الآية ٤٣ الأعراف

ليس في صدورهم غلٌّ ولا حقد لأحد.

يقول ربُّ العزة عزَّ شأنه ، فيما ورد لسيدنا إبراهيم عليه السلام :

﴿ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ : " أَنْ يَا خَلِيلِي ، حَسِّنْ خُلُقَكَ ، وَلَوْ مَعَ الْكُفَّار تَدْخُلْ مَدْخَلَ الأَبْرَار ﴾ (٤)

ويقول الإمام أحمد البدوي رضي الله عنه :

{{ التصوف حسن الخلق، فكل ما زاد عليك في حسن الخلق فقد زاد عليك في الصفاء }}

وحسن الخلق لا يكون :

إلا بالعمل بكتاب الله ، والتأسي بحبيب الله ومصطفاه ، وأعلاه وأرقاه أن يعمل بقول حبيب الله ومصطفاه فى معنى حديثه الشريف :

﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ كَانَ عَلَى خُلُقِهِ ﴾

---

(٤) أبو نعيم الأصفهانى فى الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وتتمته (فَإِنْ كَلِمَتِي سَبَقَتْ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ أَنْ أُظِلَّهُ فِي عَرْشِي ، وَأَنْ أَسْقِيَهُ مِنْ حَظِيرَةِ قُدْسِي) ، وعنه رضي الله عنه فى المعجم الأوسط للطبرانى وفيها زيادة (وَأَنْ أُدْنِيَهُ مِنْ جِوَارِي) .

وفي ذلك يقول إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه :

تخلَّق بأخلاق الإله و حافظن
على منهج المختار في العقد تنسق

فالإنسان الذي ما زال يحنق على هذا ، ويغتاظ من هـذا لـشيء في نفـسه ، ويحدث في صدره كمدٌ ، أو همٌ ، من فلان أو فلانه ، لشيء في نفسه :

فإن مثل هذا يحتاج إلى المراهم القرآنيَّة ، وإلى البراشيم المحمديَّة ؛ حتى يكـون كما قال الله في عباده في الآيات القرآنية:

﴿ وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ ١٣٤آل عمران

☼ وِلايَـــــــــةُ الله

متى يصل المرء إلى مقام المحبَّـــــة ؟

إذا انتهى من مقام كظم الغيظ ، ومن مقام العفو .

حتى يحبَّه الله ، ويصير من أهل ولاية الله.عزَّ وجلّ في علاه .

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

﴿ مَـنْ كَظَـمَ غَيْظـاً وهـو قـادرٌ علـى أنْ يُنَفِّـذَهُ، دَعَـاهُ الله علـى رُءُوسِ الـخلائق يومَ القـيامةِ، حَتَّـى يُخَيِّرَهُ من أيِّ الـحُوْرِ شـاءَ ﴾ ، وفي روايـــة : **﴿ فَخَيَّرَهُ أيَّ حُلَلِ الإيمَانِ شَاءَ ﴾** (٥)

(٥)رواه البيهقى فى سننه الكبرى عن سهلِ بنِ معاذٍ عن أبـيه ، والرواية الثانية فى مسند الروبانى عن أبى أمامة رضي الله عنه

☼ الْمَقَامَـــــاتُ الْعُلا

فكان صلى الله عليه وسلم ....هو الأوحد في الأخلاق الإلهية ، وهـــو البـــاز الأشهب في التخلق بالأخلاق القرآنية .

فعرضه الله ﷻ على الأنبياء السابقين – ومنهم من لم يصبر على أذى قومه ، ومنهم من دعا بإهلاك قومه ، ومنهم من تمنَّى على الله ﷻ أن يترل كذا وكذا مـــن أنواع الهلاك بقومه – فسلّموا و عظّموا صاحب هذا الخلق النبيل ، وعرفوا أنه هـــو الأستاذ الجليل عند الله ﷻ ، في كريم الخصال ، وفي جميل الأخـــلاق ، وفي حـــسن السجايا والطباع ﷺ .

ومن هنا يا أحبابي ويا إخواني ... كان مفتاح العلا لمن أراد أن يكون له مترلـــة عند الله ، ومقامات علا ، هي الجهاد في الأخلاق .

والجهاد في الأخلاق لا يكون إلا في وسط الخلق ، فإن من أراد أن يعتزل الخلق ويعبد الله ﷻ ، ربما سقط في الامتحان ... إذا تعرض للخلق ، لكن ســـيد الخلـــق ﷺ ،كان صاحب هذا المقام العظيم في القرب من الله ﷻ .

إذن فإن سرَّ هذه الليلة ... هو إظهار محاسن أخلاقه ، وإظهار جميل طباعـــه ، وحسن سجاياه التي فطره عليها الله ﷻ ، وأهمُّهـــا ... وأعمُّهـــا ... وأرقاهـــا ... وأحبُّها ... أنه تمنَّى لأعدائه الهداية ، وتمنَّى لأعدائه أن تلحقهـــم العنايـــة ، ولم يـــدعُ عليهم بالضلالة والغواية ، ولا أن تترل عليهم الكروب ، أو أن تحيط بهم الخطوب .

ولذلك قال الله ﷻ عنه في كلامه المكتوب :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ سورة الكهف

أي ما هذه الأخلاق العظيمة العجيبة التي أنت عليها ؟

إن السابقين من الأنبياء والمرسلين أجمعين ، لم يتحمَّلوا .... فمنهم من قال :

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ نوح

ومنهم من كان يطلب لهم سرعة نزول العقـاب ! ، أو أن يسرع الله ﷻ بإهلاكهم ! ، لكنك لم تصبر على آذاهم وحسب ! ، بل إنك دائماً تقول ... :

﴿ اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [٦]

ويطلب من الله لهم المهلة ، ويطلب من الله ﷻ لهم الهداية .

وكذلك الأمر الأعظم عندما جاءه الأمين جبريل ، وقال له: يا محمد ! ، الكريم يدعوك إليه ، قال : يا أخي يا جبريل ماذا يفعل بي ؟ ، قال ... :

﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ٢ الفتح

وهنا يُظهر الله وسعة رحمته ، ومكنون شفقته ، فلم يكن يبحث عن نفسه قط ، ولم يهتم بأمر نفسه لحظة من ليل أو نهار ، فقال : يا أخي يا جبريل الكريم يدعوني إليه ، فماذا يفعل بأمتي ؟

اهتم بأمر أمته .

وهكذا كان شأنه وحالته ، فإن الله ﷻ أعلى أمره ، وأظهر شأنه ... لأنه لم يهتمَّ بنفسه ، وإنما كان جلُّ اهتمامه بغيره ، سواء من الكافرين ... بدعوة الله لهم بالهداية ، أو من المؤمنين ... بان يدعوا الله ليغفر لهم ، ويسامحهم ، ويتجاوز عن أخطائهم ، وأن يعمَّهم برعايته ، وأن يجعلهم جميعاً من أهل وده وكرامته.

---

[٦] أخبار أصبهان عن عبد الله بن مسعود ، وفي رواية البخارى عنه ، وصحيح بن حبان عن سهل بن سعد الساعدي (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ) .

فقال الله عز وجل لجبريل :... قل له : ....

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ سورة الضحى

قال يا أخي يا جبريل ، الآن طاب قلبي .... ها أنا ذاهب إلى ربي .

حبيب دعاه الله للقرب واللقا ... و منه دنا لطفاً ثم حيَّاه

وناداه يا محبوب ذاتي ونورها ... تنعم بنور الوجه إني أنا الله

عليك لقد صلَّيت بالذات منة ... و أوليتك الرؤيا و ما ترضاه

ولكنه لم يلفته ذلك كله عن أمته .

بل إنه مدَّ يده إلى مولاه ، غير سائل لنفسه ، وإنما سائلاً لنا أجمعين ، من المؤمنين السابقين واللاحقين ، وقال :

﴿ يا ربِّ إنَّك عَذَّبْتَ الأمَمَ قبْلي بَعضَهُم بالمَسْخ ، وبعضهم بالخَسْفِ ، وبعضهم بالقَذْفِ ، فما أنت فاعلٌ بأمتي ؟ ، فقال الله تعالى :أنا لهم ما عاشُوا ، وأنا لهم إذا مَاتوا ، وأنا لهم في القُبُور ، وأنا لهم في النُشُور ، ومن توكَّل علىَّ منهم كَفيْتُه ، ومن أقرضني منهم جَازيْتُه ، أنا الله ربُّ العالمين لا أُخْلِفُ الميعَاد ﴾ [٧]

كان كل همِّه .... أحبابه وإخوانه من المؤمنين والمؤمنات :

﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ آية ١٩ سورة محمد

---

[٧] وردت هذه الأحاديث بروايات عديدة ، وكذا الحديث التالى بصفحة ٨٩ (يارب اجعل حساب أمتى إلىَّ) ، وفضيلة الأستاذ – هنا – قد جمع مقتطفات مصغرة من رويات عدة معا لمناسبة المحاضرة ، وقد رأينا أن نترك تخريجها ؛ لشهرتها وكثرتها وسهولة الوصول لمن أراد الرجوع للتفاصيل .

فزاد طمعاً فقال :

﴿ يا ربِّ اجعل حساب أمتي إليَّ ؛ حتى لا يطلّع على مساوئهم أحد غيري ، فقال : يا محمد ، لا أجعل حساب أمتك إلى غيري ، حتى لا يطلع على مساوئهم أحد سواي ﴾ .

ثم أعطاه الله عينه لينظر إلى أعمال أمته .... إلى يوم لقاء الله ، فقال لنا ﷺ :

﴿ حَيَاتي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، فَإِذَا كَانَتْ وَفَاتي خَيْراً لَكُمْ، تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُ خَيْراً حَمِدْتُ اللَّهَ، وَإِنْ رَأَيْتُ شَرًّا اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ ﴾ (٨)

وهذا سرُّ النفخة الإلهية التي تفضل عليه بها الله ، وذكرها في الآيات القرآنية :

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١ ﴾ الإسراء

إنه ﷺ السميع بمولاه ، البصير بمولاه :

لأن الله تفضل عليه بذلك ... عندما وجد حنانه ، وشفقته ، وعطفه على هذه الأمة ، وفرط رحمته ، ليكشف عنهم كل غُمَّة ، .... فأعطاه سمعه ، وبصره ؛ ليرى بنور الله ، وبسمع الله ، وبصر الله ..... كلَّ ما تفضَّل به عليه الله ﷻ لهذه الأمة ، من الجمال ، والكمال ، والنور ، والبهاء ..... الذي أعطاه لهم الله ، ويرى ذنوبهم؛ فيضرع فيها إلى الله ؛ فيستحقون ببركة دعائه فضل الله ، وعطاياه ﷺ.

فكل ذنب يغفره لنا الله بضراعة الحبيب الأعظم إلى الله ، وكل فضل نناله من الله إنما بطلب الحبيب لنا من غيب الله ﷺ .

(٨) رواه البزار عن ابن سعد عن بكر بن عبد اللّه مُرسَلاً ، كماروي بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

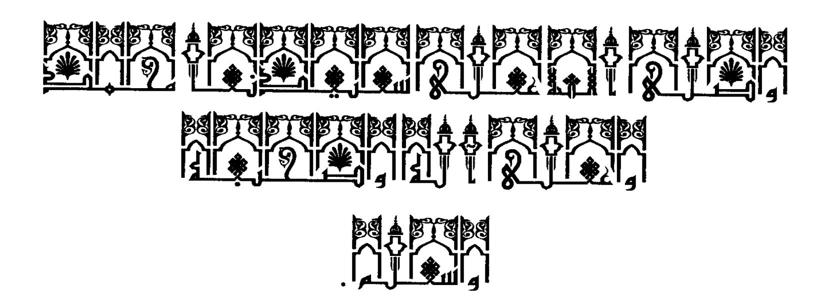
فأعظم به وأكرم من نبي كريم ، ورسول عظيم جعله الله ﷻ لنا أباً رؤوفاً رحيماً ، وقال لنا في شأنه :

﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة التوبة

ومن أراد أن يكرم بميراث نبوته ، وأن ينال قسطاً وافراً من أبوته .... فعليه أن يسير على هديه ﷺ في هذه الرحلة الميمونة :

فعليه أولاً أن يمشي على نهجه في أخلاقه. ، ثم يغسل قلبه بماء أحبابه .... وعلم العارفين الممنوحين. شفاهاً ، وكفاحاً من حوضه ﷺ.، ثم يشرب من كاسات وصاله ، فيستجيب الله ﷻ له. ، ويشرق بنوره على أرجاء قلبه. ، ويأخذه إلى فسيح عوالم إشاراته وأنواره. ، وينال بعد ذلك قسطاً وافراً من نوره ، وجماله ، وبهائه .

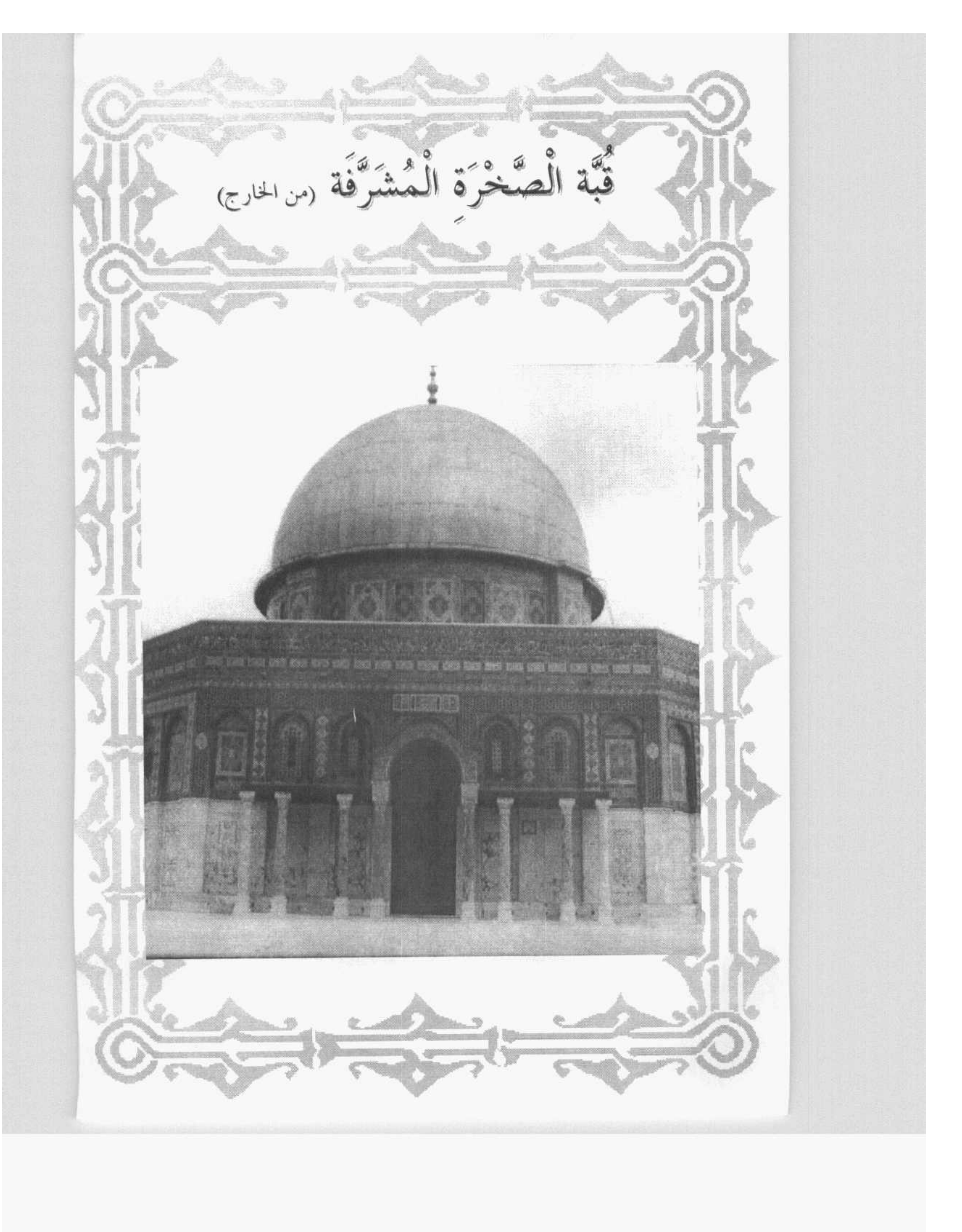
أرجوا من الله ﷻ : ... أن يكون لنا أجمعين قسطٌ وافرٌ من هذه الأنوار ... ، وأن يجمعنا ظاهراً وباطناً على حضرة النبي المختار .... ، وأن يفتح لنا من كنوز فضله عطاءاً وافراً .... ، ويجعله بالمدرار ..... ، وأن يسقينا من كاسات وصله ليل نهار..... ، حتى نكون في معيته آناء الليل وأطراف النهار.



البَابُ الخَامِسُ

قَدْرُ سَيِّدِنَا رَسُـــولِ اللهِ ﷺ وَوَرَثَتِـــــــهِ

- كَــنْزُ الْحَــقِّ
- الإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ
- الْذَّوْقُ السَّــلِيمِ
- إِخْــلاصُ الْقَصْــدِ
- حكَايَــاتُ الصَّالحِينَ
- يَقَظَــــــةُ الْقَلْبِ



قُبَّةُ الْصَّخْرَةِ الْمُشَرَّفَةُ (من الخارج)

الباب الخامس

قَدْرُ سيِّدنا رَسُول الله ﷺ وورَثته [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ....الحق المبين .

والصلاة والسلام على كنز الحق في مظهر الخلق ، معدن الجود والصدق ، وفاتق في أجواء العوالم الروحانية والعلوية كل رتق ، سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

❂ كَنْزُ الْحَقِّ

الآيات التي استمعنا إليها الآن ، من الآيات التي تبيِّن مقام وقدر سيدنا رسول الله ﷺ العالي والغالي ؛ لأن الله ﷻ يتحدث عن القرآن فيقول فيه :

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) ﴾ سورة الإسراء

أين نزل القرآن ؟

لقد نزل في رسول الله ﷺ.

إذن ... فهو يقول لنا : أن هذا الرجل كلُّه حقٌّ ، إن كان ظاهرة خلق ! ... إلا أن باطنه كنز الحق ﷻ ..... ، ولا يوجد به شيئاً من دواعي البشريَّة .... إلا إذا كانت لحكمة إلهية .

---

(1) كانت هذه المحاضرة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – محافظة الجيزة بمناسبة الإسراء والمعراج يوم الخميس ٢٦ من رجب ١٤٢٣هـ الموافق ٣ من أكتوبر ٢٠٠٢م بعد صلاة العشاء.

مثلاً ؛ لم يكن يحتاج للطعام والشراب مثلنا .... وكان يقول في ذلك [٢] :

﴿ إنّي لستُ مِثْلَكُمْ إنّي أظلُّ عِنْدَ ربّي فيُطعِمُني ويَسْقِيني ﴾.، وفى رواية أخرى ﴿ أبيتُ عِنْدَ رَبِّى فيُطعِمُني ويَسْقِيني... ﴾

ولم يكن يطعمه ويسقيه طعاماً وشراباً كطعامنا وشرابنا ، ولكنه يطعمه .... حكمة ، وعلماً لدنياً ، وفتحاً ، وحقائقاً ، ورقائقاً ، ودقائقاً ... تشبع منها الأرواح ..

لماذا إذن كان يأكل ويشرب مع الناس ؟

لكي يعلمنا كيف نأكل ؟ ونشرب ؟ ، كذلك ... لماذا تزوج ؟

لكي يعلمنا آداب معاشرة النساء ، آداب معاملة الأولاد .

وقد جعل الله له كل هذه الأحوال لكي نتهذب ونتعلم من حضرته وذلك سر قوله تعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب

لكنه كان غنيًا عن هذه الأحوال البشرية ، ولذلك كان يصوم صيام الوصال ، وصيام الوصال يعني أنه كان يصوم أكثر من يوم بدون طعام ولا شراب ، أي لا يفطر ! ، ولا يتسحر ! ، فعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قال [٣] :

﴿ كانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ حَتَّى نقُولَ لاَ يُفْطِرُ ﴾

---

(٢) عن أبي هريرة رضى الله عنه فيما رواه الإمام أحمد فى مسنده وفى فتح البارى ، قال : واصل النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك الناس فواصلوا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم فقال(الحديث) .

(٣) سنن النسائي عن ابن عباس ، ومسند الإمام أحمد عن عائشة.، وتمام الحديث (... وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ مَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ وَمَا صَامَ شَهْراً مُتَتَابِعاً غَيْرَ رَمَضَانَ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ).

فقد كان يصوم بالأسبوع !! ، ... كيف ؟

لأن الله أغناه والإنسان الذي أغناه الله لا يحوجه حتى إلى طعام ولا شراب ليقيم صلبه وإنما يقيم صلبه بالله ويتقوى بالله ويتقوت بعلوم الله وحاله كله بالله.ﷻ ، إذن هو ﷺ كما وضح هذه الحقيقة الإمام أبي العزائم رضي الله عنه فقال:

أبرزته يد العناية كوناً ... وهو نور في صورة آدمية

كان نور صرف ولذلك كان إذا مشى لا يرى له ظل لأنه نور وما ليس له ظل هي اللمبة: وهذه آية تماثلها كذلك الآية الأخرى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ ﴾ سورة القدر

(وفي) — هنا — في اللغة العربية .. يسمُّونها الظرفية ، فما هو الظرف الذي نزل فيه القرآن ؟ ، ..... قلب النبي العدنان ، وهو ليلة القدر ! ، ومن يرى حضرة النبي ، فقد رأى أعظم ليالي القدر ، فهل هناك ليلة قدر أعظم منه ﷺ .

هيكل المختار ليل جامع كل أنواع الملائك والعباد

لأن كل من رأى ليلة القدر ... أي رأى قدراً من النور ، فما بالكم بمن سيرى مصدر النور .؟؟ ، .. فماذا يرى ؟

إن أعظم ليلة قدر للإنسان أن يتمتع بوجه النبي العدنان ﷺ لأن مـــن رأى النبي فقد أصبح له قدر لأنه قال:

﴿ مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَإِنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ [٤] ﴾ وفى رواية أخرى :

﴿ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ ﴾

([٤]) رواه الطبراني في الأوسط والكبير و رجاله ثقات .وتمامه(مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي الْحَقَّ – وفى رواية (حقا) ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي)

مـــــــتى ؟ ، إذا كان ضعيفاً ؛ فعلى الأقل سيراه وهو خارج مــن الــدنيا ليستقبله ﷺ . وقال بعد ذلك ، عن جابر رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ قال :

﴿ لا تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِماً رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي ﴾ (٥)

إذن فقد أصبح له قدر ، لأنه نجّى من جهنم برؤيته لرسول الله ، إذن أعظم قدر للإنسان في ليلة القدر ، أن يرى الحبيب الأعظم صاحب القدر ﷺ .

ولذلك فإن سيدنا عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما ، روى فقال :

﴿ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ ، وَقَالُوا : تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ؟ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ ، وَقَالَ : اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلا حَقٌّ ﴾ (٦)

وحتى عندما يمزح .... كان يقول :

﴿ إِنِّي لأَمْزَحُ ، وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا ﴾ (٧)

فمزاحه حقٌّ ، وغضبه حقٌّ ، ورضاه حقٌّ ، وكل أحواله حقٌّ ، لأنه في باطنـــه كنز الحقِّ عز وجل : ....

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ الآية ١٠٥ سورة الإسراء

---

(٥) مشكاة المصابيح، الفتح الكبير للسيوطي، عن جابر رضى الله عنه .
(٦) سنن أبي داود و الدارمي ومسند ابن حنبل عن عبداله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما .
(٧) عن عبد الله بن عمر فى المعجم الصغير للطبرانى وعن عائشة فى أخلاق النبى لأبى الشيخ الأصبهانى .

ولذلك عندما كان يتكلم ...

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ٣-٤ النجم

فالحقُّ كلامه كله حقٌّ ، حركاته ، سكناته ، عباراتـــه ، أماراتـــه ، إشـــاراته ، تلويحاته ، توجيهاته ، كلها حقٌّ من الحقِّ عَزَّ وَجَلَّ .

ولذلك فقد قال الحقُّ عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾

الآية ٧ سورة الحشر

لأنه يتصرف بالحق ، وهذا يا إخواني قدر رسول الله العظيم ﷺ .

فيلزم للمسلم أن يعرف ماله عند مولاه ، لكي يحبه بقلبه ، ويزيـــد الحـــب ، ويعلو الشوق ، ويرفع الحجب ، ويمزق الأعراض ، ويذهب الأمراض والأغـــراض ، حتى يرى النبي ﷺ في عالم المنام ، ويلذ له من حضرته سماع الخطاب والكلام .

فما الذي يمزق كل الحجب ..؟؟ ، ويجعل الإنسان يراه ؟

هو الحـــــبُّ .

لكن الذي لا يحبُّ ، فستظلُّ أكوام الهموم ، ورواسى الغمـــوم جاثمـــة علـــى صـــدره ، وعلى قلبه ، ولن يرفعها إلا الحبُّ .

أما العبادات فليس لها شأن بهذه الفتوحات ، لأن العبادات لطريق الجنَّـــات ، لكن الجنَّات التي بها الفتوح ... والمشاهدات ..... هي الحبُّ .

الحب يمحق من قلب المحب سوى محبوبه

فـــــيراه لا بأمثـــــــال

ما الذي يحرق الأشياء الحسِّيَّة في الدنيا ؟

النار ، وما الذي يحرق الأشياء المعنويَّة التي في القلب ؟

نار المحبَّة للأحبِّة .... محمدٍ وحزبه .

ممن آتي بالكبريت ؟

من رجل من العارفين ! .

فهم معهم الكبريت الذي يقدح زناد قلوب المحبين ، ويقول في ذلك إمام المحبين في عصرنا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

نار المحبة كم أذابت مهجتي واخ المحبة لا يميل لغيرها

والمحبة هنا ليست للدنيا والفلوس وغيرها ، ولكنها المحبة لله ورسوله .

من أين نأتي بنار المحبِّة ..؟؟ ، ونشتريها ؟

قال العارف الفرد :

مني يباع الحب لا يشريه إلا فؤاد قد صفا ذاتيه

✹ الإِمَامُ أَبُو الْعَزَائِمِ

وهذه الليلة المباركة التي نحتفل فيها بذكرى الإسراء والمعراج ..

فإنا نحتفل بها كذلك بميلاد الإمام أبي العزائم رضي الله عنه وأرضاه ، لأن الصالحين دائماً ما يفعل الله لهم أشياء عجب ... كأن يختار لهم كل شيء طيب ، لأنهم أحبابه فالإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه :

ولد في هذه الليلة ليلة الإسراء والمعراج ، وكان أبوه يدعى الشيخ عبدالله

المحجوب ، وكان رجلاً من الصالحين ، ويحب الصالحين ، وكان يعمل تاجر حبوب ، ويسكن في بلدة محلة أبو على بجوار دسوق – محافظة كفر الشيخ – فأخذ زوجته السيدة آمنة ، فقد كان أبوه يسمى عبدالله ، وأمه تسمى آمنة ، والإمام أبو العزائم اسمه محمد ، وهذا من التوافق الإلهي ، وأبوه من ذرية سيدنا الحسين ، وأمه من ذرية سيدنا الحسن ، وكما قلنا فإن أباه كان محباً للصالحين ، والحديث يقول :

﴿ أدبُوا أوْلادَكُمْ عَلَى ثَلاثِ خِصَالٍ: حُبِ نَبِيكُمْ، وَحُبِ أهْلِ بَيْتِهِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ﴾ (٨)

فعندما تربى الولد على حب آل البيت أو الصالحين – مثلاً بالأمس القريب اتصلت بي ابنة واحد من إخواني مقيمة في السعودية منذ سبع سنين ، وقالت لي أنا في شدَّة وأرجو الدعاء – ولذلك عندما نربي أبنائنا على حبِّ الصالحين ، فإنهم يلجؤون إليهم عند الشدائد ؛ فيهيئ الله لهم الأسباب ببركة دعاء الصالحين لهم ، أما الآخرون فلن يفعلوا مثل ذلك ....

فذهب الشيخ عبدالله المحجوب وزوجته في هذه الليلة لزيارة سيدي زغلول في رشيد – ومسجد سيدي زغلول يعتبر من أكبر مساجد الجمهورية فقد كان يحتوي على ثلاثمائة وستون عاموداً – وعندما دخلت المسجد متوجهة إلى الضريح ، جاءها آلام الولادة قبل الضريح بمسافة قصيرة ، فأدخلوها الضريح ، وأقفلوا عليها بابه لكي تلد بداخل الضريح ، فولد الإمام في ضريح سيدي زغلول رضي الله عنه بمدينة رشيد .

وبعد الولادة كما تعلمون .... ، يكون هناك دم كثير ، فهيأ الله كتيبة من القطط !!!! ، تأتي وتلعق هذا الدم !! ، وتجعل الأرض وكأنها غسلت بالماء والصابون ، وهذا إكرام من الله عز وجل .

---

(٨) عن علي رضي الله عنه في الفتح الكبير وجامع الأحاديث وتمامه (... فَإنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ فِي ظِلِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ) .

ولم يحدث مثل ذلك إلا للإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه ، فقد ولد في الكعبة ، فأثناء طواف أمه السيدة فاطمة بنت أسد حول الكعبة ، جاءها المخاض وبشدة ، فحملوها إلى داخل الكعبة ، فولدت الإمام علي داخل الكعبة ، وهي عناية الله للصالحين :

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ الآية ٣٤ سورة الزمر

وشاءت إرادة الله أن الإمام أبا العزائم يعيش سبعين سنة ، ويموت في الليلة التي ولد فيها ، فكأنه أُسري بروحه من الأزل ، وظل متعلقاً بالله عز وجل .

ولذلك كان يقول لأحبابه وإخوانه أجمعين – بارك الله فيهم في كل وقت وحين – وكان ذلك وهو يخاطب الله عز وجل :

لولا الذين تحبُهم لفررت من ... كل الخلائق سائحاً فرارا
قلبي لديك وبالبرلس هيكلي ... اعلي لديك الصبَّ اعلى منارا

فقد كان رضي الله عنه وأرضاه في عناية الله في كل أنفاسه في هذه الحياة وقد كان لا يغيب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين وكان يأخذه الحال فيغيب عن وعيه ويغيب عن نفسه وينطق لسانه بكلمات كأنها الجواهر وقد كان يقول لأصحابه:

واحفظ إذا سمعت أذناك جوهرة ... واحرص عليها تنل كل المبرات
فوارث النور باب للنبي به ... ينال من أمَّهُ (قصده) كل الكمالات

كما قلنا ....

كان يغيب عن نفسه ، ويتكلم بالحكمة العالية ، إما قصائد كالتي يغنيها إخواني – وقد ترك أثر من نصف مليون قصيدة – وبعد أن يفرغ من القصائد ، كان أحياناً يتكلم ، فيكتبون خلفه كراساً ؛ فيقول لهم : أسمعوني هذه القصائد !! ، وأحيانا أخرى يقول : أسمعوني ماذا قال ؟..!!...

فيض قدس غريب الشكل ..!!.. وقد تعجَّب واحد من إخواننا من هذا الحال ، وقال من أين يغرف هذا الرجل ؟

فرأى في المنام سيدنا رسول الله ﷺ ، جالساً على كرسي ، وأمامه ستارة ، والإمام أبو العزائم يجلس على كرسي أمام الستارة ، وكلما نطق رسول الله بعبارة ، يكررها الإمام أبو العزائم ، كأنه يبلغ ، وهذا الرجل الذي رأى هذه الرؤية كان اسمه الشيخ فريد جبر رحمة الله عليه ، وكان في مدينة السويس ، وعندما أصبح سافر للإمام لكي يحكي له عن الرؤيا ، وعندما دخل وجد الإمام جالسا ، وحوله أصحابه ، يلقي عليهم درس علم ، وعندما لمحه الإمام ... قال :

لولا و لولا و لولا عهد وثيق طولى
لكشفت عني ستاري و بحت بالسر قولا
أغيب عني و أملي لمن بسري تجلى
لست المغني بقولي إلا إذا الفرد أملى

بذلك حكى له ما رآه في المنام

إن كان ما قلت نوراً فالسر أعلى وأغلى
يعطى لفرد مراد عن كل غير تسلى
باع النفوس ومالاً حتى به صرت أولى

وعندما كان يأتيه هذا الحال ، يقول لمن بجواره : أكتب ، وحدث أكثر من مرة لرجال ، أو واحدة من نسائه ، فيقول : أكتب ! ، فيقول : لا أعرف الكتابة ، فيقول : أكتب ! ، فيمسك القلم ويكتب بأمر الله عز وجل ، مع أنه لم يسبق له الكتابة ، وهذا تأييد الله عز وجل قال تعالى (في الآية ٥١ سورة غافر) :

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا... (ومَنْ بعدهم) ... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

أي الذين على قدم الرسل ..

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾

..أين ؟

﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة غافر

فكانوا يكتبون خلفه ، ليحفظ هذا الكلام .

وعندما كان يدخل لينام ، كان يأتيه هذا الحال أحياناً وهو نائم ، فكان من حوله من الصادقين ، يدخلون ويجلسون تحت السرير ، وعندما يأتيه الحال يكتبون ، ومن عادة الإمام عندما ينام أن يطفئ النور ، لكن عندما كان يأتيه هذا الحال كان النور الذي يعمه يضيء المكان كله ، فكان الصادقون يكتبون على نوره ، وقد سأل بعضهم مرة هؤلاء الصادقين ... وقالوا :

لماذا تدخلون عندما ينام الإمام ؟

ويظنون أن الشيخ لا يعرف عنهم شيئاً ! ، وإذا بالشيخ ينشد ويقول :

انا لو أغني في الخفا لتكلمت احجار هذا البيت عن كلماتي

لأنها رسالة الله :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

الآية ٦٤ سورة النساء

وقد ترك الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه ، كتبا ، وقصائداً ؛ ولذلك أطلب من إخواني مطالعة هذه الكتب ، لأنها تحتوي على نفس عالٍ .

ولن نستطيع أن نوفّي سيرة الإمام أبي العزائم حقها في هذا المجلس ، ولمن يريد

المزيد عليه أن يطالع سيرته في كتابنا "**الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي**"، يشمل هذا الكتاب أحواله وأنواره وأسراره ﷺ وأرضاه.

وهؤلاء الرجال الذين :

﴿ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ الآية ٢٣ سورة الأحزاب

هم من يقفون على بحر الفتح الأعظم ، ويناولهم المصطفى ﷺ .

ومعهم إذن صريح من حضرته ، لأنهم ﷺ وأرضاهم ، هم الموكلون بالنيابة عن حضرته في أزمانهم بتوزيع العطاءات على أهل الفتوحات ، والأخذ بيد الأرواح – التي تكاد أن تصعق فرقاً وخوفاً من أن تخرج من الدنيا ولم تنعَّم بطلعة المليك الفتاح – وتلك هي النفوس والأرواح التي سيساعدونها.

أما النفوس اللقسة التي تريد الدنيا ، والأرواح السافلة التي تبغي الزخارف والمطارف ، فليس لهم شأن بها .

وقد كان الإمام أبو العزائم رجلاً من هؤلاء الرجال ، وكان يعلم أحبابه على منهج المختار ، ويدلهم على أقصر طريق يوصل للأنوار ، ويضع أيديهم بعد صفاء نفوسهم ، وطهارة قلوبهم على كنوز الأسرار .

وكنت تجد أحياناً رجلاً أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، لكن معه فتح الفتَّاح العليم ، لأن العلم الوهبي ليس له شأن بالعلم الدنيوي ، ولا بالشهادات والدرجات ، ولا الوظائف والأموال :

كم جاهلاً نال علماً من مجالسهم   أضحى ولياً عليماً بالإشارات
أضحى ولياً له قلب و معرفة   يرى النبي عياناً حال خلوات

۞ الذَّوْقُ السَّلِيم

ما رأس مال الإنسان ... الذي يمشي به مع الصالحين ؟

الذوق .

فمن معه الذوق السليم ، والقلب المستقيم؛ يُبْشَّر ويبشِّر نفسه بأنه سيكون ممن يُخصوا بجزء من ميراث :

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝ ﴾ النمل

والذوق هبة من الله ، يقولون فيها :

{ قد يعطى الذوق رجل أمي ، وقد يحرم من الذوق عالم أزهري.}

إن هذا الذوق تعليم إلهي ، رباني ، يأتي بالإخلاص ، ومفتاحه الإخلاص .

من منكم يا إخواني يستطيع أن يعرفنا بعض أسماء الكتب في علم الذوق ، الذوق الإرشادي الخاص بنا ، وليس علم التذوق أي تذوق الطعام ، وكتبه كثيرة ، لكن الذي نعنيه هو الذوق في الفهوم ، والذوق في العلوم ، والذوق في الأسرار ، والأنوار ، من الذي يستطيع أن يُعلّمه ؟ ..!!..

لا يوجد !...

ولكنك تستطيع أن تتلقاه ، .. متى ؟

إذا ملئ القلب بالإخلاص لله ، وصارت النفس على قدم الصدق نحو الله .

فأول علم يتلقاه الإنسان بعد ذلك ، هو علم الذوق ، وصاحب هذا العلم يلهمه الله بالأدب ، الذي يصحب به إخوانه ، ويلهمه الله بالأدب ، الذي يصحب به العارفين ؛ لكي ينال فضل رب العالمين .

فدخول الجنة بالأعمال الصالحة .

أما وجه الله .... فلا ينال إلا بالأدب مع الله .

ورؤية حبيب الله ومصطفاه .... لا تنال إلا بكمال الأدب مع حضرته ، على وفق كتاب الله سبحانه وتعالى .

فلكي يمشي الإنسان في طريق الله ، فإن الله يؤهله ، ويعطيه الذوق السليم ، فيعرف من غير مُعرِّف ، ويتأهل بدون مؤهل ، فيجد نفسه ولو بعد سنين ، وهو يطالع في كتب العارفين ... أن الآداب التي ألهمه بها الله هي نفسها الموجودة في كتب العارفين ، مع أنهم أيضاً لم يتلقوها من كتاب ، ولكنهم أخذوها من علي الجناب :

الله يرفع لا علمي و لا عملي ......

يمحو الكيان بعاليه وسافله
علم من الله بالإلهام في الأصل

لأن من الجائز ، أن يسيء الإنسان الأدب ؛ فيحدث له العطب ، فلو صحب العارفين مع ذلك لمدة خمسين سنة ، فلن يزيد إلا حرمانا ! ، لأنه لم يحفظ الآداب ، ولذلك كان الإمام أبو العزائم يقول :

{{ حافظ على الأدب ولو رقيت إلى أعلى الرتب }}

فسيدنا أبوبكر ، وسيدنا عمر ، وسيدنا علي ، وسيدنا عثمان رضى الله عنهم أجمعين .... ، من أين تعلموا الأدب ؟

من الذوق .... فتح الله لهم باب الذوق السليم :

فعلمهم الأدب الكامل مع النبي الكريم ﷺ ، ومن ينتظر أن تعلمه الناس علم الآداب ! ، فيلزمه أن يظل في الإسطبل مع الدواب .

والإمام أبو العزائم يقول :

{{ المريد الصادق ، يفهم إشارة المرشد قبل كلامه }}

فلا يحتاج إلى كلام باللسان :

ولكنه يعرف ما يريده الشيخ من القلب والجنــــان ، وذلــك لأن الموجــة والإرسال واحد ... ، فعندما تكون الموجه واحدة ، وهذا الجهاز سليم ، والآخر سليم ؛ فمن يضبط المؤشر ؛ سيأتي بنفس الموجه .

وهم جميعاً مؤشرهم على موجة النبي الكريم .

ولذلك أحياناً تجدهم ، هذا يتكلم ، والآخر يتكلم ، وهذا في مكان ، والثــاني في مكان آخر ، ومع ذلك تجد أن ما هنا .. هناك !! ، لأن الإرســـال واحـــد ، لأن الإنسان عبارة عن جهاز استقبال .... باطنــه يــستقبل الأنــوار مــن الله ﷻ ، والإلهامات من الحبيب الأعظم ﷺ .

فالذوق السليم يا إخواني ... هو عكاز المريد .

فإذا فقد ذوقه ؛ مات شوقه ، وإذا مات شوقه ؛ طالت حــسراته ، ولم يبلــغ أمنياته ، لأنه بَعُد عن طريق الصالحين رضي الله. عنهم أجمعين في كل وقت وحين .

وتفصيل ذلك ، ولكي تصل إلى ذلك :

علينا أن نرى أحوال الصالحين مع بعضهم ، وإذا أردت أن أمشي في الطريق ، عليَّ أن أرى أحوال السابقين ، إما سمــاعاً ، أو نظراً ، وأمشي على هــديها ؛ إلى أن يفتح الله لي القلب ، ولا أمشي على حسب هواي .

وما يبعد المريدين عن الطريق ، أن كل واحد منهم يريد أن يمشي على هــواه ، مع أن المفروض ... ألا يكون لنا إلا هوى واحد : هوى حبيب الله ومصطفاه ....

﴿ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ ﴾ [٩]

لماذا نختلف إذن ؟ ، لأن كل واحد له هوى !!!

لكن لو عشقنا جميعا الهوى ، وهو الدوا ، وهو حبيب الله أكمل مرسل ، وفُتنا بأخلاقه ، وتجمَّلنا بأحواله ، هل نختلف ؟ ، لن نختلف ! ، لأن الهوى واحد ، والمنهج واحد ، والقصد واحد :....

ما اختلاف الطريق والقصد واحد والصراط السويُّ للمتواجد

فكما قال الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم :

خالف الهوى وحاذر إن توليه إن الهوى ما تولى يُصِمُّ أو يَصِم

وما على المريد في البداية ، إلا أن يجاهد ، حتى يفتحوا له باب الذوق السليم ، فيأتي له الإلهام المباشر من النبي الكريم ، بعد ذلك سيمشي على الصراط المستقيم ، وإذا حدث له زلل ؛ سيجد أن النبي ﷺ ، يأخذ بيده ، لأنه على السبيل القويم ، قال ﷺ في معنى الحديث الشريف :

﴿ المُؤمِنُ فِي يَمِينِ الله ، كُلَّمَا وَقَعَ أَقَامَه ﴾

لكن من يمشي على هواه ؛ فليس بتابع لي ، إذن ! ، من هو المحسوب عليَّ ؟ ، من هو معي في الفصل ، وأدرس له .

لكن الرجل الذي يأتي بكتاب من هنا ، وكتاب من هناك ، ويذاكر فيهم ، فلا شأن لي به ، لأنه ليس معي في المنهج ، ومعي في المنهج ... يعني معي في القصد ، لأنه لن يوجد من يريد الدنيا والآخرة معاً ، وإذا أراد أحدهم الآخرة فقط ؛ يجد أن الله يأتي له بالدنيا ... رغم أنه لا يطلبها ، وإذا أراد آخر الدنيا .. فلا شأن له بالآخرة ،

---

(٩)عن ابن عمرو رضي الله عنه ، في مشكاة المصابيح وفتح الباري .

لأن هذا طريق ! ، وهذا طريق آخر ! ، وقد قال الله للدنيا :

﴿ يَا دُنْيَا اخْدُمِي مَنْ خَدَمَنِي ، وَأَتْعِبِي يَا دُنْيَا مَنْ خَدَمَكِ ﴾ [١٠]

وقد اشتهر بين الناس الأثر القائل :

﴿ يادنيا ! ، من خدمني فاخدميه ، ومن خدمك فاستخدميه ﴾

وهذه حكمة الله .

إذن يلزم أن يكون القصد واحد ، لكي يكون المنهج واحد ! .

وهذا أحرص ما يحرص عليه المريد ولذلك فإن سيدنا رسول الله ﷺ عندما كان يرى المريدين .... رأى من يطيلــون في الــصلاة ... وفي العبــادات ... وهــم كرؤوس وأصول الخوارج ؛ فقال عليه الصلاة والسلام فيما معناه : ...

﴿ إن العبْدَ ليُرْفَعُ لهُ من العَمَل ما بيْن السَّماءِ والأرض ، ولا يَزِنُ عند الله جَنَاحَ بَعُوضَةَ ﴾ ، وفي الحديث الآخر :

﴿ و إِنَّهُ لَيَأتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ- وفي رواية : الطَّويل - يَوْمَ القِيَامَةِ ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ﴾ [١١]

وذلك لأنه يعمل هذه الأعمال ، ويرى نفسه فيها !! ، أنــه عمــل ! ، وأنــه ماهــر ! ، ولم يعمل مثل عمله أحد !!! ، ... وماذا عمل بغير الله ؟ !

هل يستطيع أحدٌ أن يعمل أي عمل بغير معونة الله وتوفيقه عز وجل يا إخواني ؟

---

(١٠) مسند الشهاب القضاعى ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلدُّنْيَا ..(الحديث) .

(١١) عن أبي هَريرة ، متفق عليه ، وفيه بقية (.. وَقَالَ : اقْرَءُوا ، (فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)

أنا مثلاً ... : أتكلم الآن .... ، لكن لو أن الخط الذي يصلني منه مـــدد الله تعطّل .. كيف أتكلم ؟ !!! ، وهل أستطيع أن أصلح الخط مرَّة أخرى ؟

أبداً ! ، ولكنه كلُّه بتوفيق الله ومعونة الله عز وجل .

إخـــلاصُ الْقَصْـــد

وقد قال الصادق صلى الله عليه وسلم :

﴿ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْقَلِيلُ مِنَ الْعَمَلِ ﴾ [١٢]

أي لا نريد منك العمل الكثير ، لأن المهم هو الإخلاص .

والإخلاص يعني .... لا يريد إلا الله ، ولا يقصد سواه ، ولا يبغي شيئاً غـــير رضاه ، ولا يطلب في الدنيا والآخرة إلا وجهه عز وجل .

ومثل هذا يفتح الله عز وجل له باب الذوق ، وإذا فتح الله له باب الذوق ، حباه من فضله بالتوفيق ، ... أي يصبح كما نقول في الدنيا "مَرْزُوق" .

فهناك من يعمل عملية واحدة في الدنيا ويكسب مائتا ألف جنيه ، وهناك مـــن يعمل ليل نهار ثم يخسر ! ويستدين ! .

كذلك نفس الموضوع .... فالمرزوق يحبوه الله بـــالتوفيق ، وأعـــزُّ بـــضاعة في معرض الذات الإلهية ، هي بضاعة التوفيق ... ولذلك لم يذكرها الله في القرآن إلا مرَّة واحدة وعلى لسان نبي (سورة هود):

﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾

---

(١٢)رواه ابنُ أَبي الدُّنْيَا فِي الإِخْلاَصِ عن معاذ رضي الله عنه .جامع الأحاديث والمراسيل والفتح الكبير.

فنحن جميعاً محتاجون إلى التوفيق .

ومن الممكن أن تأتي على الإنسان لحظة بالتوفيق ، تختصر له الطريق ، ويصبح على قدم الصديق ، وإنسان آخر يظل ألف عام يجاهد !! ، ومكتوب أمامه لن تشاهد !! ، لعدم التوفيق ، والعلة أن هناك جزءاً في قلبه جاحد ؛ لأنه يرى في نفسه أنه هو الذي يعمل ، فالعبرة إذن يا إخواني بالتوفيق .

فقد كان سيدنا عمر ﷺ يمسك بالسيف ، ويذهب ليقتل به رسول الله .. ثم رجع بعدها .... واسمه معزُّ الإسلام الفاروق !! ... أخذ وسام الفاروقية !!! ، فعندما ذهب ليقتل رسول الله ... جاءته لحظة العناية !! ، ولحظة العناية ألبسته الولاية :

{{ ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب }}

أهل الحكمة يقولون ذلك ، ولكننا نقول أن السبب هو حسن الأدب ، وعلينا أن نصلح هذا البيت بأن نقول :

{{ ملك الملوك إذا وهب ... فالسبب حسن الأدب }}

فالموضوع كله يا إخواني يستلزم العناية .

والعناية هي التوفيق ، والتوفيق بالصدق ، وإياك أن تلعب بك نفسك وتقول أن هذا الطريق به منافع ، وعلي أن أستغلَّ ذلك ، وآخذ هذه المنفعة بذلك ، كل ما ستحصل عليه من الدنيا والآخرة هي هذه المنفعة .

وقد جاء للإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه رجلٌ في المنيا وكان يبيع العيش على دراجة ، وقال للإمام : أُدعُ لي يا سيدنا الشيخ ، فقال : ماذا تريد ؟ ...

قال : أريد من الله أن يكثر عندي المال ، ويصبح عندي كذا وكذا ، فدعى له ، ثم قال : أرحتني يا بني ! ، فسأل الإمام من حوله : كيف أراحك يا سيدنا ؟ ..، قال : أخذ ما يريد ، لكن من يريد الله؟ ، فإنني أحمله هنا وهناك إلى أن يصل إلى مناه .

ومن يريدون المصالح والمنافع كثيرون ، فعندما يـتكلم الله عنـهم في القـرآن الكريم يقول سبحانه وتعالى جلَّ شأنه :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ.. ﴾ الآية ٢١٥ البقرة

" قل " ، ومن " يسأل " هنا .... كثير ....

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾ الآية ٢٢٢ البقرة..

الجماعة الذين يريدون أن يعرفوا الشريعة ... : ... " قل " وهم كثير ...

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ الآية ١ سورة الانفال

يريدون الغنائم .... وهي كثيرة .، . أيضاً : ....." قل" ....

وعندما جاء الذين يسألون عن الله ؟ ، قال له : ....

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ ﴾

إذن عدد محدود للغاية .... !!!! .....

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ ﴾

أي لا بد وأن يسألوه هو ! ، وبنفسه ! ، ولم يقل " وإذا سأل عبادي عـني " ، .. لا .!!! ، ولكن : .....

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ الآية ١٨٦ البقرة

إذن السؤال هنا للقلَّة ، فمن يسأل عن الله هنا ..... قلة قليلة : ....

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾
الآية ٢٤ سورة ص

وهؤلاء القليل لا يبغون دنيا ولا آخرة .

ومن جملة هؤلاء القليل الذين عرفناهم شيخنا الشيخ محمد علي سـلامة رضي الله عنه وأرضاه ، كان رجلاً لا يريد أن يعرفه أحد ! ، وكان يقول لي :

{{ يا بني ! ، نحن مثل الجندي المجهول }}

أي لا يعرف أحد ماذا عمل ؟

لأن الله هو الذي يرى .

ولا يطلب من الدنيا والآخرة غير رضاء الله عز وجل .

۞ حِكَايَـاتُ الْصَّالِحِين

وهذه الأحوال يا إخواني ...

لا بد أن نعرفها ، لأن الإمام الجنيد كان يقول :

{{ حكايات الصالحين .... جندٌ من جنود الله !! ، تحرِّك قلوب المريدين إلى الله عز وجل }}

ونحن للأسف !! ، نطالع حكايات النصابين والـدجالين في الـصحف ! ، ولا نلتفت لحكايات الصالحين والمحبين !! ، مع أنه من الواجب علينا أن نطـالع ونـدرس حكايات الصالحين .

وقد قال بعض الصالحين :

{ قد ينال المريد مقام الكشف عند الله وهو يطالع في كتب القوم }

لأن الواحد منا عندما يطالع في كتب الصالحين ، يحدث له جمع همٍّ كليٍّ علـى الله ، لدرجة أن لو تكلم من بجواره معه فلا يسمعه ، ولو أن التليفزيـون مفتـوح لا

يشعر به ، ومن الممكن في هذه الحالة أن هذا الجمع يزداد .... فيزيل الحجـــاب !! ، ويصبح من أولي الألباب ويرى وجه الله عز وجل ظاهراً في كل موطن من قلبه وحوله .

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية ٣٥ سورة النور

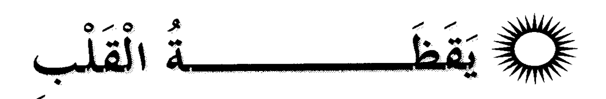
وذلك كله بجمع الهمة على الله .

إذن يجب على الإنسان أن يخصص له وقت يقرأ فيه عن أحـــوال الـــصالحين ، وأخبار المتقين ، وخاصة المعاصرين !!! ، لأنه عندما يقرأ أخبار السابقين فقط ، يظـــنُّ أن هذا الزمن قد انتهى ، ويقول : نحن الآن في زمن التلفاز ، والفيديو ، وغيرهـــا !!. مع أن الصالحين موجودون في كل زمان ومكان ، ليقيموا الحجة على أهل هذا العصر.

فيجب على الواحد منا أن يطالع أحوال الصالحين ، وخاصة أحوال المريدين مع الصالحين ... لكي يكون مع الصادقين (آية ١١٩ سورة التوبة) :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾

وبسبب أن الصالحين في هذا العصر غير ظاهرين أرى أن كثيراً من إخواننـــا لا يهتم بآداب المريدين ، وآداب العارفين ، وكيفية السلوك إلى ربِّ العالمين .



يَقَظَـــــــــةُ الْقَلْبِ

إذن يجب عليك هنا ..

أن تبحث عن نفسك ! ، ونحن نساعدك ، ونعينك ، بشرط أن يكون عنـــدك الأساس !! ، فإذا كنت مثلاً نائماً ! ، فما علينا في هذه الحالة تجاهك إلا أن نقول لك الصلاة خير من النوم !

لكن إذا قلنا لك : " الصلاة خير من النوم " خمسين مـــرَّة !! ، ومـــع ذلـــك تستعذب النوم !!! ، فماذا نفعل لك ؟

فيلزم أن تصحِّح نفسك !!! ....

وما يقوي يقين الإنسان ... أن ربنا يقول : .....

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ سورة الإسراء

ومعنى الآية :

أن الذي لا يرى هنا ؟ ، فلن يرى هنـــاك شـــئاً ، ولأن العمـــر قـــصير ! ، والمطلوب عظيم ! ، فإذا خرجت من هنا ... ولم أرَ شيئاً من جمال الله ؟ ، فكيف أراه وأعرفه هناك ؟ ، وأنا لم أره هنا !!! .

بل إن الجنَّة نفسها !! يجب أن تعرف فيها .. أين مكانك ؟ ، والشارع الـــذي سنقيم فيه !!! ما اسمه ؟ ، وما رقمه ؟ ...

كما قال الله تعالى :

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ سورة محمد

أي يعرفونها قبل ذلك .... !!!! ....

لكن من يذهب ، ولا يعرف عنوانه ؟ ، من الذي سيعرِّفه ؟ ...!!!...

لا بد وأن يعرف من هنا كل أحواله ، وكل فضل الله عليه ، بل ويطالب بـــه أيضاً !! ، لأنه عندما أخرج من هنا ، وأنا أعرف ميراثي من رسول الله ، أســـتطيع أن أطالب به !!! ، فإذا ذهبت ... وأنت لا تعرف ؟؟ ، ماذا يعطوك ؟

فلو أعطوك جنَّة الخلد ! ، فأنت لا تعرف إن كنت من أهلها ؟ ، أو من أهـــل جنَّة عدن ... لأنك لم تبحث عمَّا لك .

إذن على المؤمن أن يوطِّن نفسه .... أن يعرف ماله عند ربِّه ؟ ، أكثر مما يعرف ماله عند الناس ؟ ، لأن ما قدِّر لك عند الناس .... ضمنه لك ربُّ الناس عَزَّ وَجَلَّ :

﴿ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. فَإِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ ﴾ [١٣]

فلماذا تتعب ؟ ، وتكذب ؟ ، وتنافق ؟

{{ فما قُدِّر لك .... سوف يأتيك }}

لكن كل المشكلة ؟؟؟ ، فيما لك عند الله .... ماذا تريد منا يا ربِّ ؟

﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ الآية ٦٩ سورة العنكبوت

لا بد أن تجاهد في ذات الله عَزَّ وَجَلَّ .....

ولا نكتفي بالذكر القليل ! ، كل شهر مرة مع إخوانك !!!!...

لأن الله قد قال :

﴿ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ الآية ٤١ سورة الأحزاب

كيف يا رب ؟

﴿ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ الآية ١٠٣ النساء

---

(١٣) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، سنن ابن ماجة .

أي اذكر الله على كل حال !!!! ..

لكي تصبح من الرجال !!!!! ...

الذين : ....

﴿ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ الآية ٣٧ سورة النور

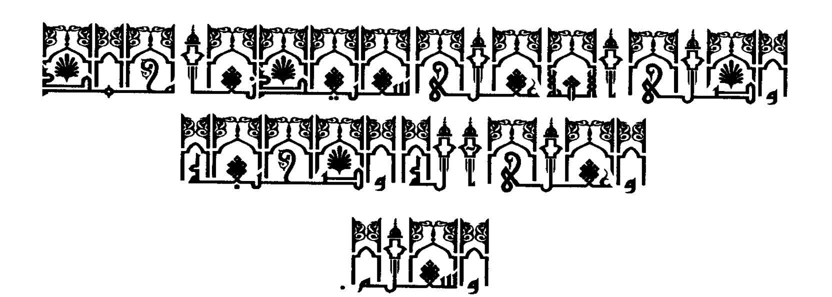
نسأل الله عز وجل ...

أن يعيننا على ذكره ، و شكره ، وحسن عبادته .

وأن يمنحنا خالص توفيقه ، وسابق عنايته .

وأن يحفظنا في الدنيا بألطافه ، وهدايته .

ويجعلنا في الآخرة من أهل ولايته ، ويمتعنا بالنظر إلى جمال طلعته ، وأن يوفقنا على الدوام ، لأن نقول في كل وقت وحين ... الله . الله . الله. ....





الْكَمَـــالاتُ الْمُحَمَّـــدِيَّةُ

- الْكَمَـــالاتُ الْجُسْمَانِيّـــَةُ
- الْكَمَـــالاتُ الْمَعْنَوِيَّـــةُ
- الْكَمَـــالاتُ الْعَقْلِيّـــةُ
- الْكَمَالاتُ الْقَلْبِيَّةُ وَالْرُّوحَانِيَّةُ


قال الله تعالى لحبيبه فى محكم التنزيل ..
وَإِنَّكَ
لَعَلَىٰ خُلُقٍ
عَظِيمٍ
آية ٤ سورة القلم

الباب السادس
الْكَمَــــــالاتُ الْمُحَمَّـــدِيَّةُ [١]

الحمد لله ....

المنزّه عن كل عيب ، والمطهَّر في صفاته عن كل دنس أو نقص .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله ...أكمل عبد خلقه الله ، وتولاه بعنايته ، واصطفاه وجعله الحبيب المحبوب لحضرة مولاه ﷺ .

وعلى آله الأبرار ، وأصحابه الأخيار ، وكل من تمسك بهديه إلى دار القرار ...

وبعد .... فيأيها الأخوة الكرام ......

إن الله ﷻ جعل نبينا ﷺ أكمل المخلوقات البشرية .

فقد جمع الله ﷻ فيه الكمالات الجسمانية ، والكمالات القلبية ، والكمالات المعنوية ، والكمالات الروحانية .....

ولذلك يقول فيه شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه :

و أجمل منك لم تر قط عين
و أكمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرّأً من كل عيب
كأنك قد خُلقت كما تشاء

([١]) تم تسجيل هذا الحديث الإذاعي لإذاعة القرآن الكريم وإذاعة القاهرة الكبرى بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – محافظة الجيزة بمناسبة الإسراء والمعراج يوم الخميس ٢٩ رجب، ١٤٢٤هـ الموافق ٢٥من سبتمبر ٢٠٠٣م قبل صلاة العشاء.

۞ الْكَمَالاتُ الْجُسْمَانِيَّةُ

فأما كمالاته الجسمانية صلوات ربي وتسليماته عليه ..:

فنشير إلى نذر يسير منها ، وهو أنه ﷺ :

كان إذا نام ... ، تنام عينه ... وقلبه لا ينام .

وكان صلوات ربي وتسليماته عليه :

إذا مشى .... لا يرى له ظل !!! ؛ لأنه كان نوراً في ظاهره ، ونوراً في باطنه .

وكان ﷺ لا يقف الذباب عليه قط ، لطهارته ، وصفائه ، ونقائه .... في جسمه ، وقلبه ، وروحه ... صلوات ربي وسلامه عليه .

وكان ﷺ في أحواله الجسمانية كلها ... على الهيئة الكمالية التي تعجز الأوصاف البشرية

فكان إذا مشى ... فكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

﴿ ما مشى ﷺ مع قوم إلا وكان أطولهم ، مهما كان طولهم !! ، ولا قعد مع قوم إلا وكان أعلاهم أكتافاً .. مهما كان علوُّهم ..!! . ﴾

وعن عائشة رضى الله عنها قالت :

﴿ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ، ولا بالقصير المتردد ، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما ! ، فإذا

فارقه ... نُسِبَ صلى الله عليه وسلم إلى الربْعَة .﴾ [٢]

وأما مشيه ﷺ :

فيقول فيه أبو هريرة رضى الله عنه :

﴿ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ؛ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تطْوَى لَهُ ... إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا ... وإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ ﴾ [٣]

وقال ﷺ مبيناً لبعض كمالاته الجسمانية :

﴿ مَا تثاءب نبيٌّ قط ﴾ [٤]

وأنه صلى الله عليه وسلم :

﴿ ما احتلمَ قط ، وكذلك الأنبياء ﴾ [٥]

فلم يتثاءب : .....

لأن التثاؤب ربما يكون من الشيطان ، أو من الكسل ، والنوم .

ولم يحتلم : ......

لأن الشهوة لا تخطر له على بال أبداً .

لأن الله حفظه ظاهراً وباطناً.

([٢])عن عائشة رضى الله عنها ، رواه البيهقي وغيره وزادا ابن سبع فى الخصائص أنه (كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين صلى الله عليه وسلم) .

([٣])رواه أبو هريرة ، سنن الترمذي.

([٤])رواه ابن أبي شيبة وغيره وأخرج الخطابي .

([٥])رواه البيهقي وغيره كثيرون .

۞ الْكَمَـــالاتُ الْمَعْنوِيَّـــةُ

أما كمالاته المعنوية :

فقد بلغ فيها الغاية التي لا يدانيه فيها سواه .

فقد ضرب الله عز وجل به المثل الأعظم في الأخلاق الكريمة ، وقال في شأنه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ سورة القلم

فقد كان ﷺ :

أعظم الناس عفواً .

وأطول الكائنات يداً وكرماً .

وكان ﷺ أحلم مَنْ خلقه الله ، ولم يوجد في دنيا الناس من اتـــصف بهـــذه الصفات كسيد الناس ﷺ ، حتى قال فيه سيدنا موسى عليه السلام مبيناً صفاته في التوراة :

{ لا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلماً }

وهذه هي الغاية العظمى في الحلم للحبيب الأعظم ﷺ .

وكفاه شرفاً وفخراً ...

أنه لما تمكَّن من قومه بعد فتح مكة ، جمعهم حول البيت الحرام وقال لهم :

ﷺ يا معشر قريش : ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ ، قالوا : خيراً ، أخ كريم ! ، وابن أخ كريم ! ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا أقول لكم

إلا كما قال أخي يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ سورة يوسف [6]

وكم حملت لنا كتب السيرة الشريفة ...من وقائع لأناس كانوا يقولون :

ما على وجه الأرض رجل أبغض إلينا من محمد ، فلما ووجهوا بكماله ، وعاملهم بخلقه العظيم ، تغيرَّوا في الحال وقالوا :

ما في قلبنا ، ولا وجدنا رجلاً أعظم عندنا ..ولا أحب إلينا ..من محمد ﷺ .

☼ الْكَمَالاتُ الْعَقْلِيّةُ

أما كمالاته العقلية ...

فيقول فيها وهب بن منبه رضي الله عنه :

" اطلعت على إحدى وسبعين كتاباً فوجدت أن ما أوتى جميع العقلاء بالنسبة لعقله ﷺ كذرة رمل في صحراء واسعة "

فقد كان ﷺ كما قال فيه ربه :

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾

الآية ٦ سورة النمل

فقد كان هو الحكيم الأعظم في الأولين والآخرين ﷺ .

وتظهر حكمته في كل تصرفاته ، وفي كل أحواله ، وفي كل أعماله ، وفي كل

---

[6] فيض القدير ، فتح الباري.

توجهاته ، وفي نصائحه ، وإرشاداته .

فقد كان فيها هو الحكيم الأعظم ، حتى أنك لو اطلعت على أحاديثه الشريفة ؛ لا تستطيع !!..، ولا يستطيع الأولون والآخرون .. أن يغيروا لفظة من مكانها !! ، أو يجدوا لفظة أجمل !! ، أو أكمل منها في موضعها !! ..

لأنه كما قال ﷺ :

﴿ يا أيُّها النّاسُ .... إنّي قدْ أوتيتُ جوامِعَ الكَلِم وخَواتِمَه ، واختُصِرَ لي اختِصاراً ، ولقدْ أتيْتُكُم بها بَيْضاءَ نقيَّة ، فلا تَتَهوَّكُوا ، ولا يُغرَّنَّكُمُ المتَهوِّكُونَ ﴾ [٧]

۞ الْكَمَالاتُ الْقَلْبِيَّةُ وَالْرُّوحَانِيَّةُ

أما كمالاته القلبية ..:

فيكفي فيها تزكية ربِّ البرية:

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ الآية ١٧ سورة النجم

وقوله عزَّ شأنه :

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ الآية ١١ سورة النجم

فكل ما رآه بقلبه ...

إن كان في عالم الملك ، أو في عالم الملكوت ، أو في غيرها من عوالم الحيِّ الذي

---

[٧] رواه أبو يعلى في مجمع الزوائد والبيهقي عن أبي قلابة ، لا تتهوَّكوا : أى لا تتحيَّروا (مختار الصحاح) .

لا يموت .... أكد الله عز وجل أنه رآها رؤية صحيحة .

لأن فؤاده صحيح ، ولأن قلبه يعي عن الله عز وجل ، وأنه صلى الله عليه وسلم يتجه بتوجيه الله ، ولا يتحرك إلا بإذن ، وأمر من الله عز وجل .

وأما كمالاته الروحانية :

فيكفي في ذلك أنه تجاوز كل عوالم الملكوت ، ووصل إلى عالم سدرة المنتهى ، ووقف الأمين جبريل وقال :

إلى هاهنا انتهى مقامي ، فلو تقدمت لاخترقت ، وأنا لو تقدمت قدر أنملة لاحترقت .

فتجاوز صلى الله عليه وسلم بروحانيته روحانية الأمين جبريل عليه السلام .

يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه في ذلك:

جبريل و هو عظيم في مكانته
لم يستطع يلج الأنوار بالهمم
إن كان جسم حبيبي في لطافته
أصفى و أزهى من الأرواح كلهم
فكيف تدري معانيه و صورته
كنز العلي فلا تبحث و لا تحم

إذا كان جسم حبيبي في نورانيته ، تجاوز جبريل في شفافيته وروحانيته :

فهذا دليل على أنه بلغ أعظم مقامات الكمال في كل مجال .

لأنه صلى الله عليه وسلم يكفيه :

أنه كان صورة القرآن الحية الناطقة .

ولذلك عندما سُئلت السيدة عائشة عن شأنه ، ماذا قالت ؟ ، استمع إلى الحديث الشريف عنها رضى الله عنه وأرضاها :

﴿ أنَّها سُئِلَتْ عَنْ خُلُق رَسُولِ اللَّهِ ؟ فقالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، يَرْضى لِرِضَاهُ ، وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ ﴾ (٨)

نسأل الله عز وجل ...

أن يخلقنا بأخلاقه .

وأن يجمِّلنا بأحواله .

وأن يعيننا على التمسك بهديه ، والانتفاع بأقواله .

وأن يرزقنا حبَّه وحبَّ آله ، وأن يجمعنا معه يوم الدين في دار النعيم .

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه

وسلم .

---

(٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عَنْهَا، مسند الإمام أحمد .



الباب السابع

نَصِيبُ أَهْلِ الإِيمَـــانِ مِنَ الإِسْـــرَاءِ

- طُـلاَّبُ الْمَزِيدِ
- طَهَـــارَةُ الْقَلْبِ
- بدايَـــةُ أَهْلِ الْعنَايَةِ
- غَنَائِمُ الْصَّـــالحين
- آفَـــاتُ الْنَّفْسِ
- الْعِلْـــــمُ الْغَيْبِيّ

قال عليه أفضل الصَّلاة وأتمُّ السَّلام

مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ؛ وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه

الباب السابع

نَصِيبُ أَهْلِ الإيمَانِ مِنَ الإسْرَاءِ [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ...

الذي أكرمنا بواسع كرمه ، وغمرنا بعميم فضله ، ووهب قلوبنا نور الإيمان ، وجمعنا على الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، وجعله إماماً لنا في الدنيا ، وشفيعاً لنا يوم لقاء حضرته .

والصلاة والسلام على الإمام الأعظم لكل مقرَّب ومكرَّم ؛ سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم ، والمنهج القويم ، والسلوك المستقيم ، والقلب السليم ... صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه ، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين ...

آمين آمين يا ربَّ العالمين .

إخواني وأحبابي ... بارك الله عز وجل فيكم أجمعين .....

دائماً ما نسمع من السادة العلماء أن الله عز وجل ذكر الإسراء في موضع من كتاب الله .... وهي الآية الأولى من سورة الإسراء :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (١) ﴾ الإسراء

([١]) كانت هذه المحاضرة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – محافظة الجيزة يوم الخميس، ٢٩ رجب، ١٤٢٤هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٣م ، بعد صلاة العشاء بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج .

وذكر الله عز وجل المعراج في أوائل سورة النجم :

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ ﴾

إلى قوله عزَّ شأنه :

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝ ﴾

ولكننا إذا نظرنا إلى كتاب الله عز وجل في الحقيقة ...

نجد أن أول آية تتحدث عن البداية ... التي بها تَمَّ للحبيب الأعظم الإســـراء والمعراج .... هي سورة الانشراح : ....

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ ﴾. الشرح

إلى آخر السورة .

والآية التي تتحدث عن الإسراء ... هي التي تليها :

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ.... ﴾ سورة التين

وهو الإنسان الأكمل والأعظم صلى الله عليه وسلم :

﴿ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ﴾

ولم يقل الله : " في أحسن تكوين " ، ولكن " في أحسن تقـــويم " ....، لأنـــه لم يوجد في الأولين والآخرين .... من قوَّم نفسه ، وأصلح شأنه ....:

كهادينا ، ونبينا ، وشفيعنا عند الله ﷺ .

ومن هنا قال في هذا الأمر أحمد شوقي رحمة الله عليه :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه

فقوّم النفس بالأخلاق تستقم

☼ طُـــلابُ الْمَزِيدِ

أي عليك ..... تقويم نفسك ! ..

.... فبداية الإسراء هي شرح الصدر ....

والمسلمون لهم في الإسراء نصيبهم ، والمؤمنـــون لهـــم في الإســـراء قـــوهم ، والمحسنون لهم في الإسراء أنوارهم ، والموقنون لهم في الإسراء مكاشـــفاهم ، وأهـــل التمكين لهم في الإسراء مؤانساهم ، وملاطفاهم ....

وكل على قدره ، بما يعطيه ويفيض عليه ربه عَزَّ وَجَلَّ : ...

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ الآية ١٦٤ سورة الصافات

وهذا شأن الملائكة ل! ، لم مقام معلوم ... لا يزيدون عليه .... ولا يحـــصِّلون سواه .... ولا يتغيَّرون عنه : ....

﴿ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾

يعني ثابت ! ، لكن نحن فلا ..... : المؤمن ، والمحسن ، والموقن .... يقول فيهم سيدي الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

و العارف الفرد محبوبٌ لخالقه
فات المقامات تحقيقاً و تمكيناً
في كل نفس له نورٌ يواجهه
من حضرة الحق ترويحاً و تيقيناً

كل نفس له مقامات شتى ، وأنوار متباينة ، وعلـوم متفاوتـة ، وأحـوال متعاظمة ، ومقامات متنامية ، فلا يوجد مؤمن له مقام معلوم ثابت ، فهذا للملائكة .

لكن المؤمن في ازدياد دائم :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ الآية ٢٦ سورة يونس

والزيادة مفتوحة عند الله عز وجل ، ليس لها نهاية !!!! ...

ولذلك فإن المؤمن لا يقف عند مقام ، ولا يجعل أمله على رتبة واحـدة مـن مراتب الإكرام والإنعام وحسب .

ويقول الشيخ ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه في أهل المكاشفات :

{{ السالك إذا كوشف بالحقائق .... كلما همَّ أن يقف ! ، نادته هواتف الحقيقة ... }}

لأن السالك يصل إلى مقام ، لا يتعلَّم فيه من معلم ؛ ولكنه يتعلَّم مـن جميـع الكائنات ، ... كلها تحدثه ! ، وكلها تكلمه ! ، وتوجهه ! ، وكلها تحذره إذا كـان سيقع في خطأ ! ، أو تنذره ! ، لأنه يكون في مقام يتلَّقى فيه من الكلِّ...

وفيه يقول القائل :

{{ ليس بكائن ! ، من لم يستفد من كل كائن ...}}

{{ السالك إذا كوشف بالحقائق ، كلما همَّ أن يقف ! ، نادته هواتف الحقيقة .لا تقف ! ، فإنما نحن فتنة فلا تكفر ! ، والمطلوب أمامك . }}

إياك أن تقف عند مقام ! ، أو عند رتبة ! ، أو حال ! ، أو عند عطيَّة ! ..، والسالك في طريق الله عز وجل وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

﴿ مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعَانِ طَالبُ عِلْمٍ ، وَطَالِبُ دُنْيَا ﴾ [٢]

لا يشبع أبداً !!!! ..

ولذلك فإن سيدي يحي بن معاذ رضي الله عنه ، أرسل لسيدي أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه ، قائلاً :

شربت كاسأ من المحبة فارتويت ....

فرد عليه أبو يزيد قائلاً :

شربت الحب كاسأ بعد كاس ....
فما نفد الشراب و ما رويت

فأنت شربت كأساً واحدة ! ، وارتويت !! ، ولكني شربت كأساً بعد كأس ! ، فلا الشراب انتهى ! ، ولا أنا ارتويت !!!

وفي هذا المقام يقول إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه :

فمائة من الآلاف عشرون بعدها
مشارب رسل الله بالإجمال

فمشارب الأنبياء ... كم يا إخواني ؟

---

[٢] عن ابنِ عباسٍ ، سنن الدارمي ، والمستدرك .

مائة وأربعة وعشرون ألف ! ...

يقول الإمام ..: .... أن هذه البحار والمشارب : ....

لي قد تجلّت بل و فيَّ قد انجلت
فسلّم لنا تحظى بخير وصال

إلى أن قال : ....

كل البحار شربتها وحشاشتي لم ترتوي

بحار العلم ، وبحار الحكمة ، وبحار الأنوار ، وبحار الأسرار ، وبحار اللطـف ، وبحار الفضل .... شربها كلها !!! ، ولم يرتوِ ... !!! .

لمـــــــاذا ؟

هكذا يكون السالك في طريق الله .

لأنه لو شبع سيقف ، ولو ظنَّ أنه وصل ! ، فعن مولاه ﷻ انقطع .

لأن طالب الكمال عليه أن يقول لنفسه: ليس للوقوف مجال ، فعلى الـدوام يطلب المزيد من الملك العلام ﷻ ، ولا نهاية لمزيد فضل الله ، ولا حدَّ لخزائن عطـاء الله ، ولا منتهى لجود الله وكرم الله .

فلماذا الوقوف يا أحباب الله .... !!...؟؟ ... مع ما أعطاه الله لنا من عطاء! ، وما تجلّى به على قلوبنا سبحانه وتعالى .... من علم ، أو حكمـة ، أو فـضل ، والله سبحانه وتعالى واسع عليم .

فعلى المؤمن أن يوسِّع أفقه دائماً ؛ لأن بعضنا يقف عند بعض الإشارات الـتي يسمعها ، ويظن انه قد بلغ المنتهى .....

{{ **ولا منتهى للواله الحيران** }}.. كما قال الكرام ......

۞ طَهَـــارَةُ الْقَلْبِ

وعلى سبيل المثال ...

فإن سيدنا رسول الله ضرب الله لنا مثلاً في رحلته ، بأحوال ومنازل الـــسالكين إلى حضرته ، ولا يذوق الإنسان طعم الوصال ، ولا يتهنّى ببعض فــضل الواحـــــد المتعال ؛ إلا إذا جهَّز الماعون .... الذي يتلقى الجوهر المكنون ، والعلــم المخـــزون ، والنور المصون ، ممن يقول للشيء كن فيكون .

وهذا الماعـــــــون :

و اغسل فؤاداً بماء جمع   صفا فهذا إلي يُدني

فالماعون أي القلب .

ليس القلب الحسِّيّ – لأنه عبارة عن مضخة ماصة كابسة ، تـــستقبل الـــدم وتنقّيه ، ثم ترسله مرة أخرى ، وهو لتنظيم الدورة الدموية – لكن هناك :

قلب نـــوراني ربـــــاني! ، وهناك قلب صـــداني! ، وهناك قلب روحـــاني! ، بــــــه أنت إنسان ! ، ونوراني ! ،

..... أين هذا القلب ؟ ...... لم تره بعد ! ، ولا تعرفه ! ، وعندما تعرفه تراه .

كل ما هنالك ... أنك تشعر به ، تماماً مثلما لا نرى الكهرباء ... ولكن نـــرى آثارها في المصابيح ، في المراوح ، لكن الكهرباء نفسها ... لا نراها .

كذلك الغيوب التي فيك ، من خالقك وباريـــك ... كـــالروح ، والقلـــب ، والعقل ، والنفس ... أين موضعهم فيك ؟

كما قال الله للحبيب الأعظم ﷺ : ...

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾
الآية ٨٥ سورة الإسراء

وبعض سادتنا العلماء قال : أن الروح من أمر الله ، ولا يعرفها أحد ! ، ولكنها إجابة غير شافية ، لأن ربنا يقول له صلى الله عليه وسلم :

﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ ، يعني أن الروح من عالم الأمر :

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الآية ٥٤ سورة الاعراف

فأنت فيك ... " خلقٌ " ، وفيك " أمر ".

وقد قال الإمام أبو العزائم في ذلك :

من أمر ربي ومن يطلبه يعرفه ....

من يطلب عالم الأمر ، ويجهِّز نفسه لعالم الأمر !! ، يعرف هذا السر .

لكن الواقف مع عالم الخلق ، وشغله كله مع الخلق !! :

كيف يعرف الأمر ، وعالم الأمر ؟ ...

فالغيوب التي فيك هي من عالم الغيب ، من عالم الأمر ، من عالم الملكوت ، من عالم الأنوار ، من عالم الكشف ، من عالم الفضل ، لكنها موجودة فيك ! ، وأنت بها إنسان ! ، ولا تراها ... إلا إذا تجاوزت هذا الكيان ! ، وصفيت ظاهرك وباطنك لحضرة الرحمن ﷻ ، وما دمت مشغول بهذا الكيان ! ، فلن ترَ شيئاً ، لكن بعد الصفاء والنقاء ...:

تجذب الروح الهياكل في الصفا أعلى المنازل
إن أداروا الراح صرفاً أسكرت عالٍ و سافل

القلب الرباني النوراني ... الذي فيه الإيمان، والذي فيه الحب، والـــذي فيـــه العشق، والذي فيه الوجد ، والذي فيه كل هذه المعاني العلية !!! ...

هل القلب الحسي يحتوي على شيء من ذلك ؟

فلو أنهم نقلوا عضلة القلب من واحد لآخر ؛ لكان الأجدر أن ينتقـــل معـــه الإيمان مثلاً ! ، لكن هذه الأشياء في القلب الربَّاني الثاني ... الذي أنت به إنـــسان.. ، فقلب الشيء يعني حقيقته ، وقلبك يعني حقيقتك الباطنة ... التي تـــسيِّر الجـــسم ! ، والتي كما قلنا أنت بها إنسان ، المسيطرة على هذا الكيـــان ، وتـــشغِّله ، وتجهِّـــزه ، وتشرف على تنميته وعلى تدبيره .

أما حقيقتك الباطنة ! ، فهي القلب الذي أشار الله إليه في القرآن .... وقـــال عزَّ شأنه وتبارك اسمه فى ذلك ... :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ الآية ٣٧ سورة ق

هل معنى ذلك ... أن هناك أناسٌ ليس لهم قلب !!..؟؟ ... نعـــم !! ، فهنـــاك أناس يعيشون بالنفس فقط ! ، قال تعالى ....:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ الآية ٤٢ سورة الزمر

لكن من له قلب ... هو المؤمن ! ، فما مظاهر ذلك ؟ ...

أن يكون عنده رحمة وشفقة بخلق الله ، وأول خلق الله هو نفسه !!! ..

أي يجب أن يكون عنده رحمة وشفقة بنفسه أولاً ! ، وذلك لأن القلب من نور حبيب الله ومصطفاه ﷺ ! ، وهو المرسل رحمة للعالمين ، وكذلك يكون عنده رحمـــة وشفقة بجميع خلق الله عزَّ وجلَّ .

فالمثال ، وبالمثال يتضح المقال :

أن الله ﷻ جهَّز حبيبه ﷺ ، للقرب من حضرته ، وجعل هذا التجهيز سنَّة إلهية لأهل عنايته ، فكل من أراد الله ولايته وعنايته ، أجرى له هذا التجهيز .

لكن الحبيب ﷺ كان في عالم الظهور وعالم البطون ، أما نحن فنكون في عالم البطون ، ونشعر بذلك في عالم الظهور ، لكن لا نستطيع أن نراه في عـــالم الظهـــور ، لأنه لا يرى ذلك إلا إنسان ... يرى بنور حضرة الغفور ﷻ .

فقد كان عليه الصلاة والسلام نائماً عند السيدة أم هانئ – والإشارة هنا يعني أنه كان نائما هانئاً ومستقراً ومرتاح البال – فأرسل إليه الله الروح الأمين ، وقال له :

﴿ قم يا نائم ، فقد هيأت لك الغنائم ، قال : إلى أين يا أخي يا جبريل ؟ ، قال : الكريم يدعوك إليه ، قال : الكريم يدعوني إليه ، فماذا يفعل بي ؟ ، قال: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : هذا لي ، فما لعيالي وأطفالي ؟ ﴾ [٣]

ونحن عياله بنصِّ كلام الله ﷻ :

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ سورة الضحى

أي أن عائلتك كبيرة !! ، فأعطاك الغنى الذي يكفي كل هذه العائلة ..

فقد أعطاك من العلوم ، والفهوم ، والأذواق ، والإشارات ، والتشريعـــات ، ما يكفي هذه العائلة من زمنه إلى يوم الميقات ﷺ .

فأخذوه كما تحكي الرواية وشقُّوا صدره ، وأخرجوا قلبـــه ، وأخـــذوا حـــظ الشيطان منه ، وغسلوه بماء زمزم ، وجاءوا بطست مملوءاً إيماناً وحكمة .

---

(٣)ورد الحديث بروايات عدة وقد أوردنا تخريجه سابقا، وتركناه هنا للإختصار ، وأوردناهاكما بالمحاضرة .

هل الإيمان والحكمة ... يراه أحد ؟

لكن ذلك في عالم المعاني ! ، وعالم المعاني يرون المعاني مباني ، فكما نحـــن نـــرى المباني مباني ، فهم يرون المعاني مباني .

❂ بِدَايَـــةُ أَهْلِ الْعِنَايَةِ

كيف تكون ذلك بداية أهل العناية ؟

يكون الواحد فينا ... إذا سبقت له من الله الحسنى ، نائماً نومة الغفلـــة عـــن طريق الله ، وعن السير والسلوك إلى مولاه ، منشغلاً بهذه الحيـــاة ، حظُّـــه ونفـــسه يقطعونه عن طريق الله ، فإذا كان له عناية من الله ؛ يرسل الله عَزَّ وَجَلَّ إليه رجـــلاً مـــن أهل الولاية والعنـــاية .

وذلك لأننا في عالم الأسباب ، ومع أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل الإسراء والمعراج مـــن وراء الأسباب !!! ، إلا أنه جعل فيه أسباباً ... فقد ركب الحبيب الـــبراق .. ولمـــاذا البراق ؟؟ ...، إنه من وراء الأسباب ؟ ...، ولماذا المعراج ؟ [٤]

لكي يبيِّن أيضاً .... أن أهل التمكين غير أهل التلـــوين ، فأهـــل الـــتمكين لا يتركون الأسباب في حلّ أو ذهاب ، لأنه المقام الأكمل عند الله عَزَّ وَجَلَّ .

فيوقظه من نوم الغفلة ... إلى متى شغلك بدنياك ؟

إلى متى هذا الجفا عن مولاك ؟ إلى متى هذا التلهِّي عن تحقيق مناك ؟

ماذا تنتظر؟ ...، العمر قصير ! ، والمطلوب عظيم ! ، وأنفاسك على الله عَزَّ وَجَلَّ هي نفائسك ....!!! .... ، فمتى تسافر ؟ ...!!...

---

(٤) الذى عرج عليه – يعنى صعد عليه – صلى الله عليه وسلم إلى عوالم الله العلوية .

وأهل الله الصادقين ليس عندهم تسويف ! ، فلا يوجد عندهم " سوف " ، أو " غداً " ، لأنهم أهل العزائم ... ، فلا يلتمس لنفسه الأعذار ، لأن ... :

{{ التماس الأعذار ؛ هو الطريق للأوزار }}

وهو يريد الأنوار .

۞ غَنَائِمُ الْصَّـــالِحِين

وأهل الأنوار يقطعون على النفس كل أعذار !!! ... فيقال هيَّا لترى الغنـــائم التي جهَّزها لك الله عَزَّ وَجَلَّ .

والغنائم التي جهَّزها الله للصالحين ، ليست في الـــدنيا الفانيـــة ... كالطعـــام والشراب ، أو السيارات ، أو العقارات ، أو الدولارات ، أو الوظائف ....

هل هذه غنائم العارفين ؟ ..... لا !! ... بل إنها غنائم الجاحدين ! ، ومن فينا يلحق اليهود في ذلك ، أما غنائم الصَّالحين التي نبحث عنها : ....

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

الآية ٦٥ سورة الكهف

يريد أن يحظى بتعلّيم الله له ، علماً بغير تعلم .

ولا يشترط لهذا العلم أن يكون الإنسان حاصلاً على ماجستير ، أو دكتوراه ، أو حتى يعرف القراءة والكتابة ! ، ولذلك فإن الإمام أبو العزائم يقول في هذا المقام :

كم جاهل نال علماً من مجالسهم
أضحى حليماً عليماً بالإشارات

اضحى ولياً له قلبٌ و معرفة
يرى النبي عياناً حال خلوات

هذه هي الغنائم لمن يريد الغنائم يا إخواني ! ، ولمن يريد الفتح من الفتَّاح .

وأصحاب العزائم كانوا على هذا المنوال ......

وقد كان سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وأرضاه رجلاً من الرجال .. :

جاءه سيدي أحمد الرفاعي ، وسيدي عبدالقادر الجيلاني في المنام ، وهو يعبد الله عز وجل ، ويتوجه إليه في غار حراء بمكة ، وكان من عزيمته ألا يصلي الصلوات الخمس إلا في البيت الحرام ، ويرجع ثانية للغار ...

ما الذي يخلق للرجال الكرامات ؟

العزيمة في الشدات ، تحول أحوالهم إلى كرامات ، ولأنه يعزم العزم الأكيد ، فيستجيب الله له ... كأن يُلين له الصخر ! ، أو يطوي له الأرض ! ، أو يحمله على الريح ! ... ليحقق مراده ؛ فتحدث الكرامات التي نسمع عنها ونراها من الصالحين رضي الله عز وجل عنهم أجمعين .

لكن إذا كان الواحد مستسلماً للنفس ، فأي كرامة هذه التي يريدها ؟؟ ، وأكبر كرامة له في هذه الحالة .... أن يخرج من رقِّ نفسه ! ، ويقتحم العقبة ! ، ويفك رقبته ! ، وهواه ! ؛ لكي يتجه فوراً مسارعاً إلى مولاه .

كما قلنا كان يصلي الصلوات الخمس في الكعبة ، وعندما جاءه سيدي أحمد الرفاعي وسيدي عبدالقادر الجيلاني قالا له :

نريدك أن تزور العراق ، وهذا هو مفتاح العراق ، والمفتاح هنا هو المفتاح الروحاني ، وليس مفتاح المباني ، فرد عليهم قائلاً :

أنا لا آخذ المفتاح ! ، إلا من يد الفتَّاح ، لا بد من علوِّ العزيمة .

قال الإمام علي كرَّم الله وجهه :

﴿ عُلُوُّ الهِمَّةِ مِنَ الإيمَان ﴾ (٥)

فما هو الدليل على أن الإيمان رابٍ ... ونامٍ عندك ؟

أن يكون عندك ... همةٌ وعزيمة ، وقد قال الإمام أبو العزائم في ذلك :

عَلُّوا عزائمكم هيًّا و اعشقوا
لتشاهدوا عدن الجنان وحورها

فما بالكم بمن يريد الله ...

إذا كان من يريد الجنَّة ... عليه أن يعلي العزيمة ... كأن يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويتلو القرآن ، ويغتنم كل وقته في طاعة الله ....

لكن من يريد الله .... فيلزم أن يكون كلُّه ، وماله ، وأنفاسه ، وأولاده ، وحياته ...... كلها لله : ....

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (١٦٢) ﴾ سورة الأنعام

وقد نجد بعض إخواننا القدوة ، يعملون بالتجارة ، متعللين أن النبي ﷺ كان يشتغل بالتجارة ، مع أن عنده ما يكفيه ....

والرد عليهم أن حضرة النبي اشتغل بالتجارة لفترة ، لكن عندما كلَّفه الله ، ترك كل شيء للاشتغال بمولاه عَزَّ وَجَلَّ ، وذلك لأنها تجارة واحدة : ....

﴿ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) ﴾ سورة فاطر

---

(٥) مرقاة المفاتيح .

لكن هل تنفع التجارة التي لن تبور ، مع التجارة التي تبور ..؟؟ ..، الإثنان مع بعضهما ؟ ..كلا..!!! ... فإما هذه !! ، أو تلك !! ...

ومن يريد الله ..... ، عليه أن يصبح كله لمولاه ... أنفاسه ، حركاته ، سكناته ، حياته كلها لله.عز وجل ...... ويقول لحضرة الله :

﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ الآية ١٥٦ سورة البقرة

وهنا يعبِّر " بنون الجمع " ... " إنَّا " ..: يعني أنـــا ، ونفـــسي ، وروحـــي ، وعقـــلي ، وسرِّي ، وكلّي ، ومالي ، وأهلي ...... لله .... :

﴿ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

هنا يتحقق الرجوع ، ويرجع الإنسان .

لكن يقول : "أنا لله " ، وهو مشغول بالكليَّة بنفسه ، أو بحظّه ، وهـــواه ، والله عز وجل لا يرضى أن يشتغل العبد بسواه إذا أراد الله.عز وجل .

فإذا أردت الله .... فعليك :

فرّغ القلب من سوانا ترانا يا مريداً جمالنا و بهانا
و اعلُ فوق البراق ليلاً فإنّا نتجلّى ليلاً لمن يهوانا

وهذا هو الطريق لمن يريد الله .... فيأخذونه ، ويشقُّون صدره ، ويخرجوا منـــه حظَّ الشيطان ... وحظُّ الشيطان في الإنسان ....جمعه الله في كلمة واحدة : ...

﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ ﴾ الآية ٤٧ سورة الحجر

وإياك أن تبدأ إلى الله ... إلا عندما تتأكد انك تخلصت من الغلّ تماماً ؛ لأنـــك بذلك لن تمشي ولا خطوة ! ، ..اعبد كما شئت ! ، واذكر الله كلما أردت ...

لكن كل ذلك لن يرفع الحجب بينك وبين الله ، ولن ينفعك في القــرب مــن حضرة الله ! ، إلا إذا تخلَّصت قبل ذلك من كلِّ ما في صدرك نحو خلق الله من الغلِّ ، والكبر ، والحسد، والكره ، والهوى .

فلا يوجد من تخلع عليه خلعة الرجال ... ويقرب من السادة الأبــدال ... وفي نفسه ، أو قلبه .. هوى لغير الواحد المتعال عز وجل .

لكن إذا كان هواي مع فلان ، أو فلان ، أو مع الدرهم ، والدينار ، أو مــع الرياسة .... فكيف أمشي إلى الله .. ؟ ... بل لن أشعر بحلاوة الإيمان .

وسيدنا عثمان بن عفان قال في ذلك :

{{ لو طهرت القلوب ؛ ما شبعت من كلام علام الغيوب.عز وجل }}

إذن تلزم الطهارة أولاً !!!

هل يصحُّ أن يقف الواحد بين يدي الله ، ويقــول : "الله أكــبر " ، وينــوي الصــلاة ، ولم يتطهَّر ! ويتوضأ لله ؟ ...

كذلك لا ينفع للمرء أن ينوي الصلة بالله ، ويبدأ التقرَّب لحضرة الله ، إلا إذا طهَّر قلبه ، ونفسه ، وكلَّه لمولاه.عز وجل ، ولا يكون له مأرب .... ، ولا مطلب ....، إلا في حضرة الله .

لكن منا كمريدين .... من يبغي أن يكون شيخاً ، أو يكون من أهل الكشف ، أو يكون من أهل الكرامة ، أو العلم ، أو الشهود ، لا يجوز مثل ذلك .....

لأن مقام القرب من الله ، ليس فيه أريد ! ، أو أبغي !

ولكن فيه ماذا يريد الله.عز وجل ؟ ، ولو بقيت تريد كذا ! ، وكذا ! ، وكذا ! ، إذن .... ما زال مفتاح حضرة الفتاح ... يلزمه تصليح الأسنان ..!!.. ؛ لكي تصبح من أهل القرب من النبي العدنان صلى الله عليه وسلم :

مرادي أو مرادك قد يكون فسلّم لا تغيّرك الشئون

ومن له مراد فإن حال يرفعه وحال يخفضه، كلمة تقربه وكلمة تبعــده، عمــل يجعله كأنه من أهل القرب والوداد وحال يجعله من أهل الصدود والهجران وذلك لأنه لم يفرغ القلب لحضرة الرحمن.ﷻ ومن يريد الله أيضاً قال له سادتنا الكرام:

فكن عبداً لنا و العبد يرضى . بما تقضي الموالي من مراد

لا بد أن يرضى عن الله.ﷻ ، ويسلّم لله سبحانه وتعالى ، وإن كانت واحده بداخلي تنازعني .... فلا بد أن أقضي عليها وهي النفس !!

وقد قال الله لمن قالوا " نحن أحباء الله " : ....

﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ﴾

الآية ٥٤ سورة البقرة

وقتل النفس يعني .... نزعات النفس ، وأهواء الــنفس ... في غــير الأنــس بالله.ﷻ ، النزعات الدنيوية ، النزغات الشيطانية ، النزعات التي تدعوا إلى الرياسة ، أو التي تدعوا إلى الجفاء ، ...... كل ذلك يجب على الإنسان أن يقضي عليــه .... لكي يدخل عالم النور .

إذن يلزم أولاً أن يطهّر القلب ، ويأخذ حظّ الشيطان منه ، ويغسل القلب بماء زمزم ، ...... أين ماء زمزم التي سيغسل المريد به قلبه ؟ ، وأين هذا القلب ؟

قال الصالحون في ذلك :

{{ إن مـاء زمـزم إشارة إلى علوم المعرفة التي تنزل طازجة فوراً مــن الله.ﷻ في الوقــت ، وفي الحــال ، كمــا يحيــي الله.ﷻ النباتــات بالأمطار النازلة في كل الجهات ، فإن الله.ﷻ يحيي

القلوب بالرحمات ، التي تتنزل على قلوب أهل المعرفة من سيد السادات عليه أفضل الصلوات وأتمُّ لبتسليمات }} .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

لماذا ؟ .....

﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ الآية ٤ سورة الفتح

وقد قال الإمام أبو العزائم في هذا المقام في حكمه العرفانية :

{{ كما أن كل ماء لم ينزل من السماء لا ينفع – وهذا بالنسبة لري الأرض– **فكل علم لا ينزل من سماء رسول الله ... لا يرفع }}**

فنحن نريد العلم الطازج .

والشيخ العز بن عبدالسلام ، وكان شيخ الإسلام ، وكان مجلسه في الفقـــه لا مثيل له ، وكان سيدي أبي الحسن الشاذلي يقول في مجلسه :

{{ أبهى مجلس فقه في الأرض ، مجلس الفقيه عز الدين بن عبدالسلام .}}

وهذه كانت شهادة عالم الملكوت .

وعندما ذهب الشيخ العز ، وحضر مع سيدي أبو الحسن الـــشاذلي رضي الله عنه ، ومعهم جماعة من العلماء ، وتجاذبوا أطراف الحديث في مسألة علمية ، وكل عالم أدلى بدلوه ، على حسب قراءته وإطلاعه ....

وأصحاب القراءات والإطلاع عادة ما يكونوا متسرعين ، ويريدون أن يخرجوا ما بداخلهم بسرعة ، بأي وسيلة ، وبأي كيفية ، وهذه علاماتهم .

أما العارفون فراسخون ، فلا يريد أن يخرج الكلام ، ثم يحدث بعده فتنـــة ، أو ملام ، ولكنه يخرج الكلام شذرات ، وقطرات من المعرفة لأهلها ، على فترات .

وبعد أن فرغ العلماء من الحديث ، اتجهوا إلى سيدي أبي الحـــسن ، وقـــالوا : نريد أن نسمعك ، ولماذا أنت صامت ؟

وهذه طبيعة العارفين والصالحين ..... العبودية الكاملة لله.عَزَّ وَجَلَّ .

ومن تجده في أي مكان ... يتكلم .... ويثرثر .... فإن ذلك مـــن نفـــسه ! ، حيث تريد أن تظهر ! ، لكن العارف لماذا يتكلم ؟ ، إنه مشغول بالله ، ولا ينطـــق إلا إذا أمره مولاه ، لأن هذه القلوب تطلب الحكمة من الله.عَزَّ وَجَلَّ .

فقال الشيخ أبو الحسن : أنتم سادة الوقت ، وكبار العلماء ، ما قـــول فقـــير مثلي بعدكم ..؟؟؟ ، فقالوا : لا بد وأن تحدثنا ، فلما بدأ الكلام ، كان كأنه يغتـــرف من بحر ، فلم يتمالك الشيخ ابن عبدالسلام نفسه ! ، وذلك لأن كلام أهل المعرفة له نور في الصدور ، وقد قالوا في ذلك ..:

{{ إذا كان الكلام عن النور ..،.. حصل لسامعيه السرور }}

فلم يتمالك العزُّ نفسه ، ووقف ، وأخذ يتحرك يمينـــاً ويـــساراً ، ثم خـــرج ، ووقف على باب الخيمة ، وأخذ يصفّق ، وينادي ... هلموا استمعوا إلى هـــذا العلـــم القريب عهد بالله.عَزَّ وَجَلَّ ، .... أين هذا العلم يا إخواني ؟

عند جبـــــــال المعرفة.

عند أوديـــــــة العارفين .

وأودية العارفين هي قلوبهم ، وجبال المعرفة أفئدتهم ، فأفئدتهم تـــرتطم فيهـــا أمواج المعارف الربانية ؛ فتسيل أودية بقدرها في قلـــوبهم ، وتخـــرج مـــن أفـــواههم لأحبـــابهم ؛ ليزدادوا بها علماً ... ونوراً ... ومقاماً عند الله.عَزَّ وَجَلَّ .

ويقول في ذلك الإمام أبو العزائم :

فلقطرة من رحيق راحي   تنال منها علماً لدني
الكل مني و الكل عني   فاشهد جمالي بكل عين

سترى الكل من الله ... ، والكل بالله ... ، والكل إلى الله ... ، وتشهد الجمال في كل شيء ....

آفَــــــاتُ النَّفْسِ

فالموضوع يحتاج بعض الصبر للنفس ....

لكننا مع الأسف متعجلين ، ومن يتعجل لا يتعدَّل ، لأنه لو سمع بعض الدروس من إخوانه الصالحين لمدة شهرين ... أو سنتين ... يريد أن يكون شيخاً وله مريدون.

ولأن آفات النفس ، ما زالت موجودة ، وطهارة القلب لم تتم بعــد ، فمــن الجائز أن تأتيه الوحلة في حب الشهرة ، أو حب الرياسة ، وهي وحلة لا يخرج منــها أبداً .... إلا إذا أراد الله له الخير والنجاح والصلاح والفلاح .

والسالك في طريق الله عَزَّ وَجَلَّ كل مــا يملكــه ... مــن كــاميرات نفــسية ، وتلسكوبات قلبية ، ورادارات روحانية ؛ عليه أن يوجِّهها كلها إلى عالم نفسه ! ، لأنه يريد أن يتجاوز نفسه ... فينال أنسه ...:

{{ تجاوز نفسك ؛ تنل أنسك}}

وهذا هو السرُّ ... أن الدعاة القدماء الحكماء ، لم يكن الواحد منهم يوافق أبداً على الدعوة إلى الله ، أو يقيم نفسه بين خلق الله ... إلا إذا أقاموه ! ، لأنهم إذا أقاموه أعانوه ، لكن إذا أقام نفسه ! ، حصل له لبسه .....

إذن لا بد أن يطهِّر القلب أولاً ....

فإذا أردت مثلاً ، أن تجمِّل هذا المسجد ... ماذا تفعل أولاً ؟

يجب أن تزيل ما على الحوائط أولاً ، وتجردها مما عليه :

التحلّي بالتخلّي بعد محوي لمحلي
واتصالي بانفصالي عن سوى مجدي و أصلي

يعني يتصل بالحبيب الأعظم ، أو بالصالح الذي يتربَّى على يديه ، ولا شأن له بغيرهم ، لكن سيتصل بفلان ... وفلان ، والثاني ، والثالث ، .... لا ينفع مثل ذلك فإذا أراد الطريق :

فخلّ الخلق خلفك ثم عامل . بصدقٍ ذات مولاك العلية

أي يضع الخلق خلف ظهره أولاً ، فلا ينفع أن يكونوا محل نظرك مع الله عز وجل ، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لأصحابه مثلاً عظيماً في هذا المقام ، فقد كان على المنبر ، ويلبس خاتماً جديداً ... ونزع هذا الخاتم من يده ، وهو فوق المنبر ، فقال أصحابه : ما هذا يا رسول الله ؟ ..، قال :

﴿ نظرةٌ إلى الخاتم ، ونظرةٌ إليكم ... لا يجوز ﴾

والخاتم رمز إلى الدنيا .

يعني لو كانت الدنيا كلها كخاتم في إصبعك ، فلا يصحُّ أن تنظر إليها ، ثم تنظر إلى حبيب الله ومصطفاه في نفس الوقت ، وإلا تنل المقت .

فالطهارة أولاً ، وبماذا أطْهُر ؟ ...

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وقف أمام البحر الأبيض المتوسط – وكانوا يسمونه وقتها بحر الروم – وقال لإخوانه ملمعاً ومشيراً إلى هذا المقام :

قليلك قد يطهّر كل جسمي يطهّر بحر روم كل رسمي
و قلبي لا تطهره بحار ... يطهره العلي بنيل علمي

إذن الذي يطهِّر القلب يا إخواني هو العلم المكنون ، العلم الوهبي ، لأنه مـاء زمزم الذي يوضأ الإنسان ، ويطهِّره ، وهذا ما قال فيه الشيخ بن العربي رضي الله عنه :

توضأ بماء الغيب ....

يعني بعلم الغيب النازل على قلوب العارفين : ....

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمّم بالصعيد وبالصخر

يعني ....

وإلا عليك أن ترجع للعبادات ، والمجاهدات ، إلى أن يمنَّ عليك بواحـد مـن العارفين ، يفيض الله عليك منه علوم أهل المعرفة ، التي تطهِّر القلوب ، وتجعلها جاهزة لحضرة علام الغيوب .

فماء زمزم هو العلم الوهبي المكنون ، الذي يأتي في الحال .

والعلم الوهبي يا إخواني ... لا منتهى لمداه ، ولا حدَّ لمنتهاه ، ويلزم أن آخـذ منه جرعة أملأ بها أحشائي ، وأعيش بها في كل حركاتي وسـكناتي ، أنفعـل بهـا ، وأتعايش بها ، وأحيا بها ، لكي يتجلى الله عليَّ بالأسرار التي يتجلى بها على أهلها ...

لكن أسمع العلم !!! وحسب !!! ، فلن يحدث شيء :

خذ ما صفا لك من نور الإشارة
كن حال السماع قوي العزم و الدين

لكن تسمع من هنا ، وتنسى بذلك ... لم تعمل شيء !...

فإن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً ، وهذه ليست طريقة العارفين .

فإنه يكتب لك الدواء ، ولا يكتب لك صنفاً آخر حتى ينتهي الـــدواء الأول ، ويرى أن النتيجة تحققت فيك ، فيعطيك دواءاً آخر .

لكننا نسمع ، ثم نسمع ، وبعد ذلك ... فإما نسمع ونقول ؟ ، وإمَّـــا نـــسمع وننسى ؟ ، ومن يسمع ويقول ... فمن أجل أن يقولوا عنه أنه عالم عظيم ! ، والآخر يسمع وينسى ! .....

فإلى متى هذا يا إخواني ...... وقد قال الله لنا في ذلك :

﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

الآية ٢٤ سورة الأنفال

أي يحيي الحقائق التي بداخلك .

والاستجابة هي الترجمة العملية والترجمة السلوكية ، وهي التي فيها وبها الحياة .

لكن ستسمع علماً طوال حياتك !! ، حتى لو مد الله في عمرك ألف عـــام !! ، فإن لم تترجم هذا العلم ... ترجمة سلوكية ، فما فائدة العلم ؟؟ ، لا بـــد وأن تترجمـــه ترجمة سلوكية ، ولو درساً واحداً مثل درسنا هذا ..!!..ترجمه ترجمة سلوكية !!

فإن لكل درس خزن من العلوم الوهبية ، عند ذلك تشعر بـــالعلوم الوهبيـــة ؛ وينفتح لها صدرك ، وتصب في قلبك بإذن ممن يقول للشيء كن فيكون ....

وفوراً قال ﷺ :

﴿ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ – (من العارف الرباني) – وَرَّثَهُ الله عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٦)

إذن عليَّ أن أغسل القلب أولاً يا إخواني...

---

(٦)أبو نعيم في (الحلية) من حديث أنس بهذا اللفظ .

اغسل فؤادك يا أخي .... وأشعل النار على الأغيار التي فيه ، فكل ما غير الله فيه ... أشعل النار لكي تحرقه ... بم (أولّع) [٧] .. فيه ؟

أولّع فيه بنار المحبَّة ، وأملأه بالمحبَّة التي آخذها من صدور الأحبة ، ونار المحبَّة إذا سلطت على القلب ... لا تبقي فيه لغير المحبوب حبَّة .

والمحبَّة هنا ليست للدنيا ..!!.. ، أو للفانيات ..!!.. ، ولكن لله ، ولرسوله ، ولصالحى المؤمنين : ....

نار المحبة كم اذابت مهجتي .و اخ المحبة لا يميل لغيرها
يا لائمين محمداً رفقاً به فهو الذي ذاق الجحيم وحرها
قسماً بمن أنا فيه ميت مغرم لو فُتحت ابوابها لقفلتها

وهذه المحبَّة تستلزم بعض الأمور .....

وقد أخذ الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه أحبابه في يوم من أيام شهر رمضان ليزوروا سيدنا الحسين – بعد منتصف الليل – :

فمشى الأحباب متثاقلين ، منهم من يغمض عينه ، ومنهم من يجرُّ قدماه ، وعندما ذهبوا إلى هناك .... رأى الإمام أهل اللهو ، فقال لهم (لأحبابه) :

{{ أهل اللهو في لهوهم ، في سهرهم ، وطلاب الله عز وجل في أوقات التجلي ينامون عن محبوبهم .}}

وقال لخادمه – وكان اسمه الشيخ أحمد السبكي رحمة الله عليه – :

أحمد السبكي ! تنام وتدعي حبنا
نوم أهل القرب في الزلفى حرام

---

(٧) أى : أشعل النار ، آثرنا ترك نفس اللفظ المستخدم بالمحاضرة – الناشر . .

فهل من يريد الله عَزَّ وَجَلَّ يا إخواني .... ينام في الوقت الذي فيه التجلــي ! ؟ ، والإكرام ! ؟ ، والإنعام ! ؟ ....

فمن يحب واحدة ، إذا قالت أريدك الساعة الثالثة صباحاً ! ، لا يأتيــه النــوم انتظاراً لموعد حبيبته : ...

وكيف ينام معشوق ليلى ... وليلى تشتهي منه القيام

ومن يريد الله عَزَّ وَجَلَّ ، فإن الله يقول أنَّه :

﴿ يتنزل في الثلث الأخير من الليل ، وينادي - أين أنت؟ ، وفي أي صف؟ - **وينادي هل من مستغفر ؟ فأغفر له** ، - هذا صف - **هل من مسترزق فأرزقه... ، هل من كذا؟ .. ، ... هل من كذا ؟..﴾**

لماذا لا يقول ...: هل من حبيب إليَّ ؟

لأن الأحباب لا ينتظرون نداءاً ، لأنهم جاهزون ومستعدون بغير نداء ، فهــو ينادي على المحجوبين والمبعدين ، ومع ذلك .....أين أنت من هؤلاء القوم !! ؟؟

فهل يصحُّ أن تكون نائماً !! ، وتطلب الغنائم ؟

ومن يريد الغنائم ؟ ...، عليه أن يصحح العزائم ...، ويطلب الوقت الذي فيــه الفتح الذي اختاره الله عَزَّ وَجَلَّ ، وحرص عليه الصالحون السابقون واللاحقون ...

حتى الحبيب الأمين .... قال له الله :

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ سورة الإسراء

وهذا الكلام لنا نحن ....

لأن الحبيب كان لا ينام : "تنام عينه وقلبه لا ينام " ، لأنه يقول لنا من يريد مقاماً يحمد عليه ؛ فعليه أن يتهجد لله.ﷻ ، ويأخذ درب الصالحين ، وسير المتّقين ، ومنهج سيد الأولين والآخرين ، ويترجمه على مسرح نفسه ، فلا يكون كلاماً ... والجسم خال من الأعمال ... والسلوكيات التي ترضي خالق السموات.ﷻ .

۞ الْعِلْــــمُ الْغَيْبِيّ

إذن عليَّ أن أطهِّر القلب ، ثم أملأه إيماناً وحكمة من الصالحين من عباد الله .

هل أملأه كل شهر ... مرة ؟ ... لا ! ، لكن كلما استطعت .. ! ...

وكانوا يقولون : المحب لا يعتذر ... ، فلان مثلاً لم يحضر اللقاء ... لأن عذره كذا أوكذا ... ، لا فأهل المحبة لا أعذار عندهم ... لأن الأعذار معناها أوزار ، لأن من كانوا معه ﷺ : ....

﴿ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ ﴾

وهذا ما يسهو عنه كثير من إخواننا ، ثم قال له ﷺ : ...

﴿ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ ﴾ الآية ٦٢ سورة النور

حتى من أعطيته الإذن ! ، استغفر له .... ، من أجل ما فاته من الفتح ، ومن الفضل ، ومن العطاء ، ومن الاجتباء ، ومن تكريم الله.ﷻ لعباده الصالحين .

وقد قال لنا سيدنا رسول الله في هذا المقام أن..:

﴿ الْجُلُوسُ مَعَ الْفُقَرَاءِ مِنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ ﴾ [٨]

عليه إذن أن يملأ قلبه كلّه إيماناً وحكمة ، لمـــــــــاذا ؟ ..، لأن القلـــب بعد أن يطهر ، يريد أن يتسع ، فما الذي يوسِّع القلب ؟ ..، العلم الإلهامي ، العلـــم الوهبي ، العلم النوراني ، هذا ما يوسِّع القلب لفضل الله وعطاء الله وكرم الله.عَزَّ وَجَلَّ :

وسعة القلب حجة للتداني كيف لا و القلوب للرحمن

وكلما اتسَّع القلب في عالم المعاني ، كلما كان ذلك دليلاً على قرب الإنـــسان من الله عَزَّ وَجَلَّ ، وخروجه من عالم المباني .....

إذن أشعل نار المحبة لكي أحرق الأغيار ؛ لأن الله.عَزَّ وَجَلَّ لا يتترل بأنوار ذاته ، ولا بعطائه وهباته ، إلا إذا كان القلب ليس فيه إلا حضرة ذاته.عَزَّ وَجَلَّ ، قال تعـــالى ف الحديث القدسى المشهور :

﴿ أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ﴾

بعد ذلك يركب براق السنَّة ، وقد قالها لنا الإمام أبو العزائم – رضى الله عنه و أرضاه – في صلواته التي نقرأها [٩] :

{{ وأوصلنا إليه على براق سنته }}

فالبراق الذي سيوصلك إلى الله ... هو السنَّة ، ولذلك قال لنا :

{{ حافظ على السنَّة ، ولو بُشِّرت بالجنَّة }}

إياك أن تترك السنَّة طرفة عين ، فإنك حتى لو قلدت إماماً للعارفين ، فإياك أن

---

(٨)عن أنس رضي الله عنه.جامع الأحاديث والفتح الكبير، وفى رواية.(جالسوا الفقراء فإن رحمة الله لا تبعد عنهم طرفة عين).
(٩) "نيل الخيرات بملازمة الصلوات " ، فتوحات إلهامية شهودية من الصلوات على النبى صلى الله عليه وســـلم ، يقرأها الأحباب و المريدون ويداومون عليها . .

تخلو بامرأة بغير محرم ! ، لأن ذلك مخالفة صريحة لسيد الأولين والآخرين ﷺ ، حتى لو كنت واثقاً من نفسك فهل أنت واثق منها ؟ ..، فلو كنت مثلاً واثقاً منها ، ومن نفسك ، فهل أنت واثق من الناس ... ألا يتهموك ولا يظنون فيك ظنَّ السوء ، والمؤمن يدفع الظنون عن نفسه ، ويدفع التهم عن نفسه ، ويتقي الشبهات مع خلق الله ، لأن هذه سنة حبيب الله ومصطفاه .

فقد كان واقفاً مع زوجته ، ورآه اثنان من أصحابه ، وعندما رأوه مشوا مهرولين ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم :

﴿ على رَسْلِكم ... إنها صفيَّة زوجتي ، قالوا : أفيك نشكُّ يا رسول الله !!! ، قال: لا ، ولكنّي أرسلتُ معلِّماً - وفي رواية : ... إنَّ الشَّيطانَ يجري من ابن آدم مَجْرَى الدَّم مِنَ العروق ﴾ (١٠)

أي لكي تتعلموا ....، ولا بد من تعليم النبي الحكيم ﷺ .

والسنَّة ... لا بد وأن تكون في كل أمر ، وفي كل شأن ، وفي كل حال .

فقد قال إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه في شأن السنَّة :

على الجمر قف إن اوقفتك تأدباً
يكن لك برداً بل سلاماً برحمة

ونحن جميعاً يا إخواني ...

حتى من حضر معنا ولو مرَّة واحدة ، فإن الناس قد جعلته محل نظرها ، فيقولون مثلاً : إن فلان هذا يحضر مع جماعة أبي العزائم ، أو يحضر مع الجماعة الصالحين ، فلماذا يجلس في المكتب مع فلانة وحدهم !!! ، ألا يحضر مع الصالحين ؟

---

(١٠) رواه الشيخان وله روايات عدة .

معنى ذلك أنهم أصبحوا ينظرون إلينا نظرة مختلفة عن الآخرين ، إذن ... يلزم أن تزن نفسك بالمضبوط بميزان الحي الذي لا يموت ، وتزن نفسك بميزان حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

و خالف النفس و الشيطان و اعصهما
و إن هما محّضاك النصح فاتهمِ

إياك أن تقف في هذا الموضع ، وتعاندك نفسك في ذلك ، وهي سنة رسول الله ، فأي عناد ذلك يا أخي !! ، لأن ذلك جفاء والعياذ بالله عز وجل .

وكان سيدنا عمر مع شدته ، كان إذا ذُكّر بآية من كتاب الله ، يرجع ، وكان وقّافاً رضي الله عنه ، وأصحاب رسول الله ﷺ ، ومن تبعهم من العلماء العاملين أجمعين ، كانوا إذا ذُكّروا بسنّة رسول الله ، أو نهج العلماء العاملين والصالحين ... فوراً يقول :

{{ لقد أخطأت ؛ سامحوني يا إخواني }}

فلا يوجد مؤمن يكابر على الخطأ ، ويكابر في مجابهة السنة ، ويكابر في مخالفة رسول الله ﷺ ، وذلك لأن الله أنذرنا إنذاراً شديداً ... فقال عزَّ شأنه :

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة النور

إنذار من الله عز وجل ، فماذا تريد تحذيراً بعد ذلك ؟

وبعد أن يحشوا قلبه إيماناً وحكمة ، يمشي على براق السنَّة ، وكلما اتبع سنَّة ؛ يُكشف له عن منَّة ، وتفتح له جنَّة من جنان عالم المعاني ... لماذا لا أشعر بهذه المعاني ؟

لأنني أسير على هواي ! ، ومن يسير على هواه فلن ينال أبداً مناه ! ، لأنه لابدَّ ... وأن يكون على هوى حبيب الله ومصطفاه ﷺ .

بعد أن يفعل ذلك ... فوراً .... ينظر بنور الله ، فيرى في عالم الدنيا ... مُثُلاً لما رآه حبيب الله ومصطفاه ﷺ يرى بعين الله أحوال الخلق ، كما رأى ﷺ في عالم الإسراء .... يرى صورهم الباطنة عندما يفعلون الأعمال الظاهرة .

فيرى مثلاً طالب الدنيا في صورة كلب ، لأن الحبيب قال :

﴿ الدنيا جيفة ، وطلابها كِلاب ﴾ [11]

ويرى هذه المشاهد ، ويشاهد ! ، فيكون عاملاً بقول الله :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ﴾

سورة التكاثر

يرى صور الجحيم .... في أعمال العصاة ، والغافلين ، والجاحدين ، وهم في هذه الحياة ، ويرى المثل الكريمة .... صور الملائكة الكرام ، وصور الأرواح الطاهرة المقبلين على حضرة الله.عز وجل .

يراهم في صورة ملكوتية ، وفي أحوال رضوانية ، وفي بهاء عليّ ، لأنه يرى بنور الله.عز وجل ، وهذا هو ما يقول في شأنه إمامنا أبو العزائم رضي الله عنه :

فنى من شاهد المجد ونال السر و ارتاحا
و غنى بالحقائق من رأى الأشباح أرواحا

وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[11] السيوطي في الدرر ، وأبو نعيم في الحلية .

الباب الثامن

الدُّرُوسُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنْ رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

- الإِسْرَاءُ تَكْلِيفٌ إِلَهِيٌّ
- تَجْدِيدٌ لِبَيْعَةِ الأَنْبِيَاءِ
- الْتَّفْوِيضُ لله
- صَفَاءُ الْقَلْبِ
- عُلُوُّ قَدْرِ النَّبِيِّ
- الأَخْذُ بِالأَسْبَابِ

عن عليٍ رضي الله عنه قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللّهِ : لَمَّـــا أُسْرِيَ بِي إِلَى الــسَّمَاء السَّابِعَة قَالَ لِي جِبْرِيلُ: تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ فَوَاللَّهِ مَا نَالَ هٰذِهِ الْكَرَامَةَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ .

جامع الأحاديث والمراسيل

الباب الثامن
الدُّرُوسُ الْمُسْتَفَادَةُ[١] مِنْ رِحْلَةِ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ...

الواحد في صفاته ، الأبدي السرمدي في ذاته ، التي لا تحدُّه الجهات ، ولا تصل إليه المسافات ، وإنما هو سبحانه وتعالى فوق كل فوق ، وأقرب من كل قريب لكل قريب .... لأنه (قال تعالى فى الآية ١١ سورة الشورى) :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝ ﴾

والصلاة والسلام على العبد الأكمل ، الذي اختاره الله عز وجل ، فجمله بجمال عبوديته ، وكلَّفه بتبليغ رسالته ، وجعله ﷺ فاتحاً خاتماً.

في الحقيقة أشكر سيادة الدكتور حامد طلبة والإخوة مجلس إدارة الكلية ، على إتاحة هذه الفرصة ، وأشكر السادة الحضور جميعاً على تشريفهم وحسن استماعهم.

موضوع الندوة هو " الدروس المستفادة من حادثة الإسراء والمعارج" : والمواضيع التي تفضل سيادة الدكتور حامد طلبة ففتحها لنا :

تتعلق بالدلالات التي تدل عليها بعض حوادث الإسراء والمعراج ،وهذه وهذه تحتاج إلى تفصيل طويل ، ووقت ليس بالقصير ، وأنا اعلم أنكم جميعاً في أمس الحاجة

---

(١) كانت هذه الندوة بكلية التجارة – جامعة الزقازيق- فرع بنها بدعوة من عميد الكلية د/حامد طلبة يوم الاثنين ٠٣ شعبان، ١٤٢٤هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٣م.

إلى الانتفاع ، وفي نفس الوقت تودون أن تجمعوا بين مصالح الدنيا وبين أمور الآخرة ، لأن هذا هو أمر الإسلام الذي أمرنا به المصطفى ﷺ

ففي عجالة سريعة سأطوف ببعض ما نستطيع أن نحصله في هذا الوقت المتاح من دروس الإسراء والمعراج .

❂ الإِسْرَاءُ تَكْلِيفٌ إِلَهِيٌّ

وبادئ ذي بدء ...

فقد سمعنا كثيراً أن أسباب هذه الحادثة :

هي أن الرسول ﷺ عندما ماتت زوجته السيدة خديجة ، وعمه أبو طالب أخذه الله عز وجل في هذه الرحلة ليسرِّي عنه ، ويخفف عنه .

وهذا هو كلام المؤرخين القدامى على قدر ما ورد على خواطرهم ، وما سنح لأفكارهم ، لكنا نقول ... :

أن هذه الحادثة كانت تكليفاً لمهام إلهية ، كلف الله بها الرسول ﷺ ، وجعل هذه الحادثة من أجلها ، فأولاً :

نحن نعلم جميعاً أن الرسول ﷺ جعله الله رسولاً للناس كافة ، وقال في شأنه :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾٢٨ سورة سبأ

فقد أرسل للناس كافة من بدء البدء إلى نهاية النهايات .

والناس في الآية تشمل جميع النبيين ، وجميع المرسلين ، وجميع من خلقهم الله عز وجل من آدم إلى يوم القيامة ، فهو نبي النبيين ورسول المرسلين .

وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن الكريم :

أنه جمع أرواح النبيين في الملأ الأعلى ، واخذ عليهم عهداً وميثاقاً :

أولاً : أن يؤمنوا بهذا النبي .

ثانياً : وأن يكونوا أنصاراً له .

ثالثا : وأن يدعوا قومهم وأممهم إلى تلبية دعوته ، وإلى متابعته في رسـالته إذا لحقوا عصره وزمنه صلوات ربي وسلامه عليه .

وهذه الآية نقرأها ونتدبرها وهي قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

الآية ٨١ سورة آل عمران

ولو نظرنا إلى هذه الآية نظر تدبُّر وتفكُّر؛ نجد أن الله عَزَّ وَجَلَّ وضَّح أنه أخـذ الميثاق على النبيين – والنبوة ثابتة للأنبياء قبل خلق أجسامهم ، فـإن الله اختـارهم لنبوَّته قبل خلق الأجساد – : ....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الآية ٣٣ سورة آل عمران

ثم قال لهم ....: ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ آية ٨١ سورة آل عمران

والرسالة ... لا تكون إلابعد ظهور البشرية ، وبعد تكليف الله سبحانه وتعالى لصاحب الرسالة لتبليغها للخلق .

أي أنه بعد ظهوره في الحياة الدنيا ، وتكليف الله له :

يرسله الله ﷻ ليبلّغ رسالة الله ﷻ إلى خلقه .

تَجْـــدِيدٌ لِبَيْعَةِ الأَنْبِيَاء

ولما كانت البيعة التي أخذها الله ﷻ على النبيين الثابتة في القـــرآن الكـــريم كانت قبل خلق الخلق، كان لا بد أن يجمع الله ﷻ النبيين مرة أخرى بعد تكليـــف رسوله بالرسالة : ..

– لتتحقق الآية .

– وليكونوا معاهدين له بعد ظهور بشريته ، كما عاهدوه في عالم روحانيته .

فجمع الله ﷻ الأنبياء أجمعين في بيت المقدس ، وعددهم كما جاء في الرواية التي رواها أبي ذر رضي الله عنه عندما قال له : ....

﴿ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَمِ النَّبِيُّونَ ؟ ، قَالَ : " مِائَةُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ " . قُلْتُ : كَمِ الْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : " ثَلاثُمِائَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ ﴾ (٢)

وهذه جملتهم ، ذكر الله ﷻ منهم في القرآن خمسة وعشرين ، وجعـــل أولي العزم منهم خمسة ، لكن الله قال :

---

(٢) عن أبي ذر الغفارى ، رواه البيهقى فى سننه الكبرى وفى المستدرك على الصحيحين للحاكم وشعب الإيمان.

﴿ رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ الآية ٧٨ سورة غافر

وقد جمعهم الله في بيت المقدس :

إعلاماً عاماً لجميع الأنام ، أن هذا النبي ﷺ دينه شامل لجميع التعليمات الإلهية ، والتشريعات الربانية ، التي نزل بها كل المرسلين والنبيين السابقين ، وأن كتابه كما قال الله في شأنه :

﴿ مُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ الآية ٤٨ سورة المائدة

أي مهيمناً على جميع الكتب السماوية السابقة له ﷺ .

وقد جمعهم الله عَزَّ وَجَلَّ في بيت المقدس ، لأن أغلب الرسل السابقين كانت قبلتهم تجاه بيت المقدس ، ومعظمهم قد أرسل من هذا المكان :

بعضهم أرسل من بلاد العراق ، وبعضهم كان في الجزيرة العربية ، لكن الكثرة الغالبة منهم كانت من فلسطين ومن بيت المقدس .

وأنتم تعلمون جميعاً أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يرسل رسولاً من أوروبا ، ولم يرسل نبياً أو رسولاً من أمريكا ، وإنما كان كل الرسل والأنبياء أجمعين من هذه المنطقة المباركة من بيت المقدس ، ومن حوله ، أو البيت الحرام ، ومن حوله.

فجمع الله الرسل الذين أرسلهم حول البيت الحرام ، والرسل الذين أرسلهم حول بيت المقدس ، جمعهم كلهم حول بيت الله المقدس ، ليجددوا العهد لرسول الله ﷺ ، أنه خاتم النبيين والمرسلين ، وأن الدين كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ في شانه:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ الآية ١٩ سورة آل عمران

التفــــــــــــويضُ للهِ

أيضاً فإن الله ﷻ جعل هذه الحادثة مثابة لكل مؤمن :

فإن الإنسان ما دام في هذه الحياة ، دائماً ما يتعرض لأمور فوق طاقتـــه مـــن مشاكل ، أو غموم ، أو هموم ... يحتاج في تفريجهـــا إلى مـــشاركة ســـواه ، فـــأراد الله ﷻ أن يعلمنا في صورة حبيبه ومصطفاه ، أن خير من يلجأ إليه الإنسان في حالة الضيق ، وفي حالة الشدة ، وفي أي أمر من الأمور الملمة به :

أن يرجع إلى الله ، وأن يشكو إلى الله ، وأن يرفع الأمر إلى حضرة الله ﷻ ، فإن الله ﷻ : ... أولاً ... :

هو وحده القادر على تحقيق حاجته ، وإجابة دعوته ، وتفريج شدته .

وثانياً : .... فإن الله ﷻ لا يحرجه بإذاعة ما قاله ، أو إفشاء سره ، لأن السر بين الخالق والمخلوق لا يطلع عليه أحد ، والله ﷻ يقول:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

الآية ٧ سورة المجادلة

فالرسول ﷺ لم ييأس من دعوته :

وإنما أراد أن يبين لنا معشر من آمن وصدق برسالته .... ، أن الله ﷻ هـــو الملجأ .... ، والمفزع عند الشدائد .... :

ولذلك اتجه إلى مولاه ، ودعاه بالدعاء الذي نحفظه جميعاً : .....

﴿ اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي ...إلى آخره ﴾ (٣)

وأجابه الله ﷻ في الحال ، وأرسل إليه الأمين جبريل ومعه ملك الجبال ، وقال جبريل : يا محمد إن الله أرسل إليك ملك الجبال ، وهو طوع أمرك ! ، فمره بما شئت ، فعلمنا ﷺ درساً آخر عظيماً نحتاج إليه في كل أحوالنا :

فإن الإنسان يسارع في ساعة الغضب ، إلى محاولة إيذاء من آذاه ، ولو بالدعاء عليه ، والتوجه فيه إلى مولاه ليوكّله في الإنتقام منه في هذه الحياة ، لكن الرسول علّمنا جميعاً درساً عظيماً .... : أن المؤمن الذي اتبع نهج النبي الكريم ، هو الذي يعفو عمن ظلمه ، ولا يعامله بفعله ، وإنما يعفو ويصفح ، ولذلك قال ﷺ لملك الجبال عندما قال له : يا محمد إني طوع أمرك فمرني بما شئت ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين – وهما الجبلان المحيطين بمكة أي يقضي عليهم نهائياً – فقال ﷺ :

﴿ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم .... من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا. ﴾ [٤]

يرجوا لهم الهداية ولذلك كان دائماً ما يقول :

﴿ اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُون ﴾ (٥)

يعطينا درساً عظيماً في أن المؤمن لا ينبغي أن يتسرع في الدعاء على من آذاه

---

(٣)رواه السيوطي في جامع الأحاديث والمراسيل ، ونصُّه « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحمينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى قَرِيب مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطاً عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِي غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمُ الذي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ وَأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَنْ تُحِلَّ عَلَيَّ غَضَبَكَ، أَوْ تُنْزِلَ عَلَيَّ سَخَطَكَ، وَلَكَ الْعُتْبَىٰ حَتَّى تَرْضَىٰ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ»

(٤) متفق عليه من حديث عن عائشة رضى الله عنها .

(٥) أخبار أصبهان عن عبد الله بن مسعود ، وفى رواية البخارى عنه ، وصحيح بن حبان عن سهل بن سعد الساعدي (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُون) .

بل يدعو له الله ﷻ ، ليدخل في قول رسول الله ﷺ :

﴿ فو الله لأنْ يُهدَى بِـكَ رجُـلٌ وَاحـدٌ خيرٌ لكَ من حُمُر النَّـعَم - وفي رواية أخرى — خَيْرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا فِيهَا ﴾ (٦)

ويعلمنا ﷺ في هذا ... ألا ندعو حتى على ما ظننا أنه في ملكنا ، فلا نـدعو على أنفسنا ، ولا على أولادنا ،ولا على أموالنا ، ولا على شيء خاص بنا كـسيارة ، أو جهاز ، أو غيره ...فقال ﷺ :

﴿ لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافق من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجاب لكم ﴾ (٧) وفى رواية زيادة **﴿ فتندمون ﴾**

لأن الإنسان هو الذي سيتحمل عاقبة إجابة هذا الدعاء .

إذن .... ماذا يفعل المؤمن ؟ ....يرفع الأمـر لله ، ويفـوِّض حالـه إلى الله ، ويطلب من الله ﷻ أن يصنع له ، ويفعل له ما يعلم أن فيه الخير له في الدنيا وفيـه السعادة يوم لقاء الله ﷻ .

ولما كان المؤمن عرضة في كل نفس لأمور لا يستطيع تحملها في هذه الحيـاة ، فقد انزل الله ﷻ لنا في هذه الليلة الصلاة ، وأمرنا أن نناجي فيها الله ﷻ خمـس مرات ، وهذه الصلاة لها حكمة عالية ، ذكرها الله في كتاب الله هي ما أشـرنا إليه

---

(٦).رواه البخارى فى صحيحه عن سهلِ بن سعد ﷺ أنه : «سمعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقولُ يـومَ خَيـبرَ: لأعطينَّ الرايةَ رجُلاً يفتَحُ الله على يدَيه، فقاموا يرْجون لذلك أيّهم يُعطى، فغَدَوا وكلُّهم يَرجو أن يُعطى، فقال: أينَ عليٌّ؟ فقيل: يَشتكي عَينَيه، فأمرَ فدُعيَ لهُ فبَصَقَ في عينيه فبَرَأ مكانهُ حتى كأنهُ لم يكن به شيء، فقال: نُقاتلهم حتى يكونوا مثلَنا. فقال: على رِسْلكَ حتى تَنزِلَ بساحتهم، ثمَّ ادعُهُم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فوَ الله لأَنْ يُهدَى بكَ رجُلٌ واحدٌ خيرٌ لكَ من حُمُرِ النَّعَم »

(٧) عن جابر ، رواه أبو داود .

وقال فيه الله عز وجل : ....

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المعارج

فالمصلون هم الذين يتخلصون من أمراض التوتر العصبي ، والضيق النفسي ، والأحوال التي لا يستطيع الإنسان أن يتحملها .... ما داموا يؤدون الصلاة بالكيفية الصحيحة التي كان عليها رسول الله ﷺ .

☼ صَفَاءُ الْقَلْبِ

كذلك كان في هذه الحادثة أمر غريب وعجيب ، وهو درس عظيم ، أكرمنا به الله عز وجل ، فقد أخذ الله حبيبه ومصطفاه من بيت الله المحرَّم إلى بيت الله المقدَّس ، وعندما أرسل إليه الأمين جبريل ، بعث معه نفراً من الملائكة ، وأمرهم أن يأخذونه ، ويضجعونه بجوار زمزم ، ويشقُّون صدره ، ويخرجون قلبه ، ويأخذون منه حظَّ الشيطان ، ثم يغسلون قلبه بماء زمزم...، ليعلمنا جميعاً ... :

أن الإنسان إذا أراد أن يناجي الله ، أو أن يعيش سعيداً بين خلق الله ، أو يحيا الحياة الطيبة التي يقول فيها الله : .....

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ الآية ٩٧ سورة النحل

فمن يريد هذه الحياة ! ، لا بد أن يخرج من صدره ، ومن نفسه ، ومن قلبه ... ما يدعوا الإنسان إلى معاداة الآخرين ، أو حسد ذوي النعمة من البشر أجمعين ، أو

النظر إلى متع الحياة الدنيا في أيدي الآخرين ....

وهذا ما قال الله فيه :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٧) ﴾ الآية ٤٧ سورة الحجر

ولذلك فقد أجرت جامعة بوسطن في العـــام الماضـــي في الولايـــات المتحـــدة الأمريكية ، تجارب علمية لزيادة جهاز المناعة في الإنسان ، وتوصلوا إلى نتيجة نشرها صحيفة الأهرام عندنا :

أن ما يزيد المناعة في جسم الإنسان ؛ هـــو خلـــوُّ صـــدره مـــن الأحقـــاد ، والأحســـاد ، والأنانية ، والصفات المعادية للآخرين ؛ فإذا كـــان الإنســـان يحـــبُّ الآخرين ، ويعيش في هذا الحبِّ ؛ فإن جهاز المناعة عنده يكون في أقوى ما يكـــون ، ويستطيع أن يجابه الصعاب ، ويتحمل كل المشاق ، بل إنهم أجروا تجربة عجيبة وغريبة على الصبر .... فإن الله عز وجل يقول في القرآن :

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ الآية ٦٥ سورة الأنفال

ويقول الله لنا .. ملمحاً إلى الأسلحة التي نستطيع أن نجابه بها أعباء الحياة : ..

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ الآية ٤٥ سورة البقرة

فقالوا : إن الإنسان إذا صبر في أمر من الأمور ،وكظم غيظه ، ولم يضق صدره بما فعل أعداءه ، فإن الجسم يخرج مادة تسمى الأندروفين ، وهذه المادة تجعل تحمُّـــل الإنسان ... قدر تحمُّله العادي ... عشر مرات ، كما قال الله عز وجل :

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ﴾

والصبر لا يكون إلا بالإيمان والقرآن ، قال ﷺ :

﴿ الصَّبْرُ من الإيمانِ بِمَنْزِلَةِ الرأسِ من الجَسَدِ ، فإذا ذَهَبَ الصبر ذَهَبَ الإيمانُ ﴾ [٨]

فالرسول ﷺ أخرج الله ﷻ من صدره ، ومن قلبه : الأشياء التي تجنبه مشاق الحياة ، والعنت ، والضيق في التعامل مع خلق الله ، وتجعله قريباً من ربِّه إذا ناجاه ، فإذا ناجى الله ﷻ ؛ يجده كما قال في حديثه القدسي المعروف : ....

﴿ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فإذا قال العبد: الحمد لله ربِّ العالمين ، يقول الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: الرحمن الرحيم ، يقول الله تعالى : مجدني عبدي ، وإذا قال: مالك يوم الدين، يقول الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي ، وإذا قال:إياك نعبد وإياك نستعين، قال الله تعالى : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ﴾

عُلُوُّ قَدْرِ النَّبِيِّ

أيضاً من الحكم العظيمة في هذه الحادثة الغريبة :

أن الله ﷻ أخذ حبيبه من المسجد الحرام ، إلى المسجد الأقصى ، ومن المسجد الأقصى إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى ، إلى قاب قوسين أو أدنى ،

---

(٨) عن أبي إسحٰق عن علي ، مصنف ابن أبي شيبة وجامع الأحاديث والمراسيل.

وهذا مع تنزيه الله ﷻ عن الجهة ، فإن الله ﷻ لم يكن فوق السموات الـــسبع ، ولكن الله ﷻ في كل الجهات ، في وقت واحد ، ولا يخلو منه زمان ، ولا مكان .

وإنما كان العلوُّ إشارة إلى علوِّ قدر النبي ، على جميع من سواه .

ولذلك فقد قال الأمين جبريل عندما وقف عند سدرة المنتهى :

﴿ قالَ رَسُولُ اللّهِ صلّى الله عليه وسلّم : لمَّا أسْرِيَ بي إلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، قالَ لِي جِبْرِيلُ : تَقدَّمْ يَا مُحَمَّدُ ، فوَاللّهِ مَا نَالَ هَذِهِ الكَرَامَةَ مَلَكٌ مُقرَّبٌ ! ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ! ﴾ [٩] ، وفى رواية **أخرى مشهورة :**

﴿ تَقدَّمْ يَا مُحَمَّدُ فإنك لو تقدمت اخترقت ، أما أنا فلو تقدمت قدر أنملة - طرف الإصبع – لاحترقت ، قال: يا اخي يا جبريل أهاهنا يترك الخليل خليله قال: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾ ﴾

ولم يقل مكان معلوم ، ولكن مقام ، فكانت الإشارة إلى أن علـــو المـــصطفى ؛ علو مقام .... فقد علا على مقامات النبيين ..!!.. ، وعلى مقامات المرســـلين ..!!..، وعلى مقامات الملائكة أجمعين ..!!..لكن ليس معنى ذلك أن الله ﷻ فوق السموات السبع ، أو أن الله ﷻ يُحدُّ بزمان أو يظهر في مكان !!!!! وإنما كل ما خطر ببالك ...فالله تعالى بخلاف ذلك .

وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه و أرضاه :

وحكمة إســـراء الحبيب إغاثـــةٌ
لعالمـــــه الأعلى ورحمة حنَّان

---

(٩).عن عليّ ﷺ ، جامع الأحاديث والمراسيل .

ولم يك ربُّ العرش فوق سماءه
تنزَّه عن كيف وعن برهان
ولكن لإظهار الجمال لأهله
من العالم الأعلى ونيل أماني

الأَخْذُ بالأَسْبَاب

ولعلكم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال :

﴿ ما بين الأرض والسماء ، قدر مسيرة خمسمائة عام ، وعرض كل سماء قدر مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء ؛ قدر مسيرة خمسمائة عام ﴾ (١٠)

ولكنه تجاوز ذلك كله ، ورجع ، وفراشه الذي كان ينام عليه لم يبرد بعد !! .

أي أن الله خرق له الأسباب !!! ولذلك سميت معجزة ، لأن المعجزة ؛ هي التي تخرق الأسباب ، وتكون بلا أسباب ، لكن الله ﷻ مع ذلك علمنا أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك الأسباب :

لأنه أتى لحبيبه في خرق الأسباب بالبراق ليركبه وجاء له بالمعراج ليصعد عليه .

مع أنه كان يستطيع أن يحمله بلا براق ، وبلا معراج ، وإنما جيء بالبراق ... لأننا دين الكمال ، ليعلم أهل هذا الدين ، وأتباع هذه الأمة :

أن المؤمن لا بد أن يأخذ بالأسباب في كل أمر ، وأن يفوض الأمر إلى الله ،

---

(١٠) أخرجه الترمذي من رواية الحسن عن أبى هريرة.

لكنه يعمل ما كلَّفه به مولاه ، ويكون كما قال ﷺ :

﴿ إعقلها وتوكّل ﴾ [١١]

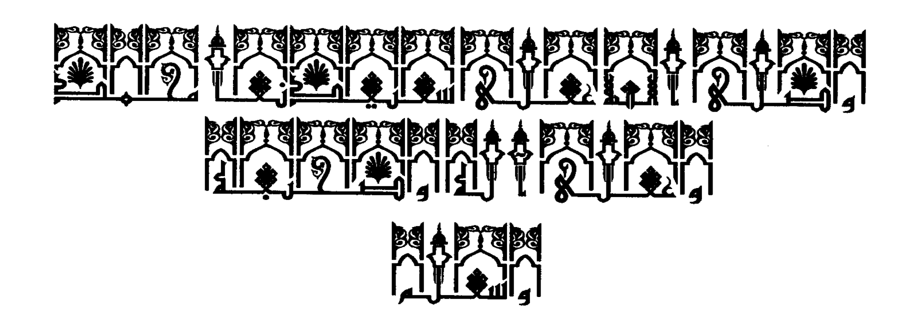
ولذلك فإن البراق والمعراج ... يحاربان السلبية في هذه الأمة .

والذين يزعمون أنهم متوكلون على الله ، ويقولون نعتمد على الله ، وما كان لنا فسيأتينا به الله ، ولايأخذون بالأسباب التى توصل لما يريدون كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فإنما هم ... متواكلون وليسوا متوكاين .

لأن الرسول ﷺ أمر كل مؤمن :

أن يسعى .... ثم يعتمد على الله... ، يبذل كل ما في وسعه لتحقيق أمله ، وتحقيق مأربه وغايته ... ، ويعتمد بعد ذلك على الله.عَزَّ وَجَلَّ .

فلا يسقط الأسباب طرفة عين ولا أقل ! ، لأن هذا هو ديننا الكريم الذي جاءنا به النبي العظيم ﷺ .

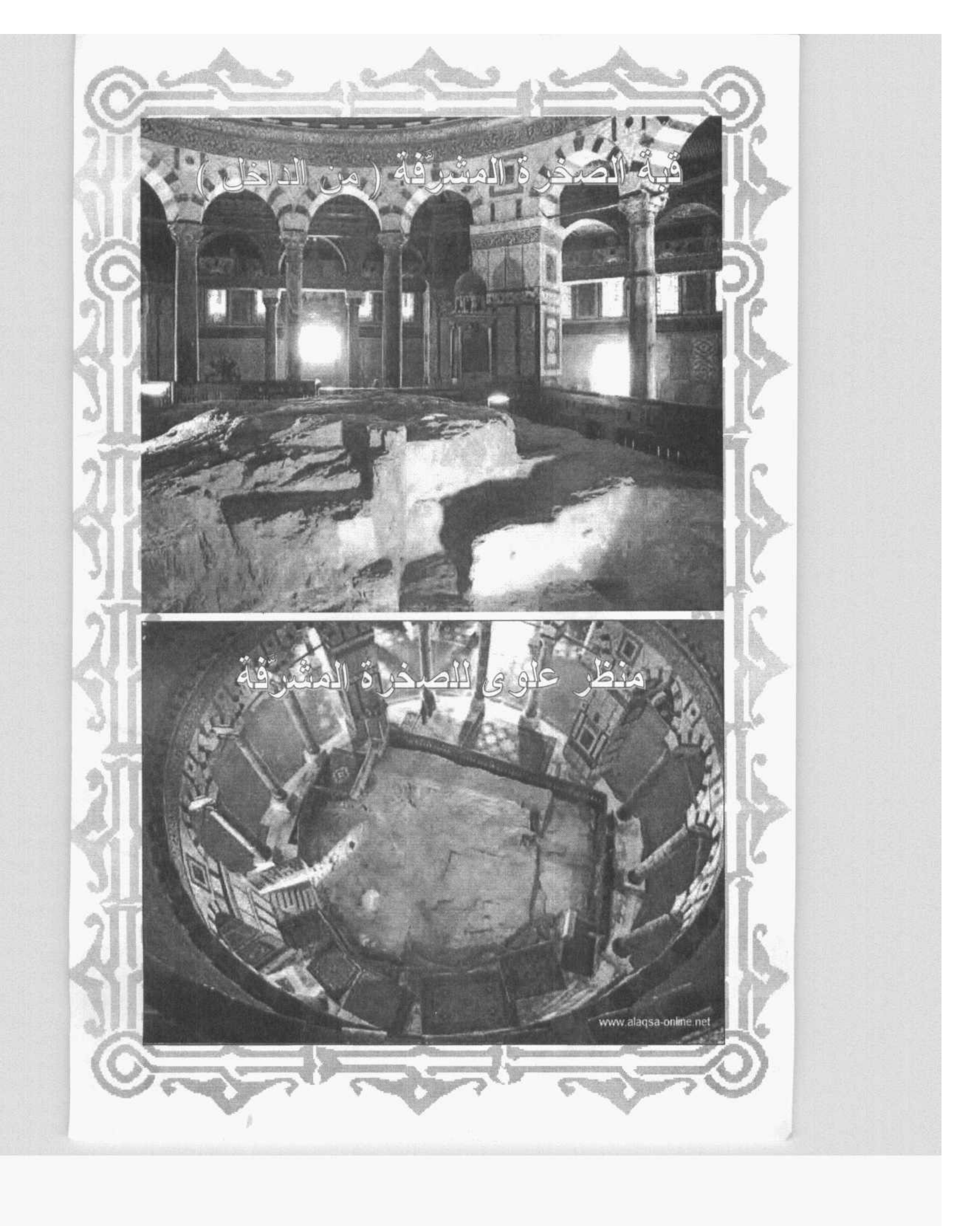


(١١) سنن الترمذي عن أنس بن مالك.

الباب التاسع

مَـــوَاهِبُ الْمُقَـــرَّبِين

- التَّجَلِّيَاتُ الإِلَهِيَّةُ
- في مَعِيّة الله
- تَوْبَةُ الْمُقَـــرَّبِين
- الْعُلُومُ الْوَهْبِيَّةُ
- عِلْـــمُ الْمَعْرِفَةِ
- الْمُحَـــادَثَةُ
- عِلْـــمُ الْقُلُوب
- عِلْـــمُ الاسْتِنْبَاط
- عِلْـــمُ سرِّ الْقَدَرِ
- مَعَـــارِجُ الأَخْيَارِ
- مَقَامُ الْحفْظ للصَّالحين
- ثِيَـــابُ الصَّـــالِحِين


قبة الصخرة المشرّفة (من الداخل)
منظر علوى للصخرة المشرّفة
www.alaqsa-online.net

الباب التاسع [1]

مَـــــوَاهِبُ الْمُقَـــــرَّبِين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ...

الذي أنعم علينا بهداه ، وطهر قلوبنا من سواه ، وجعل أفئدتنا خالصة لحبه وحب حبيبه ومصطفاه ، وملأ جوانح أفئدتنا عشقاً في ذاته ، حتى شغلنا به عزَّ شأنه عن كل شأن في هذه الحياة .

والصلاة والسلام على المحبوب الأعظم ، والعبد الأكرم الذي اصطفاه الله ﷻ وصافاه ، وقربه لحضرته وأدناه ، وحباه بما لا يستطيع أحد من الأولين والآخرين أن يعبر عن ذرة من العطاء الذي خصه به الله صلى الله عليه ، وعلى أهل وصله في الدنيا ، وأهل سعادته وجواره في الآخرة ، وعلينا معهم أجمعين .

آمين آمين يا رب العالمين ، إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين .

في الحقيقة أثلج صدري الكلمات الطيبة التي فتح الله ﷻ بها على إخواني الذين سبقوني بالحديث ، ولذلك كنت أرغب بصدق أن نسترسل في بقية الليل للسماع متلذذا لثلة أخرى من إخواني الممنوحين ، فإنَّا والحمد لله .... بيننا ثلة مباركة عظيمة من الإخوان الذين منحهم الله علم الحقائق .

وهذا فضل من الله ، وبركة من سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

---

[1] كانت هذه المحاضرة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – محافظة الجيزة يوم الخميس ٢٤ من رجب ١٤٢٥هـ الموافق ٩من سبتمبر ٢٠٠٤م بعد صلاة العشاء بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج.

فإن سيدنا رسول الله ﷺ لما وصل إلى سدرة المنتهى ، وقف الأمين جبريل ، فقال : يا أخي يا جبريل أهاهنا يترك الخليل خليله ! ، فقال جبريل عليه السلام : أنـــا لو تقدمت قدر أنملة لاحترقت وأنت لو تقدمت لاخترقت :

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ سورة الصافات

وهى الحكاية المعروفة والتى تناولناها بتفصيل من قبل فى لقاء ســـابق ، ولكنـــا اليوم يكرمنا ويلهمنا الله فيها بمعان جديدة ، قال صلى الله عليه وسلم :

ثم زجَّ بي زجَّة في النور ، وتدلى الرفرف الأخضر ، وسمعت قائل يقول : ادنوا يا أحمد ، ادنوا يا خير البرية .

ثم أنزل الله عز وجل قطرة على لساني ، ألين من الزبد ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، فقلت :

الصلوات الطيبات والتحيات المباركات لله عز وجل ، قال :

فوضع الجبار يده – مع تتريه الله عز وجل عن الأصابع ، والأوردة ، والشرايين– فإن الله كما أخبر فى كتابه :

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾

الآية ١١ سورة الشورى

وإذا سمعنا في كتاب الله ، أو حديث رسول الله : " يد الله " ، أو " نـــزول الله في كل ليلة في الثلث الأخير من الليل " ، أو " عين وسمع الله أو بصر الله " :

فإنما ذلك لتقريب الحقيقة إلينا جماعة المؤمنين ، لكن كل ما خطر ببالك فهـــو هالك ! ، والله عز وجل بخلاف ذلك .

حتى أن الصالحين قالوا :

{{ من قال يد الله يعني قدرة الله ، أو قوة الله ، أو ماشابه ذلك ، كل ذلك أيضاً لتقريب الحقيقة ، والحقيقة فوق ذلك !!!. }}

۞ التَّجَلِّيَاتُ الإِلَهِيَّةُ

قال : فوضع الجبَّار يده على ظهري ، حتى شعرت ببرد أنامله بين ثديَّ .

وهنا المعنى السريع المفيد يعني :

تجلَّى الله ﷻ بتجلِّياته الذاتيَّة على فؤاد الحضرة المحمدية ، لأن ربنا له تجليات صفاتية ، وله تجلِّيات نورانية ، وله تجلِّيات علمية ، وله تجلِّيات ملكوتية .... أنواع كثيرة ، لكنه تجلَّى بالتجلِّيات الذاتية على الحضرة المحمدية ، بلا كيفية يستطيع الإنسان تحصيلها ، أو الوصول إليها بالمدارك البشرية .

وهذا العلم قال فيه الإمام أبو العزائم رضي الله عنه :

علم غيب عن شهود لا بعلمي أو بعملي
بل بفضل الله ربي وبطه خير رسل

هذا العلم الشهودي ، لا بعلم ، ولا بعمل !،بل بفضل من المتفضل ﷻ .

من الذي يناله ؟

الذي يختارونه لذلك ، فالإمام أبو العزائم عندما ناله قال : .....

وأنا عبد ظلوم أعلموني بعد جهلي
كشفوا لي الحجب حتى أشهدوني نور أصلي

فكله فضلٌ من الله ﷻ .

إياك أن تظنَّ أنه بجدٍّ ، واجتهاد ، أو بعمل ، أو بأمل فقـط .... بـل لابـد بالإضافة إلى كل ذلك من فضل الله ﷻ .

ولذلك فكل آيات القرآن تفصِّل هذه الحقيقة ، فعندما تحدث الله عن الإسراء قال: ﴿ لنريه ﴾ ، من الذي يجعله يرى ؟ ..، هذا أمر ليس لنا شأن فيه !! ، لأنها قدرة القادر ﷻ ، وكذلك عندما نسمع هذا الحديث ، نفقهه على هذا المنوال :

﴿ فوضع الجبار يده على ظهري حتى وجدت برد أنامله في ثديي ﴾

برد الأنامل يعني برد التجليات ، لأن التجليات لها برد :

﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ سورة الأنبياء

النار التي كان فيها سيدنا إبراهيم الباطنة ..... نار المحبة لله ﷻ .... : ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا ﴾ .... يعني تجليات وسلام حـتى لا يحـرق بالكلية .

أي يصير على المنهج الأكمل ، لأنه لو انسحق بنار التجليات ، فلن ينتفع بـه الخلق ، بل قد يهيم على وجهه ولا ينتفع به أحد .

قال : فوضع الجبار يده على ظهري حتى وجدت برد أنامله في ثديي ، فعلمت علم الأولين ، وعلم الآخرين ، وأعطاني ثلاثة علوم :

١ ـ علماً أمرني بتبليغه .

٢ ـ وعلـماً أمرني بكتمه .

٣ ـ وعلـماً خيَّرني فيه .

وهذه العلوم ذكرها رسول الله ﷺ ، ليبيِّن لنا علـى قـدرنا الطريـق إلى الله ﷻ وكيف يسير الإنسان إلى الله ؟ ..

فالعلم الأول (علماً أمرني بتبليغه) :

والذى أمره الله بتبليغه هو علم الشريعة ... وهو للجميع ، فهو علم لكل مسلم ومسلمة وهو علمٌ متاحٌ ومباحٌ سماعه وتعليمه بالقواعد الشرعيَّة المعلومة ....

ولكن العلم الثانى ..... لمن ..... ؟

۞ في مَعِيّـــة الله

للذي يمشي مع الله .....

فهذا أمر لا ينبغي للسان أن يتحدث به للإخوان ، لأنه علم خــاص بالعبــد ، وهو (علماً أمرني به الله بكتمه) أي خاص به ، وهذا الذي يكون مع الله ... وكيــف يسير ؟ ، أبمفرده ؟ ، أم لابد أن يكون معه رفيق ؟

وما بداية سيره ؟ ، وما العطاءات التي يخصُّه الله عَزَّ وَجَلَّ بها ؟

كل هذا ... سيدنا رسول الله أشار إليه في رحلة الإسراء والمعراج ... بإشارات موجزة ، لأن هذه مفاتيح لكنوز فضل الله عَزَّ وَجَلَّ .

فأول ما يبدأ الإنسان السير إلى الله : يبدأ بالتوبة النصوح ... ، وإليه الإشــارة بأنهم أخذوه ، وأضجعوه ، وأخرجوا قلبه ، وأخذوا منه حظَّ الشيطان ، وغسلوه بماء زمزم ، فلابد أولاً من التوبة النصوح ، كيف يتمُّ ذلك للعبد ؟ ....

يعمل بقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتاب الله :

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾

الآية ٦٤ سورة النساء

ولم يقل جاءوا للحرم ، أو الكعبة بل ، جاءوا إليك أنت ! ، فإن لم أستطع أن أذهب إليه ؟ ، أذهب إلى صوره ! ، أو نوَّابه ... الذين قال فيهم :

﴿ إن العلماء ورثة الأنبياء ﴾ (٢)

فهم العلماء العاملون ، والحكماء الروحانيون .... الذين أقامهم بالنيابة عنه سيِّد الأولين والآخرين .

﴿ ذهبت امرأة إلى رسول الله ، وشاورته في أمر ، فأشار عليها بما ينبغي أن تفعله ، وطلب منها أن ترجع إليه لتخبره بما فعلت ، فقالت: فإذا عدت ولم أجدك ؟ ، قال لها : اذهبي إلى أبي بكر ﴾

وكانت تقصد بلم أجدك ؟ ، أنه انتقل إلى الرفيق الأعلى .

۞ تَوْبَةُ الْمُقَــرَّبِين

فلا بد من التوبة النصوح التي يبدأ بها الإنسان السير إلى الله ، ونحن هنا لا نتحدث عن التوبة العامة (*الآية* ٣١ *سورة النور*):

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

هذه توبة عامة للفلاح والنجاح ، لكن التوبة التي هي بداية السير والسلوك إلى الله ؛ لا بد أن تكون على يد عبد صالح ، أقامه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

ولذلك فسيدنا موسى لما وقع في خطأ – وهو من باب حسنات الأبرار سيئات

---

(٢) عن أبي الدرداء رضى الله عنه ، مسند الشهاب.

المقربين – عندما قالوا له : من أعلم الناس يا موسى ؟، قال: أنا .

فعاتبه الله على ذلك ، حيث لم يرد العلم إلى الله ، و قد شعر أنه أخطأ ، ويحتاج إلى توبة ، قال له الله : اذهب إلى العبد الصالح ! ، واسعى إليه ، لكي تتوب على يديه .

لأن هذه التوبة ... غير التوبة العامة ، التوبة العامة:

تبت إلى الله ، ورجعت إلى الله ، وندمت على ما فعلت.. إلى آخره ، وانتهى الموضوع ، ويمكن يتوب من هنا ويرجع إلى الذنوب من هنا ، أو يرجع إلى المعاصي ، لكن التوبة التي بعدها الأوبة هي :

{{ محو صور الأكوان من قلب الإنسان ... حتى يتعلق تعلُّقاً كلِّياً بحضرة الرحمن.عز وجل }}

وهذا لمن يريد السير في طريقه إلى الله ، ولذلك سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه أشار إلى مقامات هذه التوبة فقال لهم :

{{ كيف يرحل قلب إلى الله وصور الأكوان منطبعة في مرآته؟! ، أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبَّل (مقيَّد) بشهواته ؟ }}

فينبغي أن يفكَّ هذه القيود الشهوانية ، ويخرج من وثاق الغفلات ، ويمحو من صدره وقلبه كل صور الكائنات ؛ لكي تصحَّ التوبة ، وتصح البداية للسفر إلى الله.عز وجل ، ويبلغ مقامات النهايات ، وهذا الشأن ليس بالكلام !!! ، بل بالفعال !!!

ولذلك لا بد من رجل من الرجال يشرف على هذا العبد ، ويصبُّ عليه ماء الحياة ، وهو العلم النافع في القلب الخاشع ، الذي قال فيه العبد الصالح :

﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ ٦٥الكهف

وهو علم اليقين .

من غير علم اليقين ، لن تصحَّ التوبة التي بها السير والسلوك إلى ربِّ العالمين.ﻷ ، ولذلك بعض الناس يقول : أنا لي ثلاثون سنة ! ، ولا أرى شيئاً ! ، ولا أحسُّ بشيء من أحوال الرجال ، فأقول له : .... إنك لم تبدأ بعد ! ، لكنك من لحظة بدايتك سترى ... شريطة أن تبدأ البداية الصحيحة .

والبداية الصحيحة لا تتمُّ إلا على يد العبد النوراني ، والحكيم الرباني الذي أقامه حضرة النبي ﷺ ، ليقرب أهل الحظوة إلى مقام القرب والتداني .

فالبداية هي التوبة يا إخواني.

والتوبة كما ألمحنا إلى بعض معانيها ، يظلُّ العبد يرتفع فيها إلى أن يصل إلى مقام يتوب فيه من نفسه ، ويتوب فيه من شبحه ، ويتوب فيه من عمله ، ويتوب فيه من كل شيء ، ولا يرى إلا الله.ﻷ هو الفعال لما يريد.

هي نعم مقامات عالية !!! ، لكنها هي البداية ، وهذا سلم التائبين ، الذي يمشي عليه المريدون إذا أرادوا مقامات الصديقين.

☼ الْعُلُومُ الْوَهْبِيَّةُ

ولذلك بعد التوبة مباشرة.يبدأ الإنسان يتنزل على قلبه علوم من حضرة الرحمن.

تتنزل عليه العلوم ؛ فيمشي في الأرض والله ﻷ يمدُّه بمدد من عنده ؛ يتغلب به على أهوائه وشهواته في هذه الأرض ، فيكون محفوظاً بحفظ الله.ﻷ ، فإذا صدقت التوبة .... يملأ الله.ﻷ قلبه إيماناً وحكمة : ...

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ الآية ٢٦٩ سورة البقرة

ولم يقل " يعلم الحكمة " ، بل هو إيتاء من الله ، وفضل يتفضل به المتفضل على من يشاء ، من عباده فيمشي في الأرض حكيماً في كل أمر من أموره ، يريد أن يصل إلى ما وصل إليه الحكماء ، فيطالع سير النبلاء ، وينظر دائماً إلى أخلاق الفضلاء ليهتدي بها ، ويمشي عليها ، ويطالع أحوال النبيين ، وأخلاق المرسلين ، ويتخلق بها في نفسه مع الخلق أجمعين .

فلكي يصل إلى مقام يتأهل به للعروج إلى الملكوت الأعلى ، ووراثة عن المصطفى ﷺ لابد أن يتخلق بهذه الأخلاق .

وأنتم تذكرون سيدنا رسول الله ﷺ فى الرواية المعلوم :

أول ما ولد ، أخذه سيدنا جبريل تحت جناحه ، وغيَّبه ساعة ، وسمعت أمه قائلاً يقول : اغمسوه في أخلاق النبيين ، أعطوه زهد يوشع ، وحكمة هارون ، وعبادة داوود ، وأخذوا يعددون أوصاف النبيين ... ليتخلق بها سيد الأولين والآخرين ، ولذلك فإن الله عَزَّ وَجَلَّ عندما مدحه قال له :

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ ٣٥ الأحقاف

لأنه جامع أخلاق النبيين والمرسلين كلهم ...... ولا يؤذن لروح أن ترقى إلى حضرة الملكوت ، وتجني ثمار الحكمة ولطائف المعارف من عالم الملكوت ، إلا إذا اندرجت في أخلاق النبيين ، وكانت على كمالات المرسلين ، وهذه هي حكمة الله التي بينها كتاب الله ، وبينها حديث سيدنا رسول الله ﷺ .

فبعد التوبة النصوح ، يتخلَّق العبد .. ليتعلَّق ، وهذا جهاد الصديقين ، وليس جهاد الصديقين في العبادات ... أو في الأذكار ... أو في المكابدات .... وإنما جهادهم في التخلق بأخلاق النبيين والمرسلين .

تخلَّق بأخلاق الإلـه وحافظن   على منهج المختار في العقد تُنسَقُ

وتوضع معهم مباشرة :

﴿ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ الآية ٢٩ سورة الفتح

بعد ذلك .. ﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾

وهذه عملية تحصيل حاصل ، فالبداية هي التخلق للتعلق ، وربما خلقٌ واحدٌ يتحلّى به المرء ؛ ينال به مواهباً وعطايا من الله .... لا يستطيع أحد من الأولين والآخرين حصرها أبداً في هذه الحياة .

سيدنا ابن سيرين رضي الله عنه يسمى عندنا مؤسس علم تأويل الرؤيا ، تخلق بالأخلاق اليوسفية ، فجاءه سيدنا يوسف وقال له : افتح فاك ، وأعطاه لسانه فوضعه في فيه لحظة ، وقام ! ، وقد أوتي علم " تأويل الرؤيا " ، فلم يتعلّمه في كتاب ، ولا من معلم ، وإنما وراثة عن سيدنا يوسف حين قال :

﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾ الآية ١٠١ سورة يوسف

فالذي علّمه ربُّه ... يُذْهِب الحيرة حتى عن العلماء الكبار ، فسيدنا الإمام أبو حنيفة نفسه ، رأى في المنام رؤيا قام منها محزوناً ، لأنه لا يدري تأويلها ، مع أنه من كبار العلماء ، فذهب إلى ابن سيرين ، فغيَّر المفاهيم التي عنده ، وقام من عنده منشرح الصدر، فقد قال عن رؤياه :

رأيت أني أنبش في قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وجمعت عظامه في قفة عظيمة.

فقام من نومه مفزوعاً ، ولكن ابن سيرين طمأن خاطره ، وقال له : إنك ستجمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان ذلك .

فهذا علم لا يحتاج إلى مطالعة ولكن يحتاج إلى مكاشفة ، والمكاشفة بالأخلاق .

هي الأخلاق أسرار المعالي تُفَاضُ على أولي الهمم العوالي

ولذلك فإن أصحاب رسول الله ﷺ الذين نالوا الخصوصيات والمنح والعطاءات ، لم يدرسوا في جامعة ، وإنما أخذوها منحاً من سيدنا رسول الله ﷺ ، وهذا العلم الإشاري الذي قال فيه : {وعلم قد خيرني فيه} ، وهذا الذي فيه التفاضل وفيه التمايز ، لكن العلم الذي أُمِرَ بإبلاغه هو علم الشريعة وهذا للكل .

ومن أمثلة العلم الخاص :

أنه كان جالساً مع سيدنا أبو بكر ويتحدث معه ، فقال له : أتذكر يوم يوم ؟ ، قال : نعم يا رسول الله ، ذاك يوم الميثاق ، ثم استرسل معه في الكلام ، فدخل سيدنا عمر فقال : يا رسول الله إنك تتحدث مع أبي بكر بكلام لا أفهمه ! ، فكأني زنجيٌّ.

✹ عِلْمُ الْمَعْرِفَة

هذه هي الخصوصيات التي خص بها رسول الله أصحابه ، بعد ما رباهم على الأخلاق الكريمة التي كان عليها حبيب الله ومصطفاه ﷺ ، فأعطى سيدنا أبي بكر علم المعرفة ، ولذلك فهو أعرفهم بالله :

﴿ لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم ﴾ [٣]

لماذا ؟ ، لأن عنده معرفة بالله ، وهذه المعرفة هي التي جعلته يصعد المنبر ويخطب خطبة عظيمة ، في نصف سطر ، حيَّر فيه الأولين والآخرين قال فيه :

---

(٣)عن هزيل ابن شرحبيل الاودي قال سمعت عمر ابن الخطاب يقول (الحديث) ، فضائل الصحابة ومسند اسحاق وتحفة الأحوذي..

{{ الحمد لله الذي لم يصل أحد إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته }}

ونزل من فوق المنبر ، أين علم المعرفة ؟ ، وأين يُدَّرس ؟ ، وفي أي جامعة ؟ ... لا يدرس إلا في صدور الرجال ! ، مواهباً تفاض عليهم من الواحد المتعال .

❂ الْمُحَـــادَثَةُ

وسيدنا عمر أعطى له تخصص المحادثة :

ﷺ أنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون ، إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب ﷺ [٤]

يعني يتحدث مع كل شيء ، مع الجمادات ، ومع الحيوانات ، ومع حقائق الأشياء ، ولذلك كان يتحدث مع الحجر الأسعد ويقول : "إنك حجر لا تضر ولا تنفع "، ومرة يتحدث مع الأرض لما حدث زلزال في عصره ، أمسك الدّرة وضرب بها الأرض ، وقال : "قري واسكني ، فإني أعدل على ظهرك " ، فسكنت في الحال واستجابت للأمر ، فكان عمر محدثا ، يتحدث مع الحقائق كلها .

هذه هي الوراثة التي أخذها من رسول الله ﷺ .

❂ عِلْـــمُ الْقُلُوبِ

وكذلك سيدنا عثمان ، أعطاه الحبيب ﷺ ، علم القلوب ، وتطهيرها ، وكيفية مكاشفاتها ، ولذلك كان رضي الله عنه يقول :

---

(٤)أخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعا

{{ لو طهرت القلوب ؛ ما شبعت من كلام حضرة علام الغيوب }}

وكان يقطع ما بين المغرب والعشاء في ركعتين ، يقرأ فيهما القرآن كلَّه من أوله إلى آخره ، كيف يكون ذلك ؟

هذه منحة أعطاها له الله عزَّ وجلَّ .

۞ عِلْـــــــمُ الاسْتِنْبَاطِ

سيدنا الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الاستنباط :

﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ *الآية ٨٣ النساء*

فكان يستنبط الأحكام يحتار فيها معه من يسمعها من الأنام ، حتى يقول رضي الله عنه :

{{ لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم لوقرتم سبعين بعيراً }} ،

وكان يتعرض لهم ويقول :

{{ سلوني قبل أن تفقدوني }} .

لأن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعطاه !!!! .. ، حتى قال تلميذه سيدنا عبـــدالله بن عباس رضى الله عنهم أجمعين :

{{ لو كان العلم من عشر ، لكان عليٌ أعطي تسعة أعشاره ، وبقية الخلق العشر ، وكان عليٌ أكثرهم في العشر الباقي }}

﴿ أنا مَدينَةُ الْعِلْم وَعَلِيٌّ بابُها فَمَنْ أرادَ الْمَدينَةَ فَلْيَأتِ الْبابَ ﴾ [٥]

([٥])عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، المستدرك للحاكم

۞ عِلْــــمُ سِرِّ الْقَدَرِ

سيدنا حذيفة :

أعطاه الله علم سر القدر ، فكان يعرف الناس من هـذا و ذاك ، ومعـه الكـشف ، حتى كان سيدنا عمر لا يصلي على جنازة وقد وجد حذيفة حاضـراً إلا إذا صلى عليها حذيفة ، كان يعرف المؤمن من المنافق ، كما علّمه سيدنا رسـول الله حتى كان يقول :

{{ ما من صاحب فتنة يبلغ من معه ثلاثمائة ! ، إلا وأنا أعلمه ، وأعلم اسمه ، بما علمني رسول الله إلى يوم القيامة }}

وكانوا يسألونه ويجيب ، ولما خرج الناس على عثمان ذهبوا إليه: ما رأيك ؟

قال : سيقتل عثمان ! ، وما رأيك فيه ؟ ، قال : هو في الجنة ، وما رأيـك في قاتليه ؟ ، قال: هم في النار.

والسنة التي مات فيها ، قالوا له : قل لنا بعض الأخبار !! ، قال : لوقلت لكم بعض ما عندي ؟ أتصدقوني ؟ ، قالوا : نعم ، قال : لو قلت لكم إن أمَّكم سـتخرج لجيش تحارب ، قالوا : هذا لا يكون ، قال : سيكون ، وسيخرج معها طلحة والزبير ، وسيقتل طلحة ، وسيهرب الزبير ، فيقتله فلان ، وسأموت قبل ذلك، وقد كان ذلك ، ومات قبل حدوث هذه الواقعة ﷺ وأرضاه ، ما هذه العلوم ؟ ، وكيف جـاءوا بها ؟ .... كلُّه من رسول الله ﷺ

وكذلك منهم الذي أخذ علم الحلال والحرام ، والذي أخذ علم الفـرائض ، وغيرها من أنواع العلوم ، إن علوم الإسلام ذات تخصصات ، وكان سيدنا عمر نفسه يذهب إلى سيدنا حذيفة يقول له : أفي نفاق، يقول لا، ولا أخبر أحداً بعدك ، فكـانوا يلجئون إلى بعضهم في الخصوصيات.

☼ مَعَـــــــارِجُ الأَخْيَارِ

وكانت هذه الخصوصية تأتي نتيجة :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

الآية ٣١ سورة آل عمران

والإتباع الأعظم ... يكون في الأخلاق الإلهية ، ولذلك سيدنا رسول الله بين : أن الذي انغمس في أخلاق النبيين ، هو الذي طهرت روحه إلى ملكوت ربِّ العالمين ، ليرجع إلى عالم الكون بما حصَّله من طرائف الحكمة ، ومن فوائد العلم الإلهي ، ليخبر به من يجهزهم الله.عَزَّ وَجَلَّ لهذا العلم من المحسنين ، ومن الموقنين .

وهذا لايكون ..... إلا إذا كان قد استوت أخلاقه الآدمية ، وهذّب ، وشذّب أخلاقه الحيوانية ، والإبليسية ، ولم يعد عنده غير الأخلاق القرآنية ، فإن روحه ترتفع إلى السماء الأولى ، وتحصل الحكمة العلية من السماء الآدمية (نسبة إلى آدم) ، فإذا أكرمه الكريم.عَزَّ وَجَلَّ ، وزهد فيما سوى الله أكرمه الله.عَزَّ وَجَلَّ بالمقام العيسوي ، وأحياه حياة الصديقين فكان حيًّا بالله كالذي يقول فيه الله :

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ الآية ١٢٢ سورة الأنعام

يمشي بين الناس بالنور الذي أعطاه الله له قال ﷺ :

﴿ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ، ثُمَّ قَرَأَ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [٦]

(٦) عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، رواه الترمذى فى سننه .

فإذا أكرمه الله ﷻ ...... وأقامه داعياً لله بالله ، جمّله الله للمحبين والطالبين والراغبين بالجمال الروحاني ، الذي يجعلهم يقبلون عليه ، ويقطّعون أيديهم من الدنيا ، والمشاغل ، والمشاكل في إقبالهم عليه ، وليس الجمال الحسِّي اليوسفي ، ولكنه الجمال الروحاني المحمدي .

ثم يكرمه الله.ﷻ ..... بالحكمة الهارونية ، فيكون حكيماً في أقواله ، وأفعاله ، وإشاراته ، وتلويحاته ، وتوجيهاته ، فطوبى لمن أخذ إشاراته ، ووعاها ، ومشى عليها ، فيفوز بما أعده الله.ﷻ من المنح والعطايا لأهلها وذويها .

وهذه أحوال الصالحين مع كمل المريدين ، مع أهل البداية ....العلـــم .... ، ومع أهل النهاية ..... الحكمة ....

إشاراتٌ ..... الذي يعمل بها لا يحتاج إلى العبارة ، وتفتح له كنوز المعارف من الله.ﷻ ، فلا يحتاج بعد ذلك لا إلى إشارة ، ولا إلى عبارة .

فإذا أكرمه الكريم.ﷻ ..... وحباه ، ورقّاه ، وأدناه ، واصطفاه على عينه ، فتح الله.ﷻ عليه باب المحادثة مع حضرة الله ، وباب المكالمة كما كـــان كلـــيم الله سيدنا موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام ، فقد قيل له كيـــف كنـــت تسمع كلام الله ؟ ، فقال عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام :

﴿ كنت كأني أسمع سبعين ألف لسان ، بسبعين ألف لغة في وقت واحد ، وكأني كلي مسامع أسمع بكلي لله.ﷻ ﴾

وليست الأذن هنا إلا وسيلة ، فكله آذان صاغية يسمع السميع ﷻ ، الذي كلامه لا يطيقه البشر .

فإذا أكرمه الكريم ﷻ .... فأصبحت كل حقائقه عاشقة لحضرة الله ، وتوّاقة إلى القرب من الله صار ، كله محبوباً لحضرة الله ، فأكرمه الله.ﷻ بمقام الْخُـــلَّة ،

وغمر بيته بجمال الله ، وبهاء الله ، وكمال الله ، فأصبح قلبه بيتاً معموراً ، وأصبح في ظاهره وباطنه في مقام الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وهنا مقام الختام ، ثم بعد ذلك يمشي مع الله ، والذي يمشي مع الله لا يدري أحدٌ ما عنده ، وإنما يكون له قسطا من الميراث :

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة النجم

واسمع إلى الله وهو يقول :

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ سورة النجم

ولم يقل : " ما سمع " ، لأن هذا علم " رؤية " ، والرؤية .... لا تكون إلا لمن غاب عن الأكوان بمكوِّن الأكوان ، فكان الله عَزَّ وَجَلَّ متولّيه بجميع شئونه ظاهراً وباطناً ، لأن هذا .... سقاه النبي العدنان ، وتولى تربيته ، وتأديبه ... في كل وقت وآن.

والنبي ﷺ يقول الله عنه في هذا المقام :

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة النجم

كلما عرض عليه جمالات ، أو كمالات ، لم يلتفت إليها :

لإنشغاله بالكليَّة بمصدر الجمالات ، وسرِّ كل الكمالات .... وهو الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد سبحانه وتعالى .

إذن يا إخواني .... هذه الرحلة المباركة :

جزء منها ... أرضيّ ...، إشارة إلى الجهاد الجسدي ، وهذا يتلّقى الإنسان به العلم الشرعي ، ثم يعمل فيه بجسده ، وجزء فيها روحاني ... وهذا إشارة إلى ما لا بدَّ لابد فيه من مرشد نوراني يفيض على الإنسان من العلم الوهبي ؛ لتزكو النفس

ويزول اللبس ، ويرتقي في سماء الفضل ، والأنس ، والقرب من الله ﷻ .

وجزء فيها ذاتي إلهي قدسي ، وهذا يغيب عن عالم الأرواح كشفه ، وعن عالم الأسرار سرُّه ، وإنما هو فضل من المتفضل ﷻ على أهله بكمال الأدب ، فينالون هذه الرتب .

إذا كان الإنسان في عالم الأكوان ؛ فيجاهد هذا الكيان بشرع الواحد الرحمن ﷻ وفي هذا يقتدى بأى عالم من علماء الشريعة ... وهذا هو الذي يرجو الجنان .

أما الذي يرجو الفضل والخصوصية ... كأصحاب النبي العدنان ... فعليه أن يقتدي بإمام من أهل الهدى ، وعليه أن ينظر في قصص الأنبياء وأحوالهم في كتاب الله ﷻ ، ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه في كتابه "الطهور المدار على قلوب الأبرار": ...

{{ وقصص الأنبياء في كتاب الله ﷻ هي الطهور المدار على قلوب هؤلاء الأبرار لأنهم يتعلمون منها كيف يتعاملون مع الواحد القهار }}

☼ مَقَامُ الْحِفْظِ لِلصَّالِحِين

كيف يتعامل مع الله ؟

يرى أنبياء الله ، وكيف كانوا يتعاملون مع الله ... من أول آدم ، إلى خليل الله ، ثم بعد ذلك يرقّيه الله ، ويفيض عليه أخلاق حبيبه ومصطفاه ﷺ .

سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمُّ السلام كان لا يرى معيناً له في كل أموره إلا الله ، ويرفض المعونة حتى من الأمين جبريل ، عندما أرسله الله تلبية لطلب ملائكة الله ، ومع ذلك يقول عن نفسه : ...

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ سورة الشعراء

يعني يتفقد نفسه ، ليتعرف الأمراض المعنوية التي انتابته ليعالجها .... ، لكن الذي يرى نفسه ... أنه تمَّ وأتمَّ ..!!..، كيف يُشفى من هذه الأدواء ؟

وكيف يصل إلى هذه المقامات العلياء ؟

فلابد للإنسان أن ينظر دائماً إلى نفسه ، ليكمل نفسه ، وينظر إلى باطنه ، وينظر إلى الكمالات ، ويحاول أن ينقّي نفسه ، وأن يواجه نفسه بمواجهات الأنبياء ، ليرتقي على هذا السلم ، حتى يصل إلى مقام سيد الرسل والأنبياء ﷺ .

ومع هذا .... فسيدنا رسول الله مع علوِّ شانه ، قال له ربه :

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ الآية ٧٩ سورة النساء

وهل كان لسيدنا رسول الله سيئات ؟ .. !! ..

كلا ! ، ولكن ليعلّمنا أن الإنسان الذي يريد رضا الرحمن ... دائماً ينظر إلى قصوره وتقصيره ، ويرى أن أي خلل يحدث له ، أو حوله ، يكون بسبب قصوره وتقصيره ، ولو وقف العبد على هذا المقام !!! ، فإنه يرتاح من جميع الأنام .

لكن كمل مشاكل الأنام أن كل فرد ينسب العيب إلى غيره ، وينسى نفسه .

والوقوف مع هذه المقام ؛ هو المقام العظيم الذي كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ ، والذي كان عليه أصحابه ، وكان بعضهم يقول : .. أعرف حالى مع الله حتى في خلق زوجتي ، أو في تشامس دابتي .

فلو الدابة استعصيت عليه ؛ يرى أن هناك عيباً فيه ، أو ذنباً فعله ....، فيفتّش في نفسه باحثاً عن ذلك ، وكذلك لو خالفته زوجته في يوم من الأيام ... يرجع إلى

نفسه ، لقد كان أحدهم لو فاتته صلاة الفجر جماعة ... يبكي ويقول : ما الذنب الذي ارتكبته ؟ ، فعاقبني الله وحرمني من صلاة الفجر ، في وقتها في جماعة ؟

وكذلك لو فاته قيام الليل ، يقول : ما الذنب الذي فعلته ؟؟ ، فعاقبني به الله وحرمني قيام الليل ؟ ، وقال الإمام علي في شأنهم :

{{ حاجاتهم خفيفة ، وقلوبهم عفيفة ، الناس منهم في راحة ، وأنفسهم منهم في عناء }}

سيدنا عمر مكث سنة قاضياً من غير قضية مع الناس العاديين ، فما بالك عندما يكون شيخاً أو إماماً ، وكل يوم تعرض عليه عشرين مشكلة ... من مريديه فأي مريدين هؤلاء ... ؟؟؟ !!!!!

إنهم لم يسيروا على نهج سيد الأولين والآخرين ﷺ ، لأن نهج رسول الله الذي علمه لأصحابه .... أن كل رجل يرجع لنفسه إذا حدث قصور أو تقصير :

فمن كان يرى منامات ، وحرم الرؤيا فهذا لعيب في نفسه ، وكذا من حُجب من جمال ، أو كمال ، أو بهاء وضياء ، أو علم أتاه الله له ، فإن ذلك لعيب في نفسه ، فإذا لم يكتشف بنفسه هذا العيب .

يذهب إلى الطبيب الرباني ، ليكشف له عن العيب ، وإذا ذهب إلى الطبيب ، وأعطى له الدواء ، ولم يتم الشفاء .... ينظر إلى نفسه ، وليس إلى الطبيب .

هذا هو النهج الأساسي الذي به الوصول إلى مقام الخواص ، وإذا تخلى الإنسان عن هذا النهج طرفة عين ... يتعب نفسه ، ويتعب شيخه ، ويتعب إخوانه ، ويتعب زمانه ، ويتعب مكانه ، ويتعب الكلّ .....

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه كان ساعات يتحدث مع رسول الله ﷺ فيقول :

فتارة أنا مخمور أراك أنا   وتارة أنا عبد ذاته مُحقت

ثم يرجع فيقول :

وأنا الظلوم أنا الجهول أنا الذي لولا عنايتك هلكت بحيرتي

أي أنه لولا العناية من الله ورسوله ...!!!! ... لهلكت ..

فيرى عنده القصور ، والتقصير يراه منه هو من نفسه ، فإذا رأى الإنسان أن التقصير من إخوانه ، من فلان ، أو فلان ، يكون في ذلك الوقت في عمأ شديد ، وفي بعد أكيد ... عن السبيل السوي ، والطريق الرشيد.

بعض الصالحين مثل سيدي يزيد البسطامي رضي الله عنه ، وهو كان في صلاته يحدث له إسراء ومعراج ، ويلف السموات السبع ، والعرش ، والكرسي ، كل هذا وهو في حالة الصلاة ، بروحه بإذن الله عز وجل ، ..... ومع هذه الحالة العالية ، كان لحظة قيامه من النوم .... يضع يده على وجهه ، فقالوا له : أنت كل يوم تضع يدك على وجهك في الصباح ؟ عندما تقوم من نومك ؟ ، فقال رضي الله عنه :

{ أخشى أن يحاسبني الله بسوء فعلي فيمسخني إلى قرد أو خنزير.}

ولكن الله عز وجل من واسع كرمه ... يحاسبنا بالفضل ، لأن الله عز وجل كريم يحب عباده المؤمنين التوابين والمتطهرين ، ولم يقل " التائبين " : .....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ *البقرة*

لكن الرجل منا لو تاب في يوم من الأيام ، وجاء عليه شهر رمضان ، وانشغل بالطاعة والعبادة ، وربنا أكرمه وأعانه ، وحفظه من العصيان ، تجد له بعد شهر رمضان ما ينتهي ... مطالب جمَّة !!.. ، لا عدَّ لها ... ، ولا نهاية ... ويحاسب ربنا :

لِمَ لَمْ تعطني علماً ؟ ، لِمَ لَمْ تهبني كشفاً ؟ ، وهكذا ...

وهذه الأحوال من شطحات النفس ، ولذلك يلزم للإنسان أن يكون في حضن

المرشد ، إلى أن يتأكد أن النفس قد انتهى من جهادها ، وقد استسلمت لشرع ربها.عَزَّ وَجَلَّ ، والنفس يا إخواني ...لا ينتهي الجهاد منها ... حتى مع كمل العارفين ، إلا مع خروج النفس الأخير.

هيّ النفس تريد دائما للإنسان أن يكون في لبس ، ولذلك أول شيء عمله سيدنا رسول الله في الرحلة مع التوبة النصوح ، أُخِذَ منه حظُّ الشيطان ، وليس هو الذي أخذه ، من الذي أخذ منه حظّ الشيطان ؟

المرشد الرباني ، والعارف الروحاني :

هو الذي أخذ منه حظّ الشيطان ، ورماه ، وغسلوا القلب بماء زمزم ، وماء زمزم إلى إشارة إلى العلم الوهبي الذي لا يزال بالعبد حتى يقف بنفسه على أرض التوحيد .... فيرى أصله في كل نفس ، ولا يغيب عن أصله طرفة عين ، مهمل تواترت عليه ... أو توالت عليه كمالات الحميد المجيد !!! ، مهما تظهر عليه كمالات الله !!! ، ومهما تفاض عليه أنوار الله !!! ...

يرى نفسه أنه طين ، أو ماء مهين ، لأن هذا الذي يحفظ مقام الإنسان في مقامات القرب والولاية عند رب العالمين.عَزَّ وَجَلَّ .

فالإمام أبو العزائم قال بعد ما وصل إلى هذه المقامات العالية قال:

علمت نفسي أني كنت لا شيء فصرت لا شيء في نفسي وفي كلّي

أي أنا أعرف نفسي ... أني ليس معي شيء ، إياك أن تظنَّ مهما يعطوك ؟ ، أن معك شيء ! ، فتكون مسكيناً .... لأن هذه بضاعتهم .... يمكن في أي لحظة يقولوا لك : هذه بضاعتنا قد ردت إلينا! ، ولذلك يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

به تنزَّه صرت الآن موجوداً به وجودي وإمدادي به حولي
ومن أنا عدمٌ الله جملني فصرت صورته العليا بلا نيل.

أنا عدم ! .

ولذلك كان واحد من تلاميذه في الأزهر ، وكل يوم يسلّم عليه ... ، فيسأله : مـــــن ؟ ، فيقول : فلان ، فيقول : بماذا تعمل ؟ ، فيقول : طـــــالب علـــــــم .

وبعدما انتهى من دراسته ، سأله : من ؟ ، قال : فلان ، قال : بماذا تعمـــل ؟، قال : عـــــــالم ، فقال له : ....

{{ الآن قد جهلت ، }}

لأنك ظننت نفسك عالماً !!

وربنا قال : ....

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ سورة يوسف

وما العلم الذي معك ؟ ...!!...

ألا تعلم أن العبد الرباني ...،علّم الرسول الذي هو من أولي العزم ، وقال له :

{{ يا موسى أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا ، وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت ، وما علمي وعلمك في علم الله ... إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا اليم }}.

سيدنا سليمان ...

كان يتحدث بلغة الطيور ، ولغة الحيوانات ، ويتحدث مع الجمادات ، وسخَّر الله له الريح ، وسخَّر له الجنَّ ، ومع ذلك جاء هدهد وقال له :

﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾

الآية ٢٢ سورة النمل

ثيـــاب الصـَّـــالحين

ولذلك فالثوب الذي يرتديه الصالحون ....

هو الذي لبسه سيد الأولين والآخرين :

وهو ثوب العجز والمسكنة ، أمام حضرة الله ، وليس أمام خلق الله .

فيشعر دائماً بأنه عاجز أمام مولاه ، ويحتاج في كل أنفاسه إلى عطاياه ، ويحتاج بعد عطاياه إلى حفظ عطاياه ، فهو حافظ العطايا التي يعطيها للعبد ، وهو الذي يزيدها ، فيحتاج في كل أنفاسه إلى حضرة الله.عَزَّ وَجَلَّ .

ولذلك فسيدنا رسول الله عندما تحدَّث عنه ربه في ليلة القرب ، لم يقل سبحان الذي أسرى بنبيه ولا برسوله .... وإنما قال :

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ الآية ١ سورة الإسراء

ليعرفنا أن مقام العبدية هو سر العطية ، فأي عبد يريد عطية ربانية إلهية ، فعليه بأخلاق العبدية ، وعلى حسب الثياب التي عليه .

إذا لبس أخلاق العبدية ... ، وحلة العبدية الآدمية ... ، يأخذ عطاء سيدنا آدم عليه السلام ، وإذا لبس حلة العبدية اليوسفية ، يأخذ عطاء سيدنا يوسف عليه السلام ، فإذا تسربل بحلة العبدية الخليلية ، يأخذ عطاء خليل الله.عَزَّ وَجَلَّ .

فإذا تكمَّل لبس حلة العبدية المحمدية ، صار من أصحاب الوراثة الأكملية .

ويكون هو الوارث الوراثة الكليَّة لحضرة سيدنا ومولانا رســـول الله الأعظـــم ﷺ ، وهذا هو الذي يرث علوم الأولين ، وعلـــوم الآخـــرين ، والـــذي يعطيـــه الله.عَزَّ وَجَلَّ مقام وراثة عن المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام : ....

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ سورة النساء

فغاية المراد من الجهاد ليس العبادات ، بل أن يتحلّى العبد بحلّة العبودية ؛ فيكون عبداً .... ولذلك عندما عرج برسول الله إلى السموات ، أشار الإمام أبو العزائم إلى بعض أسرار ذلك فقال :

وحكمة إسراء الحبيب إغاثةٌ
لعالمه الأعلى ورحمة حنّان
ولم يك ربٌّ العرش فوق سماءه
تنزّه عن كيف وعن برهان
ولكن لإظهار الجمال لأهله
من العالم الأعلى ونيل أماني

أين الله ؟

﴿ سيدنا موسى قال له : يا رب أين جدك ؟ ، قال : تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ﴾

أي موجود عند العبيد .

وهذا باختصار المنهج القويم ، للذي يريد أن يكون من الأبرار ، الذين يقول فيهم الواحد القهار:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ المطففين

يرونه رأى العين ويقرأونه :

بعـــين الروح لا عـــين العقـــول
شهـــدت الغيب في حال الوصـول

كيف يتم ذلك ؟

أولاً التوبة النصوح على يد العبد .

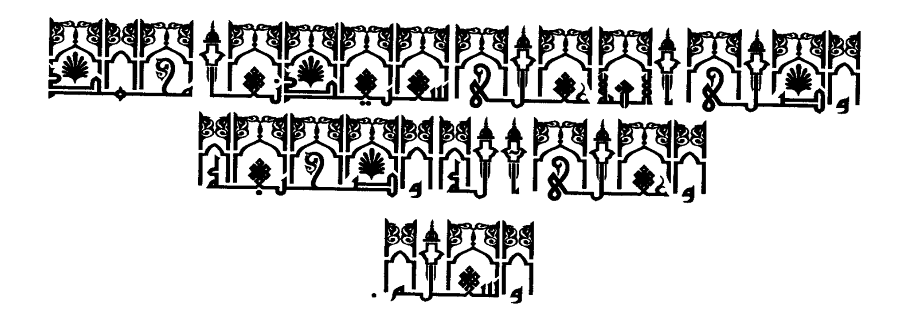
ثانيا : ثم طهارة السر بالكلية .

ثالثا : ثم الإقتداء في مقام العبدية ، بأئمة الهدى والرشاد ، بالأنبياء والمرسلين .

رابعا : ثم يكرمه الله فضلاً منه ، وحناناً وعطفاً ، فيخلع عليه خلعة سيـــــّد الأولين والآخرين ... فيرى ما لا يراه الناظرون ....

بسرِّ حُلَّة العبدية ، التي ورثها عن خير البرية ﷺ .

أما الأعمال التعبُّـــدية فهذه للمقامات الجنانيَّـــــة .



الباب العاشر

أَدَبُ الْدَّعْـــوَةِ و الْدُّعَاة

- سِرُّخَيْرِيَّةِ الأُمَـــةِ الْمُحَمَّدِيَّـــة
- صِفَــاتُ الْدُّعَاةِ الْـصَّادِقِين
- جِهَادُ الْـــدُّعَاة إِلَــى الله
- مِنْ إِشَــارَاتِ شَقِّ الْـصَّدْر
- أَدَبُ الْرِّجَالِ مَعَ أَهْلِ الْكَمَالِ
- بِدَايَـــــــةُ الْفَــتْحِ
- صِــدْقُ الْدَّاعِي مَــعَ نَفْــسِهِ
- صَـــاحِبُ الْعِنَايَـــةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴾ آية ١٠٤ سورة آل عمران

الباب العاشر

أَدَبُ الدَّعْـــوَةِ و الدُّعَاة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسأل سائل لماذا الاحتفال بهذه الليالي ؟ [١]

يكفي للاحتفاء بهذه الليالي :

۞ أن المسلم يستعيد فيها سيرة الحبيب المختار .... ، إذا كانت الأيام والليالي تتعلق بحضرته العليَّة عليه أفضل الصلاة و أتم السلامات .

۞ أو يتذكَّر فضل الله ، وعطاء الله المدرار ، إذا كانت أيام إجابة الدعاء ، وتنزلات ، وبركات خالق الأرض والسماء : مثل ليلة القدر ، وليلة بدر .

فيتذكَّر فضل الله ، وكرم الله ، وعطاء الله ، فيطمع في رحمة الله، جلَّ في علاه .

۞ وإذا كانت الليالي تتعلق بحبيب الله :

مثل ليلة الإسراء ، وليلة المولد ، فيتذكَّر سيرة الحبيب... أخلاقه ، كريم معاملاته ، حياته ، جهاده في الله ، وذلك لكي نتأسى به ، ونعمل بقول الله :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾٢١ الأحزاب

ولأن هذه الليالي يقول فيها ﷺ :

---

[١] كانت هذه المحاضرة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين – محافظة الجيزة ، يوم الخميس ٢٧ من رجب ١٤٢٦هـ ، الموافق الأول من سبتمبر ٢٠٠٥م .

﴿ إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ؛ ألا فتعرضوا لها ، فعسى أن تصيبكم نفحة لن تشقوا بعدها أبداً ﴾ [٢]

وقال في بعض هذه الليالي :

﴿ يسحُ الله عز وجل الخيرَ سحّاً[٣] ، فى أربع ليالٍ : ليلة الأضحى و الفطر ، و ليلة النصف من شعبان ؛ يُنْسَخ فيها الآجال و الأرزاق ، و يُكْتبُ فيها الحج ، و فى ليلة عرفـــة إلى الأذان ﴾ [٤]

و فى رواية أخرى : ﴿ إن الله يسحُ الخير سحّاً في أربع ليالٍ : ليلة النصف من شعبان ، وليلة القدر ، وليلة العيدين ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الكرام أجمعين وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

إخواني وأحبابي ...: بارك الله عز وجل فيكم أجمعين !

كل عام وأنتم بخير _ جميعاً _ بهذه الليلة المباركة ، ليلة معراج وإسراء رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، والحمد لله ، فإن جميع إخواننا علماء ، وكلهم والحمدلله أحاطوا بمـــا لم

---

(٢) الكنى والأسماء للدولابي عن ابن عمر.

(٣) – يعني يُنْزِل الخير من غير حساب

(٤) الدَّيلمى عَن عائشة رضى الله عنها ، فى جامع الأحاديث و المراسيل.

يحط به غيرهم ، من علوم الإسراء ، وأسرار المعراج ؛ولكننا نتذكر في هــذه الليلــة مهمتنا التي كلفنا الله عز وجل بها .

ونزن أنفسنا بميزان القائد العام والإمام لكل إمام ، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سِرُّ خَيْرِيَّةِ الأُمَةِ الْمُحَمَّدِيَّة

هذه الأمة .....

أكرمها الله عز وجل فجعلهم جميعاً أئمة ، ولا يوجد واحد من هذه الأمة ؛ قــد خُلِقَ لنفسه ، أو لأهله المحيطين به في بيته فقط ....!!..

لكننا جميعاً ، من أول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى آخر فرد من هذه الأمــة ؛ خلقنا لتبليغ رسالة الله جلَّ في عــلاه .....:

وهذا هو التكليف الذي كلَّفه لنا ربنا ، قبل القبل ، وأعطانا به وسام الخيرية :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾١١٠ آل عمران

لماذا اختارنا على سائر الأمم ؟ وما السر في ذلك ؟

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

لم يقل الله " ستكونوا " ؛ ولكن قال ﴿ كنتم﴾ ..قبل القبل ، أي أن الله عز وجل خلق فينا هذه الفطرة ، وأكد لنا هذه الحقيقة ، وأعلن جميع الأمم السابقة : أن هــذه الطريقة ، وهذه الهداية ؛ هي سبيلنا ، وهي منهجنا ، الذي ارتضاه لنا ربنــا عز وجل ؛ فجزم الله الأمر ، وقال كنتم من الأزل القديم :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

لا يوجد فينا من خُلق لنفسه

ولكن خلقنا للناس ؛ ندعوهم إلى الله ، ونقربهم إلى الله ، ونبين لهم طريق الله ، ونأخذهم إلى شرع الله ، ونعلمهم كتاب الله ، ونؤدبهم بآداب حبيب الله ومصطفاه .

وهذه رسالتنا في هذه الحياة ، ولخَّصها الله في كلمتين..:

لماذا أخرجتنا للناس يا رب..؟

﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾١١٠ آل عمران

تؤمرون كلكم ..!...

فأنتم جميعاً مكلفون ....: أن تأمروا بالمعروف ، وتنهوا عن المنكر ، والذي يقول : ..."وأنا مالي" ، أو " ليس لي شأن ، فليست وظيفتي أو عملي " ؛ فهذا ليس له عذر يستطيع أن يعتذر به إلى الله عز وجل

لأن التكليف ممن يقول للشيء كـــن فيكـــون ، والتـــشريف ، والتعريـــف ، والإكرام ، يكون بسبب الصدق على هذا المنهج (٢٣ سورة الأحزاب) :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

صدقوا في هذا العهد ......، ووفُّوا به .....

فلا يجب أن يتنصل أي واحد فينا ، ويقول : أنا غير متحدث ، أو أنـــا غـــير متكلم ..!. لأن الدعوة إلى الله بالحال ، فوق الدعوة بالمقال .

وكل إنسان إذا أراد أن يدعوا إلى الله :

يمنحه الله الوسيلة التي يقرب بها الخلق إلى الله ، بشرط أن يصدق في طلبه تنفيذ مراد الله جلَّ في علاه ...

لكننا مع الأسف نريد أن نهرب ..!..وإلى أين نهرب ؟ .. ، لما ضـــمنه لنـــا الله ..!.. فنحن مشغولون بالأرزاق ، التي تكفل بها ، وضمنها لنا الرزاق ﷻ . :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾٦ سورة هود

ليس على يدك ، أو مالك ، وليس على مهارتك ، وصنعتك ، ولكن علـــى الله رزقها..!.. هذه الرسالة ؛ كلفنا بها الله عندما اختار الحبيب ، وأنزل بهـــا القـــرآن في زمانه وعصره وأوانه ...

ولكنه عندما وجد ؛ أن الكل لن يقدر أن يقوم بهذه المهـــمة ، دعا من يطلـــب المقامات العالية ، ومن يريد المنازل الراقية ، كأنه يقول ......:....... من يريد أن يكون مع الحبيب المصطفى ؟؟..ومن يريد أن يكون من أهل الصفا والوفا..؟؟؟

ومن يريد أن يكون في سجلات

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ الآية ٢٩ سورة الفتح ...؟

من يريد أن يكون مع :

﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾٦٩ سورة النساء

من كان يريد أن يكون جليس رسول الله ، وفي جوار حبيب الله ومصطفاه .؟؟

ويدخل في قول الحبيب الأعظم :"" أقربكم مني مجلساً يوم القيامـــة ."".... أي يكون فيمن حولي .!!.. ،..ماذا يفعل؟ ..، تكـــون هـــذه مهمتـــه !!..،..ورســـالته ..!!..ولذلك ربنا بعد أن كلّفنا كلنا ، قال في قرآنه :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾

وهذه الجماعة ، ما الذي لها عندك يا رب ؟

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤ ﴾ سورة آل عمران

فهم الذين خصهم الله ، بالفلاح والنجاح من هذه الأمة .

صِفَاتُ الْدُّعَاةِ الْصَّادِقِين

رسول الله ﷺ نبراس الهدى، وميزان التقى...؛ عينهم على رســول الله ؛ فيزنون كل حركاتهم ، وسكناتهم ، وأقوالهم ، وأفعـالهم ، بحركـات ، وســكنات ، وأقوال ، وأفعال رسول الله ﷺ .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾٢١ سورة الأحزاب

ماذا فعل رسول الله ﷺ ،. منذ أن كلفه الله بدعوة الله ؟

وقد جعل كله لله ..!!..؟

ومن الممكن أن يتساءل بعض إخواني ، الذين يشغلون بعض وقتهم لله.....:

لماذا عندي مشاكل في الدنيا..؟

لماذا عندي متـــاعب في الأرزاق...؟

لماذا أشتكي من الهمـــوم والغمـــوم...؟

وقد حسم الإمام أبو العزائم رضي الله عنه هذه القضية ، وقال لمن حوله من الدعاة :

{{ من أعطى الكل أخذ الكل }}

أي على قدر عطائك ......: يكون غطائك من الله عز وجل ..!!..

فإذا كنت تعطي جزءاً بسيطاً منك ..!!..فلماذا تريد غطاءاً من الله..؟

لكن من ألجأ ظهره إلى الله ، وليس له إلا مولاه ، فإن هذا يتكفَّل به الله ، جلَّ في علاه ، فسيدنا رسول الله منذ كلَّفه ربه ، ماذا فعل ؟ ، وأين نحن منه؟!

فالواحد فينا لو صعد على المنبر ، وجهزوا لـه الميكروفونـات ، والمـراوح ، والتكييفات، وجاء الناس ليسمعوه ، يريد من الناس بعد ذلك أن يعظموه ، ويشكروه ، ويثنوا عليه ، ويكون كبيراً في نظر هؤلاء القوم .....!!!.

هل رسول الله كان على ذلك؟

أبداً !

فعندما كُلّف بالرسالة ، أول شيء عمله :

دعا أهل بيته أولاً ، زوجته ومن كان يعيش معه _ وكان سيدنا علي يعيش معه ، وكذلك زيد بن حارثة _ جمعهم كلهم ، وعرض عليهم الرسالة ، إلى أن آمنوا بـه كلهم ..!!وصلّوا ورائه

وبعد أن آمن به هؤلاء ، إنتقل من الدار إلى خارج الأسوار ، ولذلك قال لنا :

﴿ ابدأ بنفسك ، ثم بمن تعول ، ثم الأقرب فالأقرب ﴾

وهذه سنة رسول الله ﷺ :

وبعد أن فرغ من أهل بيته ....، بدأ بالعشيرة :

أتى بسيدنا علي ؛ وسأله : كم عدد بني هاشم ؟

قال : أربعون رجلاً ..، فقال : ادعهم إلى الطعام . و طلب مـن زوجتـه أن تصنع لهم طعاماً يكفي الأربعين رجلاً....،..من أين ؟

هكذا دعوة الله ورسوله ..!!..

فمن يتعرض لدعوة الله ورسوله ، ويريد أن ينال هذا المنى.....: يفـتح بيتـه ، ويطعم الواردين ، لكي يرضي رب العالمين ﷻ :

لكن سأدعو في المساجد ، وباب البيت مغلق بالضبة والمفتاح ، لا ينفع ذلك ؟ فقد قال الله ﷻ لموسى وهارون :

﴿ٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾٨٧ يونس

فمن الممكن مثلاً ؛ أن يفتح الواحد بيته ، ويطالب الـواردين – إن لم يكـن بلسان القال فبلسان الحال – كأن يقول: المصاريف كـثيرة ، والـضيوف كـثير ، ويأكلون ويشربون الكثير ، وكأنه يريد أن يأتي كل واحد منهم بشيء ..!!..

في هذه الحالة يكون قد طلب فيسقط في العطب

لأن المؤمن لا يطلب إلا من مولاه : ((إذا سألت فاسأل الله))...،..وقال له :

" إذا سألت "...إذا سأل... لماذا ؟

لأنه يعرف أنه صاحب مقام أكمل ، يعلم أن مولاه يجيبه بغير سؤال . فإذا سأل ؛ فإنما ليسكّن القلب ، ولكنه غير محتاج

للسؤال ؛ لأنه يعلم انه سيكفيه كل أمر ، وكل شأن .

فدعاهم ، وبعد أن أكلوا ، عرض عليهم الدعوة ، فقالوا ننظر في أمرنا !..

ودعاهم إلى الطعام مرة ثانية ، ثم دعاهم للمرة الثالثة .... ، ..ثلاث مـرات ، ولما لم يستجيبوا له ، ماذا فعل سيدنا رسول الله ؟

ولم يكن في هذا الوقت مساجد ..؟؟؟؟

عرض نفسه على الناس !!

كلما رأى جماعة حول الكـــعبة ، يذهب إليهم ، ويجالسهم ، ويعرض علـــيهم دعوة الله ، وهؤلاء أهل مكة....

أما الجماعات الأخرى التى تأتي من خارج مكــة ، وتـــذهب إلى الأســـواق ، فيذهب رسول الله إليهم في الأسواق ، ويعرض نفسه عليهم .... ؛ لكي يبين لهم دعوة الله ... ماذا يريد رسول الله من وراء ذلك ؟

﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٠ ﴾ سورة الأنعام

وذلك لكي يعلم من هم على مثل حالتي ، ويظنون أنهم على شيء ، أو فعلـــوا شيئاً...!!.. فأين نحن من دعوة رسول الله ..!!... ما الذي فعلناه.؟؟؟

كما ترون الآن ، فنحن قاعدون في مراوح ، وميكرفونات وأنـــاس مـــستمعين ومؤمنين بالفعل ..!!..

لكن رسول الله ، كان يكلم المتعجرفين ، والأشداء الغلاظ في الـــردود ، وفي الصدود ، وفي البعد عن الواحـــد المعبود ، لكنه ﷺ ذهب إليهم ومعه رحمة الله :

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾١٥٩ آل عمران

حتى من كان يسبُّه ، أو يشتمه ، أو يعترض عليه ، كان يعذره ..!!..لماذا..؟

لأنه يراه في وسط هذه الأحوال الكفرية ، وهذه الأعمال الشركية له العذر :

لأنه ما زال يحتاج إلى مـــداواة ، لكي يخرج من هذه الأحوال إلى نور الهداية ، وإلى نور الإيمان ، وإلى طاعة الحنان المنان ﷻ فكان ﷺ يأخذهم باللين ..:

دعا أهل مكة ، ثم ذهب بعد ذلك إلى أهل الطائف .

ولما وجد أهل مكة عندهم صدود ، وكذلك أهل الطائف عندهم صـــدود .. ماذا فعل؟ ، رجع لنفسه..!!.. كيف..؟ ، وهذا هو حال الدعاة ....، قال لا بد وأن يكون فيَّ عيبٌ يمنع أولئك الناس من الاجتماع عليَّ..!!!؟؟؟ ، ماذا فيَّ يمـــنعهم مـــن الإقتداء بي..؟؟؟ ، فعلَّمنا ﷺ :

أن الداعي يدعو الخلق إلى الله ، وإذا وجد إعراضاً ، أو صدوداً ، يُرْجِعُ ذلك لنفسه ، ولا ينسب السبب إلى ربه ، أو إلى خلق الله ، ولكن ينسب السبب إلى نفسه !! ..كما قال في الدعاء : " ضعف قوتي ، وقلة حيلتي " :

أي أنا ضعيفٌ ، وقليل الحيلة ، ورجع على نفسه .

☼ جِهَادُ الْدُّعَاة إِلَى الله

والذين اشتغلوا بهذه المهمة ، وهذه الرسالة ، جعل الله ﷻ لهم في وعلَّمَنـــا ﷺ ....شيئاً عظيماً من أسرار الإسراء والمعراج :

أن الداعي إلى الله ﷻ ، وكذلك من أراد أن يكون من خير أمة أخرجـــت للناس ، ومن أراد أن يكون من المفلحين ، ومن أراد أن يكون من الـــذين أنعـــم الله عليهم ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين :

لا بد أن يكون في جهاد دائم حتى النفس الأخير : فإما أن يجاهد مـــع الخلـــق ..!!.. وإما أن يجاهد نفسه ..!!.. لكن الداعي لا يكسل ..!!..ولا يفتر عن الدعوة ، طرفة عين ولا اقل ..!!..

كيف إذاً يجاهد نفسه؟ ، يجاهد في دعوة الخلق إلى الله ....

فإن لم يجد الخلق ، بحث في نفسه ليطهرها ، ويصفيها ، وبذكر الله ﷻ ينميها ، وبكتاب الله سبحانه وتعالى وأحكامه وقوانينه يهديها ، وباتباع الحبيب المصطفى ﷺ يرقيها ، ويعليها.

فهو دائماً يجاهد نفسه ، ولذلك ليس لديه وقت في غير جهاد – ليس عنده وقت للهو واللعب – وهكذا ...، حتى وهو في أعظم المجاهدات ، لا ينسى جهاد نفسه .!....، ولذلك فالطامة الكبرى التي تصيب كثيراً من الذين يتعرضون لدعوة الله جلّ وعلا أن ينسى أحدهم جهاد نفسه.

أخي وحبيبي ..!!..

لازم تجاهد نفسك ، وتزن نفسك بميزان الحبيب المصطفى وأصحابه الأخيار ، والأولياء ، والأطهار ، والذين ساروا على دربه إلى هذا اليوم ، أو إلى يوم القرار إن شاء الله ..!!..ولا بد أن تزن نفسك ... إلى أين وصلت ؟

لقد وضع الله ﷻ في رحلة حبيبه ومصطفاه ، مستلزمات الداعي : من الجهاد ، وأنواعه ، وأصنافه ، وأشكاله... ومن الإمداد من المنعم الجواد ، وكيف يمد الإنسان في كل رتبة من رتب الجهاد...فنأخذ هذا الملحظ العظيم ؛ أن الإنسان الذي يريد هذا الفتح ؛ لا بد أن يجاهد ..!!...فإما أن يفتح الله عليه ، فيهدي خلقاً على يديه ... وإما أن يفتح الله له في نفسه فتحاً مبيناً ، ويهديه إلى سبيل قربه صراطاً مستقيماً ، وينصره على نفسه نصراً عزيزاً .!.فإما أن يجاهد لهذا ، أو لذاك ..؟

فلا بد إذن من المجاهدة ..!!!!

وتلكم أحوال الصالحين أجمعين ......

والله ما رأينا رجلاً من العارفين الصادقين ، إلا والجهاد في كل أنفاسه لا يتوقف طرفة عين ولا أقل

حتى وهو في النوم يجاهد ، فبالنهار يجاهد مع الخلق ، وفي النوم يجاهد نفسه لتتنعم مع الحق ﷻ .

كما حدث مع رسول الله ﷺ إذن لا بد من جهاد النفس على الدوام

جاهد نفوساً فيك بالشرع الأمين
واحذر قوى الشيطان في القلب كمين

إلى متى هذا الجهاد؟

الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه قال فيه :

{{ لا ينتهي جهاد النفس حتى مع كُمّل العارفين ، إلا مع خروج النفس الأخير }}.

ومن ظن أنه انتهى من الجهاد ، فقد ركن .

ومن ركن سيحجب ، وهذا الحجاب يقول فيه الإمام الجنيد رضي الله عنه :

{{ لو أقبل سالك على الله ﷻ ألف عام ، ثم فتر لحظة ، كان ما فاته في هذه اللحظة ؛ أكثر مما حصله في الألف عام }}

لأنه من المفروض ألا يكون هناك فتور في طريق الله ﷻ ولكن جهاد مستمر.

۞ مِنْ إِشَارَاتِ شَقِّ الْصَّدْر

فسيدنا رسول الله ﷺ : أعطانا أنواع المجاهدات :

جهاد الإنسان أولاً مع نفسه :

بأن يخرج منها حظ الشيطان ، وكل ما تميل إليه النفس وكل ما تهواه ، وكل

ما تتمناه ؛ إذا لم يوافق شرع الله وسنة حبيبه ومصطفاه .

فعلى الإنسان أن يجاهد جهاداً شديداً في كبح جماح النفس عن هذه الشهوة الخفية ؛ لأنها هي التي تقطع العارفين والسالكين عن إمدادات رب العالمين ﷻ ، وهذا الجهاد ، كما وضحه سيدنا رسول الله :

أن الإنسان يشق ما بين صدره إلى عانته ، ويتطلع إلى هذه المملكة ، وينظر ما فيه من عيوب ، وما فيه من غيوب ، وما فيه من فضل الله ﷻ الموهوب ؛ فيكون همه كله هي نفسه ليجاهدها .

وإذا أخرج من نفسه حظ الشيطان – وأعظم حظ للشيطان هو الهوى – ولذلك ربنا جمع الأمور كلها في الهوى :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾النازعات

فإذا أخرج حظ الشيطان :

يذهب إلى عارف أفاض عليه الرحمن.....

ليملأ قلبه بعلوم الرسالة الوهبية النازلة فوراً من عند حضرة الرحمن ﷻ ؛ لأن هذه العلوم ، هى التى ستعطى القلب اليقين ، ولا يقوى الإنسان على أن يخرج من ظلمات الحس والنفس ..إلا بنور اليقين :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ ٥-٦التكاثر

سيمشي بنور اليقين باستمرار ......

وإذا كان سيدنا رسول الله ﷺ مع أن الله علَّمه مالم يكن يعلم ، كان محتاجاً لمن يمشي معه ، ويعرِّفه ، ويقول له متسائلاً :..ما هذا يا أخي يا جبريل..؟

فكذلك من يريد أن يمشي في طريق الله ....،..كيف سيمشي وحده..؟

لا بد أنه يحتاج إلى: "خذ الرفيق قبل الطريق"..

والرفيق يلزم أن يكون من أهل التحقيق

فبدون الرفيق ، من الجائز أن الإنسان يزل ، أو يتوه ، أو يزيغ ....لأنه لا يعلم آفات الطريق ، وعقباته ...!!

فلا بد له من شيخ يأخذ بيده ، ويدله على الخير ، وينهاه عن الشر ، ويعـــرض عليه خواطره ، وكل شيء يجب أن يعرضه على الشيخ في هذه المرحلة..!

أما إذا اكتفى بنفسه فله الخيار

وكان سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه وأرضاه ، يعرض كل ما يجول بخاطره ، على شيخه سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه. وظل حتى قال فيه شيخه :

{{ والله ما من ولي ظهر أو سيظهر إلا وأبو العباس يعلمه .}}

لقد اطلع على ديوان الأولياء ، ورأى كل من في الديوان ، ولما أساء إليه خادم الشيخ ، قال له : أسأت إلى أبي العباس ، والله لأبو العباس أعلم بطرق السماء ، منك بطرق الإسكندرية..!!

ولا يقصد طرق الجيوب ، ولكنها طرق مواهب علام الغيوب ، التى تنزل على القلوب ..!!..

وطرق السماء تعني : كيف يتنزل على قلب الإنسان الإلهام.. ؟

وكيف يكون من أصحاب الفراســـــة..؟

وكيف يكون الإنسان من أهل المكاشفات..؟

وكيف يكون من أهل المواجهـــــــــات..؟

وكيف يكـــــون من أهل التجليـــــــــات..؟

وكيف يكـــــــــون من أهل المشافهـــــات..؟

وكيف يكـــــــــون من أهل المكافحـــــــات..؟

فمن منكم يا إخواني في إدارة المرور المحمدية ، و معه هذه المواهب والإشارات المرورية القرآنية ، التي أنزلها رب البرية عَزَّ وَجَلَّ ؟

إذن فمن لم يمتلك هذه المواهب ؛ عليه أن يدخل مدرسة المرور لكي يتعلم ..!

إذا كانت ملائكة السموات الذين لا يعصون الله ما أمرهم أي _ لا يعـــصون الله في قليل ولا كثير ؛ فلا يفعلون ذنباً ولا يظهر لهم عيباً _ ومع ذلك لكي يترقُّـــوا ، لا بد لهم من الشيخ لأنهم ثابتون :

﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ سورة الصافات

أي مقام ثابت فيه :

فالراكع راكع باستمرار ، والساجد ساجد على الدوام ، والذاكر باسم مـــن الأسماء لا ينتقل عنه إلى يوم الدين ، إلا إذا أراد له الله الرقي ؛ يدله على مـــن ينبئـــه لطريقة الرقي : ....

﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ آية ٣٣ سورة البقرة

التي يترقون بها.....:

أملاك ربـــي لهم شيخ يعلمهم

فكيف لا تطلبون الشيخ بالهمم

۞ أَدَبُ الْرِّجَالِ مَعَ أَهْلِ الْكَمَالِ

وسوف أتكلم في بعض الحقائق...

فمن يقبلها ؛ فبها ونعمت ، ومن لم يقبلها ؛ فإني أقــول : " اللهم قد بلغــت اللهم فاشهد"...! .....

آفة الآفات ، ومشكلة المشكلات ، ومعضلة المعضلات ....

في كل زمان ومكان ..: كيف نسلِّم لرجل بالولاية في زمانه ..؟

هذه هي المعضلة الكبرى :

فالناس تسلم لشيخ في البرزخ ، أو شيخ انتقل إلى الرفيق الأعلى ، لكن بــشر مثلنا..!!.... لا..!! ، هذه هي المشكلة والإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه يقــول فيها ، وانتبهوا للحكمة :

{{ عجباً لمن سجد لاثنين فوحَّد ، ولمن سجد لواحد فأشرك }}

فالذي سجد لواحد ولم يتحول عنه هو إبليس .

ومن سجد لاثنين هم الملائكة ....:

﴿ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ آية ٣٤ سورة البقرة

قالوا : سمعنا وأطعنا يا رب .

أطاعوا الأمر ، فأصبحوا موحدين ؛ لأنهم سجدوا تنفيذا لكــلام وأمــر رب العالمين عز وجل ....

واقتضت إرادة الحق أن الله عز وجل جعل كنوز معارفه وخزائن لطائفه عند عبيد اختصهم بهذا الفضل ..!!..

وحتى يبين لنا شأنهم ، وفضلهم ، أمر نبياً من أولي العزم ـ وهو موسى الكليم ـ أن يتجه لواحد منهم ، وأن يمشي حقباً – والحقبة ثمانون سنة – .. ويسأل موسى حضرة الله ويقول : يارب أين أجدك ؟ ، فقال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي !!

أي عندما تذهب إليهم ؛ ستجد كل شيء .

فالله عز وجل جعل خزائن خيره في سمائه وأرضه :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ آية ٩٦ سورة الأعراف

فخزائن الخير .:

البترول ، والمعادن ، والذهب والفضة ، والغلال والفواكه .،.كل خزائن الخير في السماء والأرض .!!..

أما خزائن فضله ، وكرمه ، وجوده ، وبره ، ونوره ؛ استودعها في قلوب أوليائه .!!.

أين يضعها؟

في قلوب أوليائه ..!!.. لأنه لا يوجد مكان محصن من الشيطان ...:

إلا قلوب الصالحين : ......

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ ٦٥ الإسراء

ليس له سلطان على هؤلاء القوم .

فادخر الله عز وجل كنوز فضله في قلوب أوليائه ....، وأحبابه .... ، والصالحين من عباده .

ولا ينال أحد من فضله ، وكرمه ، وجوده ؛ إلا بالخضوع والتسليم الكامل ، ظاهراً وباطناً ، لأحبابه وأوليائه :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾سورة النساء

يلزم التسليم الكامل ، وهذه هي مشيئة الله

وإذا اطلعت على دواوين الصالحين أجمعين ، تجدها على هذه الشاكلة .! ولذلك كان المريدون والسالكون ، كل ما يحرصون عليه :

أن يكونوا في قلوب الصالحين ؛ فينظر إليهم الله ؛ فيتفضل عليهم بعطاياه ....!

لأن العطايا الإلهية ، والتفضلات الربانية ، منح ومنن من الله عز وجل ، وقال فيها الله لحبيبه ومصطفاه :

﴿ هَٰذَا عَطَاؤُنَا ﴾

كله معك .، . وبعد ذلك ماذا قال له ؟

﴿ فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة ص

ولم يقل له : فأعطِ ، ولكن قال :

فامنن ، يعني الذي تعطيه هو منة من عند الله على يدك .

فما دام السالك ما زال يرى نفسه أنه يعمل كذا ويصنع كذا ، ويريد المقابل :

فإنهم يتركونه إلى أن تتهذب نفسه ويسلم تسليماً كلياً ، فتنهال عليه الهبات والعطاءات ، من حضرة من يقول للشيء كن فيكون.....

وهل يوجد فينا من يستحق شيئاً من الله !!!!

بغير معونة الله وتوفيق الله ، وفضل الله ..؟ ، ما الذي نفعله بغير هذا ؟

إذن فالموضوع كله منن إلهية من الحضرة الإلهية ، لأهل التسليم بالكلية ، ولذلك كان الصالحون يقولون :

{{ من تعالى على الرجل في زمانه ؛ سلب إيمانه }}

لأنه لا يسلم لفضل الله ، وكأنه يعترض على الله ويقول : لماذا خصه الله بهذا ؟....وهذه نظرة إبليس :

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾١٢٤ *الأنعام*

وقد يقول : لماذا لم آخذ أنا ؟ ولماذا لم تعطني يا رب ؟

لأنك جاهل وجاحد ، فامشِ من الطريق الذي سلكه السابقون ؛ تجد الخير معك في كل وقت وحين ..!!.. هكذا طريق الله ﷻ:

لا تقل إن وصولي بالعمل أو بقطع الوقت في طول الأمل
إن مولانا تعالى عن علل إنَّه الربُّ المنزّه والكبير

إياك أن تظن أن هذه الأشياء هي التي توصِّل ... !!! ....

فهذه الأشياء بدون فضل الله ، كيف تفعلها ؟

ليس الرقي إلى العليا بأعمال ولا الوصول بأحوال وأموال
لكنه منة من فضل واهبه به تعد جميلاً بين أبدال

ما الشيء الذي أجاهد فيه إذن ؟

اسمع ماذا يقول الرجل الصالح رضى الله عنه ..:

خلــق عظيم وإيقـــان ومعــرفة
بالله ذي الفضل والإحسان والوالي

هذا طريق الصالحين. رضي الله عنهم وأرضاهم ..في كل وقت وحين

وكما قلت في البداية ، فأنا أقول حقائق ، ومن يؤمن بها ؛ يكون من أهلـــها ، ومن لم يؤمن بها ؛ له الحرية !.

لكن لا بد من أن أبلغ: اللهم قد بلغت ، اللهم فاشهد ! وذلك حتى نختـــصر الطريق ، لأن العمر قصير ، والمطلوب عظيم، وأريد أن أبلغ الرسالة ، لأنه ربما ألقـــى الله ، فأتهم بأنني لم أبلغ ،

ولكني أبلغ كما تسمعون

فالطريق المختصر إلى الله ؛ هم الصالحون ، والتسليم لمن أقامهم سيد الأولـــين والآخرين صلى الله عليه وسلم في كل وقت وحين ، فالمشهد الأول ؛ هو المشهد الآخر ، وهو مـــا يعاد في كل زمان ومكان ...كما أخبر الديان عز وجل في القرآن !

فإذا جاهد السالك بإشارات العارف ؛ فســـيعينه الله عز وجل علـــى التغلـــب على الزخارف ، و المطارف .

ولا يوجد من يتغلب على هذه الأشياء بنفسه أبداً !!! ...، فإن لم تكن الإعانـــة من الله ، ودعوة من رجل صالح من عباد الله ...؟ ، من فينا يا إخـــواني يـــستطيع أن يتغلب على زخارف الدنيا ؟ ..

والإشارة واضحة في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : .مع أن الله طهَّـــره تطهـــيراً ، ولكنه بعث له بلجنة من الملائكة ... ، وشقوا صدره ... ، وأخرجوا حظ الـــشيطان من قلبه ... ، وغسلوه :

لكي يعرفنا أن هذه الأشياء ، لن تستطيع أن تقوم فيها بمفردك ، وإنما لا بد أن

يقوم بها رجال حالهم ملكوتي ، وتكليفهم رباني ؛ كلفهم الله ﷻ بذلك لـــك ، لأن الله يرى أنك أصبحت سالكاً ، وصالحاً .!.

لذلك فالعبادات والمجاهدات ، كانت أولى بتطهير إبليس ، لأنه عبد الله اثـــنين وسبعين ألف سنة..!!!! ، هل هذه العبادات طهرته ؟

أبداً !!..ولكنه والعياذ بالله أصيب بداء الغرور والكبر ، ولم ينفع معه عـــلاج ، لكن التطهير يتطلب عناية من العلي الكبير:

نظر الله نظرة فحباني وإمام الهدى لذاتي رشيد

فالموضوع كله ...نظرة من الله ، وإرشاد من حبيب الله ومصطفاه..!!

لكن ما الذي معنا لنجاهد به؟

من فينا يستطيع أن يجاهد نفسه الأمارة إذا قامت عليه؟ ..، لايوجد أحد إلا ، إذا أعانه الله ، وقواه مولاه ، ونظر إليه حبيب الله ومصطفاه .

هنا يستطيع أن يلم بهذا الجهاد ، وأن يخلص من هذا التنائي ، وأن يرقـــى إلى بساط الوداد من الله ﷻ.

۞ بِدَايَةُ الْفَتْحِ

وإذا أكرموه ، وأعانوه ، وطهَّروه .

فإن الله ﷻ أول ما يفتح عليه :.. يفتح عليه من علوم الإلهام : علم حكمـــة الأحكام ..! فلا يصنع حكماً ، ولا يقوم بأمر ؛ إلا ويظهر الله له حكمته ، مثلما رأى رسول الله حكمة الأحكام ...

حكمة الأعمال الصالحة ، وحكمة المنهيات ، فيرى الإنسان ذلك ، ويصل إلى

أذن قلبه من هذه العلوم ما لا يستطيع أحدٌ من العالمين ، من الأولين أو الآخرين كتابته لأنها علوم تترى على القلب .

إذا وصل إلى هذا المقام ؛كلما يرى مشهد ، يواليه الله سبحانه وتعالى بعلوم تخص هذا المشهد ، ومثل هذا لو دعى الناس إلى الله ؛ يؤثر فيهم :

لأنه يدعوهم بعلم اسمه علم الآيات .

فكلما يرى آيه ؛ يكشف الله ﷻ عن علوم أهل العناية المبثوثة في هذه الآية ، فلما يظهر بعضها على قدر ما تتحمله العقول ، وعلى قدر ما تساعده الأدلة من النقول ؛ يؤخذ الحاضرون من هذا الكلام ، لأنه علم طازج ، ودائماً الإنسان يميل للشيء الحي القريب من الحي ﷻ .

ولذلك كان الشيخ أبو مدين الغوث رضي الله عنه وأرضاه ، عندما كان يتحدث أمامه المتحدثون ، وكانوا يحضّرون دروسهم من الكتب كان يقول لهم :

{{ لا تحدثونا عن السابقين .!،.ولكن حدثونا بما فتح الله عليكم ! }}

لأن هذا الكلام ، كان لأهل زمانهم وأهل عصرهم !!، نحن نريد ما يناسب العصر والزمان .

ألم يقل الله في القرآن:

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة القيامة

متى هذا البيان ؟

كل زمان له بيان ، وكل وقت ، بل كل نفس له بيان من القرآن....!!!!!

وإياك أن تظن ، أن أحداً من العارفين له بيان فيآية من القرآن ثابت ، لأن الآية الواحدة في كل نفس له بيان فيها من الله ﷻ .. ، ولو كررها مرة ثانية له بيان

ثان ، ثم بيان ثالث .!!

من أين ؟

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الكهف

لأن القلب طهر لله ، والفؤاد إحتشى بعلم اليقين ، من رجل صالح من عباد الله ، وأعانوه على تطهير سره لله ، فيمده الله ﷻ من عنده بعلوم الإلهام :

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

يريد أن يرتقي فيطالع بعين فؤاده في أحوال المقربين ، إن كانوا من المرسلين ، أو من النبيين ، أو من الصالحين ؛ يحاول أن يطالع أحوالهم ، ويطلّع على أخلاقهم ؛ ليتأسى بهم في كيفية سيره إلى ربه جلَّ وعلا .

كما فعل الله بحبيبه ومصطفاه ﷺ : فقد جمع الله ﷻ له الأنبياء والمرسلين أجمعين ، ليتعرف على أحوالهم ، وعلى مواهبهم ، وعلى عطاءاتهم ، ويعرف ويدرك أن الله ﷻ خصَّه بما لم يخصَّ واحداً منهم ؛ فيعلم إكرام الله لـه ، وخصوصية الحق سبحانه وتعالى التي خصَّه بها ، لأنه زاده على كل النبيين والمرسلين ، بما رآه وعاينه ﷺ في ليلة القرب من ربه ﷻ.

۞ صِدْقُ الْدَّاعِي مَعَ نَفْسِهِ

فيلزم للسالك في طريق الله...

أن يزن نفسه وعطاءه بعطاء السابقين ، والعارفين ، والصالحين ؛ فـإذا كنـت أرى نفسي أنها ليس لديها شيء من الفتح أو خلافه.....

إذن لماذا أظن في نفسي أنني قطب الوقت ، وغوث الزمـــان ، وغوث المكان ، وأريد من الناس أن تمشي خلفي ، وتنتهي بأمري ، وتفعل ما أريده ..!!!...مع أنـــني مسكين ، محتاج لمن يأخذ بيدي..!!.. لماذا كل ذلك ؟

أغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي والطبيب سقيم

دعوة الله عز وجل شرطها ؛ أن أدعو إلى الله على بصيرة..!!.

أين هذه البصيرة.؟ ....

نرى السرائر المنيرة .، . نطالع ديوان أهل السرائر المنـــيرة ، و نرى أحوالهم ، ونزن أنفسنا بميزالهم فإذا وصلنا لحالهم ، فبها ونعمت .

وإذا كنا لم نصل بعد لهذه الأحوال :

فلا تضحك علينا النفس ، وتجعلنا نعيش في عالم الأوهام ، أو في عالم الخيـــال ، أو في عالم الحدس والظنون !!!! .

ومن الممكن للإنسان أن يرتع فيها ، ويعيش فيها ، إذا ظن في نفسه أنه علـــى خير !!!..ولم يعد يحتاج إلى المرشد المربي ..!!..أو يحتاج إلى شيخ..!!....

◎ صَاحِبُ الْعِنَايَةِ

فالذي يستغني عن الشيخ ...

هو من سلمه الشيخ لرسول الله ،وأصبح رسول الله له رأى العين ، يراقبـــه ، ويعلمه ، ويهذبه ، ويمده بإمداداته .

فطالما لم تصل لهذه المرتبة ..... فإياك أن تترك من أقامه الله ..... ، لأن الإقامة عناية من الله.

وملك الملوك إذا وهب : لا تسألن عن السبب .

وإياك أن تقول كما قال الكافرون :

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾

سورة الزخرف

هل سنقسم رحمة ربنا ؟

سيدي ياقوت العرش رضي الله عنه وأرضاه وارث سيدي أبو العباس المرسي ، وسيدي أبو الحسن الشاذلي ...

دخل ملك مصر على سيدي أبي العباس ، فلم يقم له ، ولكنه أجلسه بجواره ، ودخل بعده ياقوت ، فقام ، واهتم به ، واحتضنه ، وأظهر له غاية الاهتمام ... فدخل في قلب الملك شيء من ذلك ...

أي لماذا يهتم بهذا الرجل أكثر مني ؟

وسيدي ياقوت العرش ، كان عبداً جاء من الحبشة .

وعندما وقف الإمام أبو العزائم أمام ضريحه ، قال :

تواضعت رب العـــرش أعليت بالفعل
جعلت ترب الأرض للعـــالم القطب

فله عز وجل التصرف المطلق ، فهذا تراب وجعله قطباً :

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ *الأنبياء*

وإذا كان هذا في نظرك جميل ، فالجميل هو الذي أعطاه هذا الجمال !!..

فلما رأى سيدي أبو العباس ، ما في قلب الملك نحو ياقوت قال :

يا ياقوت !.،إن صدري ضيق ، وعندي هموم وغموم ضيقت صدري .

فبكى ياقوت ... ؛ وعند بكائه ظهرت غيوم في السماء !!! ، وأمطرت السماء لدموعه !!! .. ، فقال :

يا ياقوت !.، لقد طاب قلبي ، وذهب الغمُّ عن صدري ، ...فسكت .

فإذا بالسماء تقلع عن المطر ، ولا يوجد فيها سحابة واحدة ..!!!..، فقال سيدي أبو العباس رضي الله عنه للملك : هذا من الملوك السماوية .

أي الذين لهم تأثير في عالم السماء .

وياقوت كان عبد في بلاد الحبشة – ولحظة ميلاده وهو في الحبشة والشيخ بالإسكندرية – فإذا بأبو العباس يقول لأهله : اصنعوا لنا وليمة اليوم ، فقالوا : ولم ؟ ، قال : الآن ولد ياقوت العرش في بلاد الحبشة..!!

ولد ياقوت ، ونما وترعرع ، وكان التجار يذهبون إلى الحبشة ، ويأخذون الصبيان ، ويخطفونهم ، ثم يبيعونهم عبيدا ، ومن ضمن من خطفوهم ، كان ياقوت !

وذهب تاجر من أصحاب الشيخ إلى بلاد الحبشة لإحضار تجارة ، فكان من ضمن التجارة ياقوت ! .

وركبوا السفينة ، وسارت السفينة في البحر ، وهاج الموج ، وكادت تهلك ، فاستغاث التاجر بالله ، وتوسل بسيدي أبي العباس وقال :

يا رب !.، بجاه أبي العباس أسكن لنا البحر ، فسكن البحر في الحال ، لأنه يسأل الله ، ولكنه يتوسل إليه ببعض أحبابه .

وهذا لا ضير فيه ... فإن الحبيب صلى اله عليه وعلى آله الطيبين وسلم ، كان يتوسل بنفسه عند الخروج إلى الصلاة ، وكان يقول (فى الحديث المعروف) : ...

﴿ اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق الراغبين إليك ،

وبحق ممشاي هذا إليك ﴾

فسيدنا رسول الله نفسه كان يتوسل ﷺ ــ فلما سكن البحر ، وضع يده على ياقوت وقال هذا العبد نذراً علي إذا أوصلنا الله بسلام ، أن أعطيه لسيدي أبي العباس ؛ يكون خادماً له .

وسارت السفينة ، وإذا بياقوت يصاب بمرض القراع في رأسه ، وفي اليوم الذي ستصل فيه إذا بسيدي أبي العباس يقول لأصحابه : تعالوا بنا نتريض على البحر .

فوصلوا إلى الشاطئ في الوقت الذي وصلت فيه السفينة ، فترل التاجر ، وقبَّل يده ، وأراد أن يعطيه عبداً آخر غير المريض .

وقال : يا سيدي هذا العبد هدية لك، قال : لا نريد إلا العبد الذي نذرته لنا .

قال : يا سيدي إنه مريض..، فقال : لاشأن لك به..!..، فقدمه إليه ، فخلع عمامته ووضعها على رأسه ، ثم رفعها فشفي في الحال ، ثم أخذه ، وربَّاه ، حتى صار وارثاً له بأمر الله.

من أين هذه الوراثة ؟

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾

الآية الثانية و الثلاثون سورة فاطر

ألم يكن لسيدي أبو العباس أولاد ؟

كان عنده وموجودين !!!!

وأولاد سيدي أبو الحسن كانوا موجودين كذلك !!!

لكنها عناية الله ولا تعطى إلا بإشارة من الله جل في علاه ..... ، هل يوجد منا من يقدر على اختيار رجل مكانه ؟

ليس للعبيد شأن مع الحميد المجيد في هذا الأمر ..

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾١٢٤ الأنعام

وهذا أمر الله يعطيه الله لمن يحب من عبيده ، وليس فيه شأن لصغر سن أو لكبر سن ، أو طول مصاحبة ، أو قلة فترة..!

فمن الجائز أن يدخل واحد اليوم ، ويكون هو الوارث – ملـــك الملـــوك إذا وهب لا تسألن عن السبب .!

ولكن المهم أن لا تحجب نفسك بهذا السبب ، فتزن نفسك بأحوال الصالحين ، وأحوال المقربين ، وأحوال الأنبياء والمرسلين ؛ تطالع أخلاقهم وأحوالهم

ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه :

{{ من أسرار ذكر الله عز وجل لقصص الأنبياء والمرسلين في القرآن ؛ أن يتعلم الإنسان منهم ما يحبُّه الله وما يبغضه الله .

لأنـك تـرى مـن أحـوالهم في القـرآن : مـا الـذي يحبُّـه الله ؛ فتعمــله ، وماذا يبغض الله وينهى عنه ؛ فتبتعد عنه .}}

حتى قال رضى الله عنه :

{{ وحكايـات الأنبيـاء والمرسـلين في القـرآن ، هــي الطهـور المـدار للمقـربين والمحبـوبين ؛ الـذي يـدار علـيهم مـن كتـاب ربِّ العـالمين عز وجل .لأن هذا ما يبحثون عنه }}

يريدون أن يعثروا على ما يدخلون به على الله :

بأن يروا أحوال الأنبياء والمرسلين ، ثم بعد ذلك يروا أحوال الصالحين ؛ لكـــي يقيس الإنسان نفسه ويزن نفسه.

فمن يغفل عن ميزان نفسه ، طرفة عين أو أقل ؛ يتعب ويعطـــب ، ويــصاب بالزلل ، و بالخلل .

وعلى الرغم من أن سيدنا رسول الله :

رأى العطاءات ، والهبات ، وأكرمه الله عز وجل ، ورفعه إلى عـــالم الملكـــوت ، والسموات ، وفيها ما فيها من فضل الله ، وكمال الله ، وعطاء الله ...!!...إلا أنـــه لم يلتفت طرفة عين ...إلى ذلك كله !!!!!.

ليعلمنا أن الدخول على حضرة الله لا يكون إلا بالأدب :

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة النجم

لم يلتفت هنا ، أو هناك ! ....

فقد عرضت عليه كل الجمالات .!.، فلم يلتفت إليها ! ....

وإنما كان كل همه مولاه ! ....

وكل بغيته أن ينال رضاه ! ... وكل سعيه ، وكل فعله ، ليصل بـــذلك إلى أن يكون محبوباً لحضرة الله ، مراداً لذات الله ! .

وبعد ذلك يكون كل شيء في الكون ..!...

كله ..!!..عاليه ..!.ودانيه ..!.. مسخراً لخدمته ...!!!! ....

لأنه في خدمة مولاه جلَّ في علاه .

مقامات الإسراء والمعراج يا إخواني ....:

فيها لذيذ الشراب ، وهنيء الطعام ......

لمن أراد أن يصل لمقام القرب من الملك العلام .

فإن الله عز وجل جعل فيها :

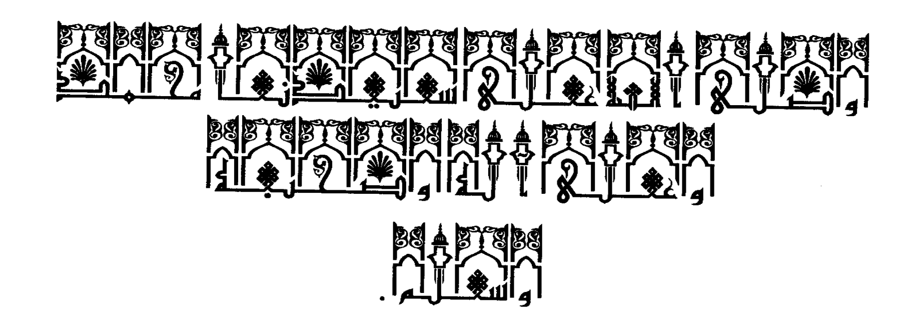
إشارات ، وتلويحات ، لمن أراد أن يكون من أهل السعادات .

وجعل فيها كنوزاً من العلم الوهبي ، وكنوزاً من العلم الذاتي :

لمن يريد الله عز وجل له أن يكون محبوباً لحضرته ، وأن يكون مراداً لعظمته .

نسأل الله عز وجل ...

أن ينفعنا بما علمنا ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .



ترجمة كاتبه

الأستاذ فوزِي مُحمَّد أبُوزيد

۞ تاريخ ومحل الميلاد :

١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة - مركز السنطة - الغربية

۞ المؤهل :

ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

۞ العمل :

مدير عام بمديرية طنطا التعليمية .

۞ النشاط :

١- يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية ، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى : ١١٤ شارع ١٠٥ ، حدائق المعادى بالقاهرة ، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢- يتجول فى جميع أنحاء الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية ، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية ، بالحكمة والموعظة الحسنة .

٣- بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام

٤- والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة

الملتيميديا للمحاضرات ، و الدروس و اللقاءات ، على الشرائط و الأقراص المدمجة.

٥- وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت :

WWW.Fawzyabuzeid.com

۞ دعوته :

١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين ، والعمل على جمع الصف الإسلامي ، وإحياء روح الإخوة الإسلامية ، والتخلص من الأحقاد ، والأحساد ، والأثرة ، والأنانية ، وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية ، بعد تهذيب نفوسهم ، وتصفية قلوبهم .

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين ، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن ، وعمل رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام .

۞ هدفه :

إعادة المجد الإسلامي ببعث الروح الإيمانية ، ونشر الأخلاق الإسلامية ، وترسيخ المبادئ القرآنية .

وصلىالله على سيدنا محمد على آله و صحبه و سلم

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

محتويات الكتاب	الصفحة

لملاحظاتكم الكريمة

و صلّى الله على سيدنا محمّد و على آله و صحبه و سلّم